مكانة المرأة في الإسلام

للدكتور
محمد سعد علي شعيب
مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
بطنطا

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين جعل خطاب التكليف الإسلامى بأبعاده المتعددة عاماً للرجال وللنساء على سواء ، عقيدة وعبادة ومعاملة ، وأمرًا ونهياً وموالاة ، وحقوقاً وواجبات وجعل ميزان الكرامة والفوز : بالتقوى والعمل الصالح فقال سبحانه : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ (١) .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل « النساء شقائق الرجال » (٢) وعلى آله وصحبه والتابعين .

وبعد

فما زالت الخطة التدميرية . التى أعدها الغرب لسرقة المرأة المسلمة واستلابها من إسلامها وأخلاقها وقيمها ، وإدخالها فى دوامة التقليد والتبعية - حتى تفقد تبعاً لذلك دورها الدينى والاجتماعى ، بل وتفقد نفسها وعفتها ، ويفقد المجتمع الاسلامى تبعاً لها قوته وشكيمته ، بعد أن يصاب بداء التحلل والتفسخ فى علاقاته الاجتماعية ، وينساق وراء الرزيلة فى نهم وسعار لاينطفئ - هى الشغل الشاغل لدعاة الاستشراق والتغريب الذين استطاعوا أن يعقدوا المؤتمرات الدولية والعالمية تحت دعاوى عريضة ليست فى صالح المرأة فى شئ ، وإنما هدفها أن تكون المرأة المسلمة بين أيديهم كالدمية يحركونها متى شاء وا ويقذفون بها متى أرادوا ، ولذلك نجد أن المؤتمرات التى تنعقد باسم المرأة ، تصاغ قراراتها فى غاية من المكر والدهاء أحياناً وبشكل مكشوف مفضوح أحياناً أخرى .

لقد كان من أبرز دعاوى دعاة التغريب وأساتذتهم من المستشرقين ما يلى :

---

(١) سورة النحل [٩٧] .

(٢) صحيح الجامع الصغير حديث رقم ٢٣٢٩ .

أولاً : دعوى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل فى كل شئ ، ودفعها إلى العمل بالخارج رغماً عنها . وتحقير شأن العمل المنزلى وتربية الأولاد .

ثانياً : مهاجمة التشريع الإسلامى ، والتوهين من قدسية النص أحياناً والتشكيك فيه أحياناً أخرى ، خاصة فيما يتعلق بقضايا المرأة حتى صدرت بعض القوانين الخاصة بالأحوال الشخصية متأثرة بهذا المناخ العدائى ومتغاضية عما أجمعت عليه الأمة ممثلة فى فقهائها وعلمائها . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن المنصرين - ولهم ميزانيات ضخمة ووسائل عديدة منها المعاهد العلمية والمنشآت الصحية ، إلى جانب المكتبات والصحافة والإذاعة والجمعيات الثقافية فى كل مكان - وجدوا أن التنصير من خلال المرأة أسهل بكثير من أى جهة أخرى ، لأن المرأة المسلمة هى مدار الحياة الاجتماعية ، والوصول إليها بالتبشير وصول إلى الأسرة كلها .

لذلك اهتم بها المبشرون اهتماماً عظيماً حتى قال «صموئيل زويمر» (١): « إن الأثر الذى تحدثه الأم فى أطفالها ذكوراً وإناثاً حتى السنة العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية ، وبما أن النساء هن العنصر المحافظ فى الدفاع عن العقيدة فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تعْلَمَ أن العمل بين النساء المسلمات وسيلة مهمة فى التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية » (٢) .

---

(١) صموئيل زويمر : ١٨٦٧ - ١٩٥٢م . رئيس المنصرين فى الشرق العربى . لأكثر من خمسين عاما . تولى تحرير مجلة « عالم الإسلام » كامن تهتم بدراسة شؤون المسلمين لوضع الخطط والعقبات فى طريق المسلمين . له مصنفات كثيرة عن الإسلام ، فى أغلب دول العالم . وكلها تنم عن تعصب أعمى ، أهمها : « الإسلام » و« الإسلام فى جنوب أوروبا » و« الإسلام فى أفريقيا » . و« الإسلام فى الهند » إلى غير ذلك انظر : نجيب الحقيقى : المستشرقون جـ٣ صـ ١٠٠٥ . ويذكر : الأستاذ عبد الله التل : أن زويمر قد كشف عن يهوديته الدفينة الراسخة حين طلب حاخاما ملقنه ساعة احتضاره .

انظر : جذور البلاء صـ ٣٢٨ .

(٢) انظر : المخططات الاستعمارية صـ ٢٢٢ .

كما تمخض المؤتمر التبشيرى الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٠٦م عن نداء وضعته الأعضاء المبشرات جاء فيه : « .. لا سبيل لنا إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح . إن عدد النساء المسلمات عظيم جداً لايقل عن مائة مليون - فى هذا الوقت - فكل نشاط جاد للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بُذل إلى الآن . نحن لانقترح إيجاد منظمات جديدة ، ولكن نطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائى على العمل ، واضعةً نصب عينها هدفاً جديداً والوصول إلى نساء العالم المسلمات كلهن فى هذا الجيل (١) .

لذلك وضع المبشرون برامج مفصلة لتنفير المرأة المسلمة من دينها الإسلامى ، فزعموا أن المرأة المسلمة متأخرة ومتخلفة ومغبونة الحق ومهينة وأنها لاتتحرر ولا تتقدم إلا إذا دخلت فى النصرانية ! !

وزعموا أن الدين الإسلامى هو مصدر الألم للمرأة المسلمة ! !، وأنها تتألم بسببه روحياً وعقلياً ! !، وأنها تخاف من زوجها وتخاف من الطلاق وتخاف من المجتمع ، وتخاف من إبداء رأيها ! ! . وغير ذلك من ترهات وأباطيل .

وناصر المنصرين فى عملهم دعاةُ التغريب الذين انساقوا وراء أساتذتهم طمعا فى مغنم، أوحباً فى منصب، أو طلبا للشهرة، بمقالات مسمومة ، خلطوا فيها الحق بالباطل ومزجوا الصحيح بالزائف .

من هؤلاء الموتورين الأستاذ : أحمد عبد المعطى حجازى يقول فى إحدى مقالاته بجريدة الأهرام : ٣٠ يوليو سنه ٢٠٠٣ . بكل بجاحة :

---

(١) المصدر السابق صـ ٢٢٣ .

« سأعيد القول وأكرره مرة بعد مرة، حتى يثبت لى أنى أفصحت وأوضحت وأن ماقلته فى تجديد الخطاب قد فهم وعلم .... إن المصريين كلهم سواء الرجال منهم والنساء لكننا لانكاد نخطو بعد ذلك بضع خطوات حتى نتوقف وجلين مرتبكين أمام النصوص الدينية التى يتناقض معناها المباشر مع هذه المساواة، فننكص على أعقابنا، ونرضى بالانتقاص من حقوق المرأة .. نصطدم بالنصوص التى تثبت وضع المرأة المتدنى وحكمت عليها بالبقاء فيه » هذا الكلام الموغل فى الإضلال الذى لا يدافع فيه عن المرأة لأن وضع المرأة فى الإسلام لايحتاج إلى أمثاله ، لأن الدنيا كلها لم تعرف تشريعاً سماوياً أو وضعياً أنصف المرأة ، وأعلى قدرها ، ورفع من مكانتها ، وبوأها المنزلة اللائقة بها كالإسلام ، ولكنه يريد أن يهاجم النص - قرآناً كريماً وسنةً - لابقصد الدفاع عن المرأة وإنما بقصد الهجوم على الإسلام . ولهذا نراه يقول : « النصوص التى حررت المرأة جزئياً عند ظهور الإسلام تقيدها الآن لو أسقطنا الزمن من حسابنا وفهمناها بمعناها الحرفى الذى يفرضه الخطاب القديم فرضاً .. لن نسقط الزمن من حسابنا ، لأننا لسنا فاقدى الوعى ، ولأن وضع المرأة الآن يختلف طبعا عن وضعها منذ ألف عام ، فإذا كانت القضية قد تغيرت فلابد للحكم الصادر فيها أن يتغير ، والقضية هى المرأة ... والمرأة أصبحت جديرة بالمساواة الكاملة مع الرجل فمن المنطقى أن يكون الإسلام أول من يتبنى هذا المبدأ ، ويعطى المرأة حقوقها كاملة ! !

والمرأة لم تكن مسئولة عن نفسها من قبل فمن الطبيعى أن يكون نصيبها فى الميراث نصف نصيب الرجل ! !، ولم تكن مسئولة عن غيرها من قبل فمن الطبيعى ألا تكلف بمسؤولية ، وأن تعتبر شهادتها ناقصة ، لكن هذا

الوضع تغير الآن تماماً ، فمن المنطقى أن تتغير قراءتنا للنصوص الدينية وفهمها بروحها وغاياتها، لا بحروفها ومعانيها المباشرة ... إن الأحكام الموروثة التى نطبقها على المرأة لم تجعل المرأة أفضل ، أو أرقى ، أو أعف أو أسعد مما هى فى البلادالتى ساوت بينهاوبين الرجل فى كل شئ » (١) .

هذا نوع من التخبط الفكرى عند دعاة التغريب الذين يجهلون كل شئ عن الإسلام ، حيث يبنون كلامهم على مقدمات فاسدة ليأتوا بنتائج باطلة ويظنون أنهم سيصلون إلى شئ مما تكنه قلوبهم المريضة .

ولله در من قال :

ياناطح الجبل العالى لتوهنه .. اشفق على الرأس لاتشفق على الجبل

ومن ثم أصبح من أوجب الواجبات على العلماء والدعاة إلى الله تعالى أن يضعوا الحق فى نصابه لتستبين السبل وتتضح الحقائق ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٢) .

وكما قال سبحانه ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (٣) .

وهذا الواجب دافعه أيضاً إجهاض الهدف الذى يسعى إليه إبليس ودعاة التغريب فى « إيجاد خصومة بين الرجل والمرأة » والذى أشار إليه الحديث الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن جابر - رضي الله عنه - قال . قال رسول الله (ﷺ) : « إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منزلة عنده أعظمهم فتنة يجئ أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا .

---

(١) مقال بجريدة الأهرام المصرية للاستاذ / أحمد عبد العاطى حجازى بتاريخ ٣٠ / ٧ / ٢٠٠٣ .

(٢) سورة الأنعام آية رقم : ٥٥ .

(٣) سورة الأنبياء آية رقم : ١٨ .

فيقول ما صنعت شيئاً : ! ثم يجئ أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويقول : نعم أنت » (١) .

ولهذا حذرنا الله سبحانه وتعالى منه فقال سبحانه ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

إن إبليس يعلم تماماً أن الفساد يأتى عن طريق إفساد المرأة، ولهذا يجند جنوده من ذريته ومن شياطين الإنس للقيام بهذه المهمة . كما أن انحراف بنى إسرائيل عن منهج الله وشرعه وتمزيقهم فى الأرض أمماً كان بسبب تقديسهم للجنس ونشر الإباحية وفتنة النساء قال سبحانه :﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣) .

وروى الإمام مسلم عن أبى سعيد الخدرى - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - (ﷺ) « اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء » (٤) .

إن فتنة النساء ببعدهن عن الله ومنهجه ومنهج رسوله (ﷺ) أعظم من أى فتنة ، وصلاح المجتمع منوط بصلاحها ، ونحن اليوم فى أمس الحاجة إلى الفتاة المسلمة التى تعرف دورها فى الحياة كما أراده الله لها ، وأن لاتكون أبداً مطية للباطل والظلم ، وقد جعلها الله تعالى مثلاً يحتذى به فى اتباع الحق وإعلانه قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ

(١) رواه مسلم : حـ ١٧ ، ص ١٥٧ حديث رقم : ٢٨١١٣ .
(٢) سورة البقرة آية رقم : ١٦٩ .
(٣) سورة المائدة آية رقم : ٧٨.
(٤) رواه مسلم :

فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١) .

لهذا كله وجدت أن الواجب العلمى يحتم على أن أكتب فى موضوع مكانة المرأة فى الإسلام متبعاً فيه المنهج العلمى القائم على ذكر النصوص من مصادرها الصحيحة مع التحليل والاستنتاج والاستنباط معتمداً على المصادر الأساسية ناسباً كل قول لقائله مستشهداً بالأحاديث الصحيحة وتخريجها والحكم عليها .

أما الخطة فقد قسمتها إلى مقدمة وثمانية فصول وخاتمة .

أما المقدمة فهى التى نحن بصددها

الفصل الأول : مكانة المرأة فى الحضارات القديمة

الفصل الثانى : مكانة المرأة عند أهل الكتاب

الفصل الثالث : مكانة المرأة عند دعاة التغريب

الفصل الرابع : تحقيق شخصية المرأة المسلمة

الفصل الخامس : مكانة المرأة المسلمة فى ظل التشريع الاسلامى

الفصل السادس : المكانة العلمية للمرأة المسلمة

الفصل السابع : المكانة الدعوية للمرأة المسلمة

الفصل الثامن : شبهات باطلة حول مكانة المرأة فى الاسلام

ثم الخاتمة .

والله وحده أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الباحث

محمد سعد على شعيب

---

(١) سورة التحريم آية رقم ١٢ .

الفصل الأول
المرأة فى الحضارات القديمة

المبحث الأول : مكانة المراة فى الحضاره المصرية القديمة .

المبحث الثانى : مكانة المراة فى الحضارة البابلية .

المبحث الثالث : مكانة المراة فى الحضارة الفارسية .

المبحث الرابع : مكانة المراة فى الحضارة الهندية .

المبحث الخامس : مكانة المراة فى الحضارة الصينية واليابانية .

المبحث السادس : مكانة المراة فى الحضارة اليونانية

المبحث السابع : مكانة المراة فى الحضارة الرومانية

المبحث الثامن : مكانة المراة عند العرب قبل الإسلام

المبحث الأول

المرأة في حضارة مصر القديمة :-

حضارة مصر القديمة من أقدم حضارات العالم وقد كانت كما يرى كثير من الباحثين على جانب كبير من التقدم والرقى بالنسبة لغيرها من الحضارات الأخرى ، ومن المتوقع لحضارة كهذه أن يكون للمرأة مكان متميز مواكب لهذا التقدم . والذين كتبوا عن هذه الحضارات دائماً يشيرون إلى مركز المرأة المتميز فى هذه الحضارة ، وأنا لا أرى هذا التمييز خاصة إذا نظرنا إليها من خلال نظرة الإسلام للمرأة ، بل كان يوجد فيها ما يقزز النفس فقد كان القانون المصرى يسمح للملك أن يتزوج أخته وأحياناً ابنته ، كما كان يضاجع قريباته ، وكان له إلى جانب ذلك عدد كبير من بنات الأعيان أو ممن أهداهن إليه الأجانب. من ذلك أن أحد أمراء بلاد « نهرينا » أهدى إلى « أمنحوتب الثالث » ابنته الكبرى وثلاث مائة من صفوة الفتيات » (١) .

فهل هذا يعد تكريماً للمرأة ؟ أو هل يتوقع أن يكون للمرأة مكانة وسط هذا الجمع الحاشد من الموقوفات على رغبات الملك الجنسية ؟ كيف يكون لها مكانة وهى تقدم كهدية لا تملك من أمر نفسها شئ بين المئات من النساء ؟ .

ولم يكن هذا شأن الملوك وحدهم ، وإنما الناس دائماً على دين ملوكهم حيث انتقلت عادة الزواج بالأخوات إلى النبلاء والأمراء فأسرفوا فى اتخاذ النساء ثم انتقلت إلى القادرين من الناس (٢) .

---

(١) انظر : ول ديورانت : قصه الحضارة جـ ٢ من المجلد الأول صـ ٩٥ .

وقد أثارت هذه المهانة أحد المدافعين عن الحضارات القديمة فى التلطيف من هذه النظرة المقززة بقوله : « إن زواج بعض الملوك من أخواتهم كان مرجعه إلى أن نظرية تولى العرش فى مصر إنما كانت تجعله وقفاً على من تكون أمه من نسل ملكى ، وكذلك يجب أن يكون أبواه ، ولعل هذا هو السبب فى زواج الأخ بأخته الذى لجأ إليه بعض الفراعنة لتأكيد صفاء الإلهية ولتقليل عدد المتطلعين إلى العرش » (١)

وهذا الدفاع باطل من وجوه : ـ

١ ـ إذا كان الأمر كما يقول : مرجعه نظرية تولى العرش ، فلماذا كانت الوقوفات الكثيرة من النساء الغريبات تقدم للملك كهدية . ؟

٢ ـ وما هو سبب مشاركة الأمراء ومنافساتهم للملوك فى نكاح الكثيرات من النساء بدون زواج ؟ !

٣ ـ ولماذا كانت هذه الوصايا للمقبلين على الزواج كما يقول الحكيم آنى : احذر أن تسير فى ركاب أنثى أو تتركها تسيطر على فكرك ... لا تأخذ كلام المرأة فى بالك ... لاتفتح قلبك لزوجتك وإلا ذاع سرك .. إذا استنشق الرجل عبير المر والعافية كانت امرأته قطة فى حضرته ... ولكن إذا مرض انقلبت امرأته لبؤة فى حضرته ... وإذا جعلت امرأتك حارسة على مالك تطلعت إليه دوماً ، ولاتثق بها كل الثقة

إذا لم تعتن المرأة بمقتنيات زوجها كان هناك رجل آخر يشغل بالها .

---

(١) دراسات فى حضارات الشرق الأدنى القديم دكتور أحمد أمين سليم صـ ١٤ .

بل إن أدب القصة فى مصر القديمة خاصة فى الأسرة الثالثة جاءت بأمثلة يندى لها الجبين خجلاً مما كانت تفعله المرأة فى بيوت الملوك والأمراء والكهان وعامة الناس » (١) .

ولذلك يؤخذ على تلك الحضارة مايلى : ـ

١ ـ المكانة الدونية التى كانت تعيش فيها المرأة والتى كان ينظر إليها من خلالها من جميع طبقات الشعب .

٢ ـ أن المرأة هى التى كانت تخطب الرجل كما دلت على ذلك قصائد الغزل ورسائل الحب فقد كان أغلبها موجه من المرأة إلى الرجل ، فهى التى تطلب تحديد مواعيد اللقاء ، وهى التى تتقدم بالخطبة إلى الرجل مباشرة ، وهى التى تعرض عليه الزواج .. الخ .

٣ ـ كان الحديث فى الشئون الجنسية فى ظل الحضارة المصرية القديمة صريحاً غاية الصراحة مكشوفاً بعيداً عن كل درجات الحياء : يقول ول ديورانت : « نرى أن الحياء لم يكن من صفات المصريين البارزة فقد كانوا يتحدثون عن الشئون الجنسية بصراحة لم نعهدها فى التقاليد الأخلاقية المتأخرة عن عهدهم » (٢) .

٤ ـ كانوا يزينون هياكلهم بصور ونقوش قليلة البروز يظهر فيها أجزاء الجسم كلها واضحة أتم الوضوح ، وكانوا يقدمون لموتاهم من الأدب الفاحش مايسليهم فى قبورهم ! !

---

(١) انظر المصدر السابق صـ ٢٦ .

(٢) قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول صـ ٩٨ .

٥ ـ كان اتصال الفتيان والفتيات قبل الزواج أمرا ميسراً دون أى قيود .

٦ ـ كانت الراقصات العاريات يقبلن فى أرقى طبقات المجتمع دون غضاضة ، وكان تقديم المتع الجنسية فى بعض الحفلات مما لا مؤاخذة فيه . وكن يرتدين ملابس شفافة أو يكتفين أحياناً بالتزين بالخلاخل والأساور والأقراط (١) .

٧ ـ وكان هناك فسوق باسم الدين يباركه رجال الدين ، وكانت المرأة تحمر وجهها وشفتيها وتلون أظافرها ، وتمشى عارية أحياناً ومغطية ما تحت السرة إلى الركبة أحياناً أخرى !!

هكذا كانت هذه الحضارة التى يقول عنها ول ديورانت « لقد كانت مصر شبيهة بحكومة نابليون حتى فى مضاجعة الملك لأقاربه ، وكثيراً ما كان الملك يتزوج أخته ، بل كان يحدث أحيانا أن يتزوج ابنته ... وظلت هذه العادة عدة ألاف من السنين ، وانتقلت عادة الزواج بالأخوات من الملوك إلى عامة الشعب ، حتى لقد وجد فى القرن الثانى بعد الميلاد أن ثلثى سكان مدينة « أرسينوئى » يسيرون على هذه السنة . وكان معنى لفظى أخ وأخت فى الشعر المصرى القديم كمعنى حبيب وحبيبة فى أيامنا هذه (٢) .

فهل يوجد فى وسط هذا العفن الخلقى مكانة تكريم للمرأة ؟

إن دعاة التغريب يعملون جهدهم لإعادة المرأة المسلمة إلى هذه الجاهلية العمياء التى تسمح بأن يكون الحديث فى الشئون الجنسية صريحاً مكشوفاً

---

(١) المصدر السابق صـ ٩٩ .
(٢) المصدر السابق صـ ٩٥ .

بعيداً عن كل درجات الحياء ، بل ويكون الاتصال بين الفتيان والفتيات قبل الزواج أمراً ميسراً دون أى قيود .

ياقومنا : إن الإسلام هو الذى أنقذ المرأة من هذه الهوة السحيقة التى كانت تعيش فيها فحقق لها إنسانيتها ، وأعاد إليها كرامتها، وجعلها كالدرة الثمينة فى وسط صدفتها .

المبحث الثانى

٢ ـ مكانة المرأة فى الحضارة البابلية

لم تكن الحضارة البابلية أحسن حالاً من الحضارة المصرية ، بل كانت أسوأ بكثير كما سجل ذلك المؤرخون القدامى يقول هيرودوت مصوراً ما كانت عليه المرأة البابلية كان « ينبغى لكل امرأة بابلية أن تجلس فى هيكل الزهرة مرة فى حياتها ، وأن تضاجع رجلاً غريباً ، وكان منهن كثيرات يترفعن عن الاختلاط بسائر النساء لكبريائهن الناشئ من ثرائهن فهؤلاء يأتين فى عربات مقفلة ويجلسن فى الهيكل ومن حولهن عدد كبير من الحاشية والخدم أما الكثرة الغالبة منهن فيتبعن الطريقة الآتية : تجلس الكثيرات منهن بهيكل الزهرة وعلى رؤسهن تيجان من الحبال بين الغاديات والرائحات اللاتى لاينقطع دخولهن وخروجهن ، وتخترق جميع النساء ممرات مستقيمة فى كل الجهات ، ثم يمر فيها الغرباء ليختاروا من النساء من يرتضون فإذ ا جلست امرأة هذه الجلسة كان عليها ألا تعود إلى منزلها حتى يلقى أحد الغرباء قطعة من الفضة فى حجرها ، ويضاجعها فى خارج المعبد ... ومهما يكن عن صغر القطعة الفضية فإن المرأة لايجوز لها أن ترفضها ، فهذا الرفض يحرمه القانون لما لها فى نظرهم من قداسة . وعلى المرأة أن تسير وراء أول رجل يلقيها إليها ، وليس من حقها أن ترفضه أياً كان ، فإذا ما ضاجعته وتحللت مما عليها للآلهة والزهرة ، عادت إلى منزلها .... ومن كانت من النساء ذات جمال وتناسب فى الأعضاء لا تلبث أن تعود إلى دارها أما المشوهات ، فيبقين فى الهيكل زمناً طويلاً وذلك لعجزهن عن الوفاء بما يفرضه عليهن القانون ، ومنهن من ينظرن ثلاث سنين أو أربعاً ...

ويتساءل ول ديورانت فيقول :هل هذه السنة كانت من بقايا الشيوعية الجنسية (١) ؟

وظلت هذه الدعارة المقدسة عادة متبعة فى بلاد بابل حتى ألغاها قسطنطين حوالى ٣٥٠ ق . م . وكان فى جانبها عهر مدنى منتشر فى حانات الشراب التى تديرها النساء وكان يسمح للبابلين فى العادة بقسط كبير من العلاقات الجنسية قبل الزواج ، ولم يكن يضن على الرجال والنساء أن يتصلوا اتصالاً غير مرخص به - أى بزواج تجريبى - ينتهى متى شاء أحد الطرفين أن ينهيه ! ! .

وكانت المرأة تباع كأى سلعة . يحكى هيرودوت قائلاً : « إن من كانت لهم بنات فى سن الزواج يأتون بهن مرة كل عام إلى مكان يجتمع فيه حولهن عدد كبير من الرجال ، ثم يصفهن دلاَّل عام ويبعهن جميعاً واحدة فى إثر واحدة فينادى على أجملهن أولاً ، وبعد أن يقبض ثمنها عالياً ينادى على من تليها فى الجمال) (٢) .

وكان من أنظمة البابليين أن الزوج إذا غاب عن زوجته فى عمل أو حرب زمناً ولم يترك لها ما تعيش به كان لها أن تعيش مع رجل آخر ، دون أن يحول ذلك من الوجهة القانونية بينها وبين عودتها مرة أخرى إلى زوجها الأول بعد عودته من غيبته ! ! (٣) .

وكان الطلاق من حق الزوج ، أما المرأة إذا قالت لزوجها لست زوجى فقد وجب قتلها غرقاً ! ! (٤) .

---

(١) راجع ول ديورانت قصة الحضارة جـ ٢ صـ ٢٣٠ .
(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول صـ ٢٣٢ .
(٣) المصدر السابق صـ ٢٣٣ .
(٤) المصدر السابق صـ ٢٣٢ .

بل من العجيب المذهل أن البابلى كان له الحق فى خنق زوجته إذا قل طعامه . يقول هيرودوت : إن البابليين كانوا إذا حوصروا يخنقون زوجاتهم حتى لايستهلكن مالديهم من طعام (١) .

ويوضح الفيلسوف الأمريكى « ول ديورانت » سبب هذا الانهيار الخلقى بقوله :" وصلت هذه الرقة إلى البابليين تحت ستار الانحلال المخنث : فكان الشبان يصبغون شعورهم ويعقصونه، ويعطرون أجسامهم ويحمرون خدودهم . ويزينون أنفسهم بالعقود والأساور، والأقراط، والقلائد .. وتحرروا أيضاً من جميع القيود الخلقية ، وسرت عادات العاهرات إلى جميع الأوساط ، وأضحت نساء الأسر الكبيرة يرين أن إظهار محاسنهن أيًّا كانت ليستمتع بها أعظم استمتاع أكبر عدد مستطاع . أصبحن لايرين فى هذا شيئاً أكبر من مجاملة عادية (٢) .

ويقول هيردوت عن البابلين إن « كل رجل من عامة الشعب إذا عضه الفقر ، عرض بناته للدعارة طلباً للمال »

وكتب كونتس كورتيس عام ٤٢ ب . م يقول : « ليس ثمة أغرب من أخلاق هذه المدينة . فلسنا نجد فى أى مكان آخر مانجده فيها من تهيئة كل شئ على خير وجه لإشباع الملذات الشهوانية « لقد فسدت الأخلاق وانحلت .. وانهمك أهل بابل فى ملذاتهم فرضوا أن تخضع مدينتهم للكاشيين والأشوريين والفرس واليونان (٣) .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٣٤ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٣٤ .

تعقيب : من المسلمات الواضحة أن المجتمع يقوى بقوة أفراده وينهار بضعفهم ، وأن المجتمعات لاتنهار إلا بسبب انهيارها الأخلاقى ، ولذلك نعلم أن محاولات الاسترخاء والتميع والتخنث والطراوة والتحايل على حواجز الوقاية والضبط لاتعود على الفرد والمجتمع إلا بأوخم العواقب وهذا ما حصل للمجتمع البابلى حيث أصبحت الدعارة المقدسة تعم المجتمع كله

* فمن الإهانة التى كانت تدفع لها المرأة فى الحضارة البابلية ما كان يعرف بالدعارة المقدسة التى كانت تتنافس فيها جميع النساء فى مضاجعة الرجال الغرباء داخل المعابد والتى أخذت عدة أشكال منها :

* دعارة تقف فيها العاهرات فى طرقات مستقيمة ليمر فيها الرجال الذين يبحثون عن الحسناوات لأخذهن خارج المعبد مقابل قطعة من النقود ولا يجوز للمرأة أن تمتنع مهما كانت قيمة هذه النقود ! !

* من الإهانة التى كانت تجبر عليها المرأة أنه لايسمح لها بالعودة إلى البيت إلا بعد أن تمارس الفاحشة ولو جلست فى المعبد مرة أربع سنين .

* من الإهانة أيضاً أن المجتمع البابلى كان يسمح بممارسة الجنس التجريبى الذى ينهيه أحد الطرفين متى شاء .

* لم يعرف المجتمع البابلى معنى الزواج فكان يأخذ شكل البيع والشراء، فكانت المرأة تباع كأى سلعة ، بل كان يوجد مكان مخصص للفتايات اللاتى فى سن الزواج لبيعهن فيه ، ويقوم دلال ببيعهن واحدة إثر واحدة حسب درجات الجمال وبعد هذا البيع تنتهى علاقتها بأسرتها .

* لم يعرف الرجل البابلى حق الإنفاق على زوجته ولهذا كان من حقها

إذا غاب عنها ولم يترك لها معاشاً أن تعيش مع رجل آخر .

* لم يكن للمرأة فى المجتمع البابلى أى رأى بل كان يحكم عليها بالإعدام غرقا إذا رفضت زوجها، ولا شئ على الزوج إذا خنق زوجته عند قلة الطعام ! !

هكذا كانت نظرة المجتمع البابلى للمرأة نظرة دونية مهينة كالحة . فهل دعاة التغريب يدفعون المرأة المسلمة اليوم إلى مثل هذه الحالة ؟ حيث نراهم ينادون بنبذ التعاليم الدينية والتمرد عليها والانفتاح على الجنس حتى أن البعض منهم له كتابات تحت أسماء عجيبة مثل نظرة جديدة للجنس ، و « مزاج خاص» و « تعليم الجنس » و « التدريب على الجنس وركعتان للعشق » و « أحوال العاشق » « والوصايا فى عشق النساء » وعناوين أخرى كثيرة وجديدة جميعها يدعو إلى الانهيار الأخلاقى وصدق الله العظيم إذ يقول :
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم : ٣٣ .

المبحث الثالث
مكانة المرأة فى الحضارة الفارسية

كانت المرأة فى الحضارة الفارسية محتقرة منبوذة يجوز للرجل أن يستحل ابنته أو أخته ، أو أمه ، ويجمع بين الأختين ، وكان القانون الفارسى يشجع على كثرة النسل والتوالد للدفاع عن الدولة ، وذلك لأن الدولة دولة حرب ، والحرب تحتاج المقاتلين ، فلابد من تشجيع النسل والتوالد مع غض النظر عن طريقة التوالد .

ونستطيع أن نتبين مكانة المرأة فى ظل هذه الحضارة من خلال ما ذكره « ول ديورانت » عن « هيردوت » فى النقاط الآتية :

١ ـ كان الفرس يرون أن خطف النساء بالقوة عمل لايأتيه إلا الأشرار ، ولكن لايجوز للإنسان أن يشتغل بالثأر لهن إذا اختطفن وإلا اعتبر من الحمقى ، لأن الحكمة تقضى بإهمالهن إذا اختطفن

٢ ـ كان الآباء ينظمون شؤون الزواج لمن يبلغ الحلم من أبنائهم وبناتهم ، وكان مجال الاختيار واسعاً أمام الراغب فى الزواج ، فقد كان الأخ يتزوج أخته ، والأب يتزوج ابنته ، والابن يتزوج أمه .

٣ ـ كان القانون الفارسى يشجع البنات على أن لايظللن عذارى ، كما يشجع الرجال على أن لايبقوا عزاباً ، وذلك لأن الدولة دولة حرب ، والحرب تحتاج المقاتلين ، فلابد من تشجيع النسل والتوالد . وقد جاء فى قانونهم «الأبستان » « إن الرجل الذى له زوجه يَفْضُلُ كثيراً من لازوجه له ، والرجل الذى يعول أسرة يَفْضُلُ كثيراً من لا أسرة له ، والذى له أبناء يَفْضُلُ كثيراً من لا أبناء له ، والرجل ذو الثراء أفضل كثيرا ممن لاثروة له .

٤ ـ ومن أجل كثرة الأبناء أباح القانون التسرى (١) ، وكان التسرى صفة عامة فى الأغنياء والأشراف ، حتى كانوا لايخرجون إلى الحرب إلا ومعهم سراريهم .

أما الملك والأمراء فقد كانت قصورهم تعج بالسرارى ، حتى كان قصر الملك يضم عداداً من السرارى يساوى عدد أيام السنة فقد كانت عادة الملك ألا يضاجع امرأة مرتين إلا إذا كانت رائعة الجمال .

٥ ـ كانت العزلة مفروضة على المرأة فى أيام حيضتها ، عزلة تامة تتناول كل أمر فى حياتها الاجتماعية كلها ، فلا تخرج ولا يراها أحدٌ ولا ترى أحدا ، ولا تؤاكَل ولا تجالَس ! !

٦ ـ كانت المرأة المتزوجة تمنع من رؤية أى رجل ، حتى لو كان هذا الرجل أباها أو أخاها ، فضلاً عما سواهم من الأعمام والأخوال وسائر الأقارب الأكثر قربا منها

٧ ـ كان القانون يجعل الحمل من الزنا سواء أكانت الحامل زانية متزوجة أم غير متزوجة عملا لاعقاب عليه بل يغتفر دائما ، أما إذا أجهضت الحامل فإنها تعاقب أشد أنواع العقاب الذى كان يصل فى الغالب إلى عقوبة الإعدام .

٨ ـ ولم يكن أحد من الفرس يرحب بأن يرزق البنات ، لأنهن ينشأن لغير بيوتهن ، ويستفيد منهن غير آبائهن ، ومن أقوالهم المشهورة فى ذلك «إن

(١) التسرى : هو الزنا مع العشيقات أو أسيرات الحرب أو الزوجة التى يشتريها الزوج من أبيها أو من بين العبيد ، ويسمى حاليا « بوى فريند » : أى تكون المرأة أو الفتاة مع عشيق خاص بغير زواج وهذا ما ينادى به دعاة التغريب

الرجال لا يدعون الله أن يرزقهم بنات ، والملائكة لا تحسبن من النعم التى أنعم به على بنى الإنسان .

٩ – ومن العادات التى كانت متبعة فى ظل هذه الحضارة الوثنية أن السرارى من النساء يقدمن للضيوف للمتعة والتسلية .

هكذا كانت المرأة فى الحضارة الفارسية مهضومة الحقوق ، وضيعة ، مستذلة ، مسلوبة الحرية والمكانة ، كسقط متاع فكيف كانت فى الحضارة الهندية ؟ هذا ما سوف نتعرف عليه فى المبحث القادم .

---

(١) انظر : قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول : ول ديورانت ص ٤٤١ : ٤٤٣
وانظر فقه : المرأة المسلمة للدكتور على عبد الحليم محمود ص ٣٦ ، ٣٧ .

المبحث الرابع
مكانة المرأة في ظل الحضارة الهندية .

الناظر فى الحضارة الهندية يجد أنها تقوم على النظام الطبقى فى المجتمع ولكل طبقة قانون أخلاقى خاص بها، وإلى جانب هذا يوجد قانون أخلاقى عام يقوم على عدة أسس هى : ـ

١ ـ احترام طبقة البراهمة (١) .

٢ ـ تقديس البقر .

٣ ـ وجوب زيادة النسل .

٤ ـ اعتبار الإجهاض جريمة تساوى فى فداحتها قتل برهمى .

٥ ـ زواج الأطفال إجبارى للجميع .

٦ ـ الرجل الأعزب طريد المجتمع .

كان الزواج فى الهند مجرد عملية بيع وشراء بل كانت الكلمة الهندية التى يستخدمونها للتعبير عن الزواج هى ذات الكلمة التى يستخدمونها

---

(١) البراهمة هم رجال الدين الذين يبينون أحكامه ويذكرون قضاياه ويزعمون أنهم خلقوا من رأس الإله براهما ، ولذلك يعتبرون فى المجتمع الهندى الذين يدينون بالبرهمية من أعلى الناس وخلاصة الجنس البشرى ، وهم عقل الإله المفكر ورأسه المدبر .

والناس فى نظر الديانة البرهمية ليسوا سواء لامن حيث العبادة أو الزهادة أو طلب الزلفى ، بل هم مختلفون من حيث الطبقات والأعمال وما يمتهنون من مهن ويدينون بعقيدة التناسخ وأن الروح الواحدة تحل فى عدد من الأجسام وأن الشخص قد تكون روحه قد حلت فى عدد من الأجسام قبله ، وأن الناس ينقسمون من حيث أصولهم وأنسابهم إلى أربع طبقات : ـ

الطبقة الأولى ، وهى طبقة البراهمة الذين يزعمون أنهم خلقوا من رأس الإله .

الطبقة الثانية : طبقة الجند ، ويزعمون أنهم خلقوا من مناكب براهما ويده وهم لهذا الحماة والغزاة والقوة وهم دون مرتبة البراهمة .

الطبقة الثالثة : طبقة الزراع والتجار وهم خلقوا من ركبتى الإله براهما بزعمهم والمسافة بينهم وبين الطبقة التى تسبقهم كبيرة جداً .

الطبقة الرابعة : وهم طبقة الخدم وهؤلاء خلقوا من قدمى الإله . راجع الديانات القديمة للإمام محمد أبو زهرة صـ ٤٥ ـ ٤٦ .

للتعبير عن الشراء ، ويصف لنا « سترابو نقلاً عن « أرستيولس » بعض عـاداة الزواج عند الهنود قـائلاً إن أولئك الذين كـانوا يعـجـزون عن تزويج بناتهم بسبب الفقر يسوقونهن إلى ساحة السوق حيث يقفن عاريات ، ثم يروحـون يحشدون الرجال حولهن حشداً بواسطة الأبواق والطبـول ، فإذا أعجبت إحداهن رجلٌ أخذها وانصرف . وكان يباح فى الهند الزواج أيضاً بالاغتصاب ..... وكان على الفتى أن يسارع إلى شراء زوجة أو اختطافها اختطافاً وكان على الفتاة أن تسارع إلى الدخول فى كنف زوج بأى وسيلة كانت (١) ! !

١ ـ لم يكن للمرأة الحق فى اختيار الزوج ، فضلاً عن حقها فى رفضه عند وجود الأسباب التى تستلزم الرفض ، لأن الآباء كانوا يزوجون بناتهم وهن أطفال ، بحجة أن الزواج لاينبغى أن يترك للعواطف ولا للمصادفات بل ولا للأقـدار .... وفى ظل هذا النظام حـرمت المرأة من أبسط حـقـوقـهـا الإنسانية فى قبول الزوج أو رفضه عند وجود الأسباب .

إنها بذلك النظام قد سلبت إرادتها تماماً

٢ ـ فرض على بعض النساء فى ظل هذه الحضارة أن يكن خادمات للإله أو خادمات للمعبد ، ومقتضى ذلك أن تمارس هؤلاء النسوة الدعارة علناً ، وتسمى عند الناس دعارة مقدسة ، لأنها تحقق المتعة لرجال الدين الكهنة البـراهمـة ، ثم لكل من يدفع أجـراً من الناس . وكـان يشـتـرط على هؤلاء الداعرات أن تدفع جزءاً من هذا الأجر إلى رجال الدين ! !

ولم يكن المجـتـمع ينظر إلى هؤلاء الداعـرات بأى إزدراء وإنما كـان يحترمهن ، بدليل أن بعض النساء المحترمات كن يدفعن ببناتهن إلى هذه الدعارة المقدسة فى المعابد ! !

---

(١) انظر زكى شنودة موسوعة تاريخ الأقباط ج ٧ ص ١٠٧ – ١٠٨ .

٣ - وكان على بعض النساء واجبات رسمية فى المعابد تتكون هذه الواجبات من الرقص والغناء داخل المعبد مرتين كل يوم ، وكن يؤدين الرقص بطريقة تثير الشهوات ، كما كان الغناء يشتمل على أشعار فاحشة تصف مامر فى تاريخهم وتاريخ آلهتهم من حوادث الإباحة الجنسية ! !

٤ - أباحت نظم الحضارة الهندية ثمانية أصناف من الزواج ، كلها لا تضمن للمرأة احتراماً ولا مكانة وهذه الأصناف من الزواج منها

أ - الزواج بالاغتصاب

ب - الزواج بالحب

جـ - الزواج بالشراء

د - الزواج فى الطفولة بأمر الوالدين

هـ - الزواج بأكثر من واحدة على أن تتسيدهن إحداهن إن كانت من نفس طبقة الرجل الاجتماعية .

٥ - وكانت المرأة خاضعة ذليلة لرجل دائماً سواء أكان الأب وهى بنت أم الزوج وهى زوجة ، أم الابن وهى أم وتخضع للكاهن البرهمى ترفه عنه بالعهر المقدس ، فهى مخلوق أقل من الرجل على كل حال وتقول « أسا » إن الخالق - عندهم - عندما أراد أن يخلق المرأة وجد أن مادة الخلق كلها قد استنفذت، فصاغ المرأة من جذاذات وقصاصات تناثرت من عمليات الخلق .

٦ - وكان على الزوجة أن تتفانى فى خدمة زوجها وطاعته والصبر على المكاره معه بل إن عليها أن تخدم زوجها كما لو كان إلها ، يقول مانو فى ذلك : إن الزوجة الوفية ينبغى أن تخدم سيدها كما لو كان إلهاً ... حتى إن خلت من كل الفضائل ، أما الزوجة التى تعصى زوجها فمالها أن تتقمص روحها جسد ابن آوى فى خلقها التالى ؟

٧ - وكان التعليم محرماً على المرأة، وما كان يسمح بتعليم القراءة وحدها فضلاً عن سائر العلوم إلا لسيدات الطبقات الراقية أو لزانيات المعبد لأن

هذه الحضارة ترى أن التعليم ينقص من فتنة المرأة ويقلل قدرتها على إثارة شهوة الرجل، والأصل فيها أن تكون متفرغة لإثارة شهوة الرجل، حتى يكون النسل الذى يرونه ضرورياً .

٨ ـ وكانت المرأة إذا كانت زوجة لبرهمى يحال بينها وبين دراسة الفلسفة، اعتقاداً منهم أن المرأة إذا درست الفلسفة استطاعت أن تنظر إلى اللذة والألم والحياة والموت نظرة فلسفية .

٩ ـ ليس للمرأة بحال من الأحوال أن تطلب الطلاق من زوجها مهما تكن الأسباب ، وللزوج الحق فى أن يتزوج عليها ما شاء من النساء دون رغبتها ودون طلاقها .

١٠ ـ من الواجب على المرأة أن تلقى بنفسها فى النار لتحترق فوق الكومة التى تعد لتحرق فيها جثة زوجها بعد موته ، فإن كان الذى مات متزوجاً بأكثر من واحدة ، فإن عليهن جميعاً أن يَمُتْنَ على محرقته ، ويسمون هذه العادة عندهم « السوتى» ويقولون إن ذلك دليل على أبدية الرابطة الزوجية .(١)

هكذا كانت المرأة فى الحضارة الهندية مهينة مستعبدة ذليلة فهل دعاة التغريب لايعجبهم إلا أن تكون المرأة المسلمة كمثيلتها الهندية فى الرقص والغناء الفاحش والإنغماس فى التحلل والعهر والدعارة تحت دعاوى التحرير والمساواة ؟ فـ ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الأحقاف آية رقم ٣١ : ٣٢ .

المبحث الخامس
مكانة المرأة فى الحضارة الصينية واليابانية

الناظر إلى مكانة المرأة فى حضارة الصين القديمة يجد أنها لم تختلف عن غيرها فى الوضع المهين للمرأة ، حيث إنها مطالبة بالطاعة العمياء للرجل بأن تنظر إليه كنظرتها للإله الذى يعبد وكان من حق الآباء أن يتركوها فى البيداء ليقضى عليها الصقيع ، ومن حق الزوج أن يبيع زوجته إذا ألجأته إلى ذلك ضرورة . يقول الدكتور على عبد الحليم محمود : إن مكانة المرأة فى الحضارة الصينية تنحصر فى عدة نقاط : ـ

١ ـ كانت الأسرة التى تنجب عدداً يفوق حاجاتها من البنات وتضيق بهن أو بإعالتهن، تتركهن فى الحقول ليقضى عليهن الصقيع أو تقتلهن الحيوانات الضارية ، تفعل ذلك دون أن تشعر بأى ندم أو أسف كأنها تخلصت من شر أو مرض ! !

٢ ـ وكانت النظم الاجتماعية الصينية تعد النساء للقيام بإشباع الشهوات الجنسية عند الرجال عن طريق الزنا ، وتضع لذلك تشريعات تعترف للرجل والمرأة كلاهما بالحق فى ممارسة الزنا !!

٣ ـ ولم يكن يسمح للبنت بأن ترى من سيتزوجها إلا ليلة الزفاف ، وكان النظام الاجتماعى يقضى بأن تظل خادمة فى بيت زوجها حتى يحررها الموت من هذه الخدمة .

كما كان يقضى هذا النظام بحق الرجل فى بيع زوجته إذا ألجأته إلى ذلك ضرورة ، وكثيراً ما كانت الضرورات الملحة ، وكان عقد الزواج والحالة كذلك عقد ذل وعبودية ، وكأن التى قبلت الزواج من رجل قد ملكته رقبتها وحريتها .

٤ ـ كانت المرأة الصينية لاتستطيع أن تشارك زوجها فى الطعام ، وإنما يأكل وحده ، وتقوم هى على خدمته أثناء الطعام ، ولا تأكل إلا ماتبقى منه من طعام . وكان من الواجب عليها أن تبحث لزوجها عن المحظيات وتقدمهن هى لزوجها طلباً لرضاه عنها ، وكان هؤلاء المحظيات زوجات من الدرجة الثانية .... وكانت الزوجة الأولى تعد رئيسة لهؤلاء .

٥ ـ ومن أسباب مذلة المرأة الصينية عدم إنجابها الذكور لأن الصينيين يرون أن إنجابهم من الواجبات الدينية لتقديم القرابين لهم بعد وفاتهم ، إذ لايجوز أن يقرب القرابين للآباء والأسلاف إلا الذكور .

ولم تكن المرأة تحترم أو تكرم أو تقدر من زوجها لجمالها أو لثقافتها أو لتفانيها فى خدمة زوجها وأمه وإنما تكرم لسبب واحد وهو أن تكون كثيرة ولادة البنين .

٦ ـ وأصدق ما يمثل مكانة المرأة فى ظل الحضارة الصينية مالخصته إحدى بنات الطبقة العليا فى رسالة ذائعة الصيت فى الأدب الصينى تقول فيها : « نشغل نحن النساء آخر مكان فى الجنس البشرى ، ونحن أضعف قسم من بنى الإنسان ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال » وقد عبر عن مكانتها كذلك شاعرهم « يشوان » إذ يغنى قائلاً : « ألا ما أتعس حظ المرأة . ليس فى العالم أى شئ أقل قيمة منها . أما البنت فإن أحداً لا يسر بمولدها ولا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها » (١) .

---

(١) راجع ول ديورانت : (قصة الحضارة ج ٤ ص ٢٧٤ والمرأة المسلمة وفقة الدعوة للدكتور على عبدالحليم محمود ص ٣٢ - ٣٣ .

المبحث السادس

مكانة المرأة فى الحضارة اليونانية .

كان وضع المرأة فى الحضارة اليونانية شبيهاً بوضعها فى الحضارة الفارسية فالزواج بها يتم عن طريق الشراء ، كما كانت العفة غير مطلوبة من المرأة حتى قبل أن تتزوج ويمكن أن نتبين مكانتها فى الأمور الآتية :

١ ـ كانت المرأة لاتعرف الحجاب ولا القرار فى البيت ، وإنما كانت تتاح لها الحرية الكاملة فى أن تخالط الرجال وتجالسهم ، بل وتشترك معهم فى مناقشات حادة .

٢ ـ كان الزواج فى جميع العهود اليونانية يتم عن طريق الشراء ، فمن يدفع الثمن الأكبر من الرجال فى إحداهن يتسلمها وكان الثمن عدداً من الثيران ، أو ما يساويها من المال .

٣ ـ كانت القيم الخلقية السائدة فى العصر الذهبى للحضارة اليونانية تعترف بصراحة للرجال والنساء بأن العلاقات الجنسية هى أساس الحب ، وأن العفة لم تكن مطلوبة من المرأة .

٤ ـ كانت الأعياد الدينية فرصة لتحرر الناس جميعاً من القيود فى العلاقات الجنسية بين الرجال والنساء ، لاعتقادهم أن هذه الحرية الجنسية تيسر للرجال فيما بقى من العام أن يقتصر على زوجة واحدة

٥ ـ كان القانون يبيح للناس الاتصال بالخليلات ، ولا يرى الناس فى ذلك شيئاً من العار ، والخليلة عشيقة ينعم بها الرجال من غير زواج ، وكانت المرأة لاتلوم زوجها على اتخاذ خليلات .

٦ ـ كانت الدولة تعترف بالبغاء رسمياً وتفرض على البغايا ضريبة تؤدى

للدولة ، مما جعل العهر مهنة تجد رواجاً بين النساء وتحقق أرباحاً وتعتبر مورداً اقتصادياً هاماً .

وكانت مهنة العاهرات درجات ، بعضها أرقى من بعض وأرقاها عندهم : طبقة الرفيقات .. وكانت هذه الطبقة تمارس هذه الفعلة فى بيوتها وتستقبل فيها من تستطيع أن تغويه من العشاق . وكان القانون يفرض عليهن ثياباً منقوشة بالورود ، والطبقة الثانية طبقة العازفات على القيثارة وكان لهذه الطبقة مدرسات ومدارس .

والطبقة الأخيرة : طبقة العاهرات ولهن مساكن خاصة عليها علامات وقحة تدل عليها

هكذا كانت مكانة المرأة فى ظل الحضارة اليونانية التى فتن بها الكثير من العلمانين .

المبحث السابع
مكانة المرأة فى الحضارة الرومانية

إن مكانة المرأة فى ظل الحضارة الرومانية كانت فى غاية السوء خاصة فى عهد الأبيقوريين (١) ، والرواقيين . فقد كانت محرومة من كل الحقوق . ففى داخل الأسرة لم يكن للمرأة أى وزن ، وكانت « سلطة الأب فى الأسرة الرومانية مطلقة من كل القيود .. وكان الأب وحده دون أفراد الأسرة هو الذى له حقوق قانونية ، فهو وحده الذى كان من حقه أن يشترى الملك ويحتفظ به أو يبيعه ، وأن يتعاقد باسمه ، وكان فى مقدوره أن يحكم عليها بالإعدام إذا خانته أو سرقت مفاتيح خزائن خمره .

١- تنسب الأبيقورية إلى « أبيقورس » الفيلسوف الأثينى الذى عاش بين عام ٣٤١ : ٢٧٠ ق . م ، واشتهرت الأبيقورية بكونها مذهب الانغماس فى الملذات وخاصة اللذة الجسمية ومذهب « أبيقورس » مادى على مذهب ديمقريطس وهو مادى فى الأخلاق أيضاً وكذلك فى مذهبه الاجتماعى ، فهو لايعتقد بالعدالة نظاماً طبيعياًوإنماهو يرى أن المنفعة هى القانون الطبيعى !!

ويقرر أبيقورس : أن غاية الحياة هى اللذة المستمرة التى تتحول إلى سعادة نفسية . وفى جذور هذه السعادة تتحقق الفضائل المعروفة بين الناس وقد نظر أبيقورس إلى الحيوان على كونه يسعى إلى اللذة ، بدافع طبيعى ، من دون تفكير ، فالطبيعة هى التى تتحكم فى الأمور بحسب الأشياء التى تناسبها ، وحتى بائنة زوجة كانت فى ذلك العهد ملكا له ، وإذا اتهمت زوجته بجريمة أحيلت إليه ليحاكمها ويعاقبها بنفسه وأن هذا ينطبق على الإنسان أيضاً . فإذا كان الهدف هو اللذة والابتعاد عن =

وكان له على أبنائه حق الحياة أو الموت أو يبيعهم فى الأسواق بيع الرقيق

وكان كل ما يكسبه الابن يصبح فى نظر القانون ملكاً خالصاً لأبيه .

= الألم فالوسيلة إلى هذا الهدف هى فضيلةوعلى العقل والحكمة توجيه الإنسان للوصول إلى الغاية المنشودة ، واللذة ليس لها وصف جميلة أم قبيحة، شريفة أم خسيسة ، لأن كل لذة خير، وكل وسيلة إلى اللذة خير ، واللذات إذا تعدت نطاق الاعتدال إلى الألم فمن الضرورى إزالتها والابتعاد عنها أماالألم إذا وصل إلى لذة عظيمة فمن الطبيعى القبول به وهكذا قسم أبيقورس اللذات إلى ثلاثة أقسام :

الأولى : اللذات الصادرة عن حاجة طبيعية ، مثل الطعام والشراب والجنس .

الثانية : لذات صادرة عن حاجة طبيعية ولكنها غير ضرورية ، مثل التلذذ الزائد عن الحاجات الطبيعية ، كالترفيه فى الطعام والشراب .

الثالثة : اللذات الصادرة عن نزعات غير طبيعية ، وليست ضرورية ، مثل لذة المال والمناصب الاجتماعية .والإنسان الحكيم هوالذى يحقق اللذات الأولى لأنها أبسط اللذات وأشدها ضرورة للإنسان وأهم ما يلفت الانتباه نظرة أبيقورس إلى الموت . فالموت هو من صنع المخيلة . والإنسان الحكيم لا يخاف من الموت ، لأن وجود الإنسان بوجود الجسد وزواله بزواله فالموت هو زوال الجسد . لذلك يفترض عدم الخوف من الموت لأن الخلودمستحيل. وعلى الإنسان أن يطلب اللذة بشكل دائم ومستمر بكل قدراته الجسدية والنفسية ومتى وصل إلى وقت يعجز فيه عن طلب اللذة وتحقيقها فعلية أن ينتحر .

هذه هى باختصار أهم آراء الأبيقورية والتى تتخلص اليوم فى الطروحات التالية : –

١– التقيد بالمادية .٢ – الاعتماد على التجربة .٣ – الإعتقاد بأن النفس مادة تموت بموت الجسد . ٤ – اعتبار الخير كله فى وجود اللذة والابتعاد عن الألم .

وفى الحياة العملية أصبحت الأبيقورية تعنى أنوا ع العيش الذى يسعى إليه الإنسان ليتمتع باللذائذ . أو الإفراط فى اللذات واستبعاد الاعتدال . وظهرت فى آثارالأدب والشعر فى مختلف البلدان وكانت أفكارهم تدعوإلى الاستمتا ع بالحياة الحسية قبل انتهاء العمر !! راجع : دروس فى تاريخ الفلسفة للدكتور إبراهيم بيومى ، ويوسف كرم ص ٣٩ وكلمات فى الحضارة للدكتور منصور عيد ص ٩ .

وكانت العادات المألوفة فى رومة تبيح للأب إذا ولد له طفل مشوه أو أنثى أن يقتله (١)

* ومن القيود التى كانت مفروضة على المرأة بقوة القانون أيضاً أنه يحرم عليها أن تظهر فى دار المحكمة ولو كانت شاهدة .

* وإذا مات زوجها ، أو ابنها ، أو وصى عليها لا تستطيع أن تتزوج أو تتصرف فى مالها بغير رضاه (٢)

* وكان الرجال فى روما لا يلامون على عدم العفة قبل الزواج ، وكانت العاهرات فى رومة بعد أيامها الأولى كثيرات ، ولكن كان يحرم عليهن لبس مئزر الأمهات وهو شعار الزوجة المحترمة . وقد ظهر فى رومة طائفة المحظيات من المومات لدى الطبقات العالية .

*** وكان للزواج أنواع ثلاثة منها :**

أ - زواج يسمى « بسن مانو » أى زواجاً يتبعه وضع العروس وما تملك تحت سلطان زوجها أو والده وكان هذا الزواج بإحدى طريقتين إما بالمعاشرة لمدة عام ، وإما بالشراء .

ب - وزواج يتم بأكل كعكة معاً و ويسمونه الكنفر ياشو .. ولا يتم إلا بين الأشراف (٣) .

---

(١) انظر : قصة الحضارة : ول ديورانت الجزء الأول من المجلد الثالث ص١١٩

(٢) المصدر السابق ص ١٢٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٣ .

وكانت المرأة إذا مات عنها زوجها لم ترث عنه شيئاً من ماله ، ولا يحق لها بحال أن تطالب بشئ منه ، فى حين لو ماتت هى آل إليه كل شئ ، وقد يسمح الزوج لها فى حياته أن ترثه بعد موته وقد لا يسمح .

وكانت المرأة فى أطوار حياتها تحت رقابة رجل ، فإذا كانت بنتاً ففى رقابة أبيها أو أخيها ، وإذا كانت زوجة ففى رقابة زوجها أو ابنها ، ولا يحق لها التصرف فى أموالها دون رضا هذا الولى أو الرقيب (١) .

(١) المصدر السابق ص ١٢٠

المبحث الثامن

مكانة المرأة عند العرب قبل الإسلام

أشار القرآن الكريم إلى نظرة المجتمع الجاهلي للأنثى ، حيث كانت في نظرهم عامل بؤس ووصمة عار « ومن خوف العار يدفن الرجل بنته في طفولتها ويستكثر عليها النفقة التي لايستكثرها على الجارية المملوكة والحيوان النافع ، وكانت قيمتها بين الذين يستحيونها ولا يقتلونها في طفولتها أنها حصة من الميراث تباع وترهن في قضاء المنافع وسداد الديون، ولا يحميها من هذا المصير إلا أن تكون عزيزة قوم تُعز بما تعز عندهم من زمار وجوار » (١) .

هكذا كانت نظرتهم إلى الأنثى إن بشر بها ظل وجهه مسوداً وهو كظيم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٢) كما كان للعرب في قتل البنت أساليب بشعة تقشعر منها الأبدان من هذه الأساليب ما يلي : -

١ - منهم من كان يترك البنت حتى يتم رضاعها ثم يدسها في التراب دونما رحمة تشملها أو عاطفة أبوة ترحمها

---

(١) عباس العقاد : المرأة في القرآن ص ٥٣ وانظر المرأة في ظل الإسلام دكتور حسن عبد الرؤف .

(٢) سورة النحل آية رقم ٥٨ - ٥٩ .

٢ – ومنهم من يتركها حتى تبلغ السادسة من عمرها ، ثم يقول لأمها طيبيها وزينيها ، ثم يأخذها وهى كذلك إلى الصحراء فيحفر لها حفرة ويقول لها انظرى فيها ثم يدفعها إليها ويهيل عليها التراب حتى تموت .

٣ ـ ومنهم من كان يذبحها ذبحاً ساعة الولادة .

٤ – ومنهم من يصعد بها فوق جبل شاهق فيلقى بها فتموت (١) .

وهذا الوأد لم يكن عند كل القبائل العربية بل كان عند بعض القبائل مثل تميم وقيس ، وأسد ، وهذيل ، وبكر بن وائل .

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على البؤس والاحتقار والمهانة للمرأة عند العرب قبل الإسلام . ولم تكن مهانة العرب فى جاهليتهم واقفة عند الوأد بل كانت تشمل كل جوانب حياة المرأة من ذلك : ـ

نظام الأنكحة : كان النكاح فى الجاهلية على أنواع :

١ ـ **نكاح الناس اليوم :** وهو أن يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ـ يؤدى مهرها ثم ينكحها .

٢ ـ **ونكاح الاستبضاع :** كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها ـ أى حيضها ـ أرسلى إلى فلان فاستبضعى منه ـ أى اطلبى منه الولد ـ ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها فإذا تبين أصابها إذا أحب ، فإنما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد ويسمى هذا النكاح الاستبضاع .

---

(١) انظر المرأة فى ظل الإسلام الدكتور حسن عبد الرؤف ص٢٤ .

٣ ـ **ونكاح الرهط** : يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال أرسلت إليهم فلن يستطع رجل أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، فتقول لهم : قد عرفتم ما كان من أمركم، وقد ولدت ، فهو ابنك يافلان ، تسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لايستطيع أن يمتنع الرجل .

٤ ـ **ونكاح البغايا :** يجتمع ناس كثيرون فيدخلون على المرأة لاتمتنع عمن جاءها ، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ووضعت جُمِعوا لها ودعوا لها القافة ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون فالناطة به أى نسب إليه ودعى ابنه لايمتنع من ذلك فلما بعث محمد ﷺ . بالحق هدم نكاح الجاهلية إلا نكاح الناس اليوم (١) .

٥ ـ **نكاح المقت :** من الأنكحة التى كانت موجودة لدى العرب فى جاهليتهم نكاح المقت والغضب : وهو أن يتزوج الولد امرأة أبيه .

قال الإمام القرطبى : « كان فى العرب قبائل قد اعتادت أن يخلف ابن الرجل على امرأة أبيه ، وكانت هذه السيرة فى الأمصار لازمة وكانت فى قريش مباحة مع التراضى ، ألا ترى أن عمرو بن أمية خلف على امرأة أبيه بعد موته ، وولدت له : مسافراً وأبا معيط ، وكان لها من أمية أبو العيض

(١) رواه البخارى ج١ ص ٢٤٨ ، باب لا نكاح إلا بولى . حديث رقم ٥١٢٧ .

وغيره ، فكان بنو أمية إخوة مسافر وأبى معيط .

كما أن صفوان بن أمية بن خلف تزوج بعد أبيه امرأته « فاختة بنت الأسود بن المطلب بن أسد » وكان أمية قتل عنها . كما تزوج منظور بن خلف زوجة أبيه .

وقال الأشعث بن سوار :توفى أبو قيس وكان من صالح الأنصار فخطب ابن أبى قيس امرأة أبيه فقالت له أنى أعدك ولداً، ولكنى سآتى رسول الله ﷺ أستأمره ، فأخبرته فأنزل الله هذه الآية (١) ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٢) .

٦ ـ **نكاح الإرث :** وهو أن يرث أهل الزوج المتوفى زوجته ، وكانوا يرون أنهم أحق بها من نفسها ومن أهلها ، فإذا شاء أحدهم تزوجها فلا يحق لها، ولا أهلها الممانعة.

وكذلك إذا شاءوا زوجوها ممن يشاءون وقبضوا مهرها وإن شاءوا عضلوها ـ أى منعوها من الزواج ـ لتدفع فدية لهم أو تظل كذلك حتى تموت.

قال عبد الرحمن بن زيد : كان العضل فى قريش بمكة ينكح الرجل المرأة الشريفة فلعلها لاتوافقه فيفارقها على ألا تتزوج إلا بإذنه ، فيأتوا بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد ، فإذا جاء الخاطب فإن أعطته وأرضته أذن لها وإلا عضلها (٣) .

وقال الزهرى وأبو مجاز : كان من عاداتهم إذا مات الرجل عن إمرأة

---

(١) راجع : الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى ج٥ ص١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) سورة النساء آية رقم ٢٢

(٣) راجع : ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ ١ صـ ٤٤٦ .

يلقى ابنه من غيرها أو أقرب عصبته ثوبه على المرأة فيصير أحق بها من نفسها وأوليائها ، فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الذى أصدقها الميت ، وإن شاء زوجها من غيره وأخذ هو صداقها ، ولم يعطها شيئاً ، وإن شاء عضلها - منعها من الزواج لتفتدى منه أو تموت فيرثها (١) .

الحرمان من الميراث : من صور امتهان المرأة عند العرب حرمانها من الميراث حيث كانوا فى الجاهلية لايورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكراً ويقولون : لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل أو طاعن بالرمح ، أو ضارب بالسيف وحاز الغنيمة (٢) .

الحرمان من المهر : كان أهل الجاهلية يقبضون المهر ولا يعطون المرأة منه شيئاً ، فعن الكلبى يقول : إن أهل الجاهلية كان الولى إذا زوج الأنثى وكانت معه فى العشيرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيراً ، وإن كانت عربية حملها على بعير إلى زوجها ولم يعطها شيئاً غير ذلك البعير (٣) .

التعدد بلا ضوابط : من صور إهانة المرأة لدى أهل الجاهلية أنهم كانوا يعددون الزوجات بلا قيود أو ضوابط ، بل كان الرجل يتزوج من أجل مكايدة إحدى زوجاته .

---

(١) راجع : جامع الأحكام للإمام القرطبى جـ ٥ صـ ٦٤ .
(٢) راجع : تفسير المنار جـ ٤ صـ ٣٩١ والقرطبى جـ ٥ صـ ٤٦ .
(٣) راجع : القرطبى جـ ٥ صـ ١٢٣ .

يقول الأستاذ محمد عزة دروزة : « كان الرجل يجمع فى عصمته ما يشاء من الزوجات بدون تحديد عدد ، وكثيراً ما كان يفعل ذلك ، ويتزوج على بعض أزواجه كوسيلة من وسائل الكيد أو الابتزاز والمضارة ، وقل إن اهتم الأزواج بالعدل بين زوجاتهم على ما يمكن أن يستفاد بما ورد فى القرآن الكريم من علاج لهذا الحيف (١) .

وبعد أن ذاقت المرأة وشربت من كؤس الذل والهوان جاء الإسلام بشريعته السمحة فأعاد لها كرامتها وسيادتها .

(١) راجع : المرأة فى القرآن والسنه محمد عزة دروزة صـ ١٦ .

الفصل الثاني
المرأة عند أهل الكتاب وفيه مبحثان

المبحث الأول : المرأة عند اليهود

المبحث الثاني : المرأة عند النصارى

الفصل الثانى

مكانة المرأة عند أهل الكتاب

المبحث الأول : المرأة عند اليهود

لم يكن للمرأة عند اليهود : - وهم أهل كتاب - أى حق من الحقوق ، بل كانوا يعتقدون أنها سبب شقاء الإنسانية ، لاعتقادهم أنها هى المسئولة عن إغواء آدم فى أكله من الشجرة ، علماً بأن المجتمع اليهودى نشأ على أساس نظام الأسرة ، وكانت الأسرة تقوم على نظام الزواج الذى كان اليهود يعتبرونه واجباً مقدساً على كل شاب ولكن الناظر فى مكانة المرأة يتضح له ما يلى : -

١ - كانت المرأة عند اليهود تباع وتشترى كأى سلعة أو متاع ، يقول زكى شنودة عن وضع الزواج عند اليهود : كانت العادة أن يتم الزواج بطريق الشراء ، فكان الرجل يدفع ثمن المرأة التى يشتريها إلى أبيها فتصبح ملكاً له كأى متاع يملكه (١) .

ويعتقدون أن يعقوب اشترى زوجتيه راحيل وليئة من أبيها لا بان وقد أخذ الثمن لنفسه فقالتا « باعنا وقد أكل أيضاً ثمننا » (٢) واشترى يوعز زوجته راعوث قائلاً لشيوخ مدينته « راعوث المؤابية امرأة محلون قداشتريتها لى إمرأة » (٣) واشترى هوشع النبى زوجته قائلاً : فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضيه وبحوير ولثك شعير (٤)

٢- تجعل الزنى وسيلة من وسائل الزواج ، وكانت الشريعة اليهودية

(١) انظر : زكى شنودة المجتمع اليهودى ٤٧٥ .
(٢) انظر سفر التكوين الاصحاح : ٣١ : ١٥ .
(٣) انظر سفر راعوث الاصحاح الرابع : ١٠
(٤) سفر هوشع الاصحاح الثالث : ٢ .

تلزم الرجل إذا زنى مع فتاة عذراء بأن يتزوج منها وأن يدفع ثمن شرائها لأبيها . وكان هذا الثمن الذى يدفعه الزوج هو المعتبر مهراً .

٣- وكان مما تقضى به الشريعة اليهودية أن الأخ إذا مات أخوه يتحتم عليه أن يتزوج أرملته مهما كان عدد زوجاته هو ولا رأى لها فى ذلك .

وأن البكر الذى تلده الزوجة بعد ذلك ينسب إلى زوجها الميت لا إلى أبيه الحقيقى . فإذا رفض شقيق الميت الزواج من أرملة أخيه تستدعيه أمام شيوخ المدينة وتخلع نعله وتبصق فى وجهه فيصبح محتقراً بين اليهود ، ويسمونه مخلوع النعل (١) .فإذا لم يكن للميت أخ فرض هذا الواجب على أقرب الأقرباء من أسرته (٢) .

٤- وكانت الشريعة اليهودية تبيح تعدد الزوجات دون تحقيق العدالة بين الزوجات ، بل كانت تعاليمها تبيح الظلم والحيف فمن نصوصها أنه «إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين ، المحبوبة والمكروهة ، فإن كان الابن للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ماكان له لايحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر ، بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيبه اثنين من كل مايوجد عنده لأنه هوأول قدرته له حق البكورية (٣)

فالأمر لا يتعدى فى الفكر اليهودى إلا أن يأخذ الابن البكرضعف أخيه من الميراث حتى وإن كانت أمة مكروهة لأنه ينوب عن أبيه فى البيت عن غيابه كما كان يختص ببركة أبيه التى كان لها أهمية عظمى لديهم وبسببها احتال يعقوب فسرق بركة أبيه من أخيه البكر عيسوى ، فغضب عيسوى لدرجة أنه قرر أن يقتل يعقوب (٤) .

---

(١) انظر سفر التثنية : ٢٥ : ٥- ١٠ .

(٢) انظر سفر التكوين الاصحاح : ٣٨ : ١ - ٢٦ .

(٣) انظر : التثنية ٢١ : ١٥ - ١٧ .

(٤) سفر التكوين الاصحاح : ١:٢٧ - ٤١ . والتكوين : ٢٥ : ٣١ - ٣٣ وسفر التثنية٢١: ١٧

٥- مع أن الشريعة اليهودية كانت تحرم الزنا إلا أن اليهود كانوا أكثر الشعوب ميلاً إليه فى أقبح وأقذر صورة ، حتى لقد كان الرجل كما يقول زكى شنودة : « يزنى مع أمة أو أخته أو خالته أو عمته أو زوجة أبيه أو زوجة أخيه أو زوجة ابنه أو زوجة خاله أو زوجة عمه أو أم زوجته ، بل لقد كانوا يزنون الرجل مع الرجل والمرأة مع المرأة ، بل لقد انحدروا إلى أحط دركات الحيوانية فى أبشع صورها إذ كانوا يزنون حتى مع البهائم وقد تغاضى أكثر اليهود عن أحكام الشريعة فى كل عصورهم . وقد شجعهم على ذلك أن الشريعة لم تضع إلا جزءاً بسيطاً على الزنا بالإماء اليهوديات . كما لم يرد بالشريعة نص يحرم الزنا بالأجنبيات (١) . بل كان بعض الأباء يعرضون بناتهم للزنا ليكتسبوا من وراء ذلك .

٦- اليهود بطبعهم يتباهون بكثرة الأولاد ويسجلون عددهم بفخر وخيلاء، إذ جاء فى سيرة بعض قضاتهم أنه كان لجدعون سبعون ولداً (٢) . وكان لعبدون أربعون ولداً . وقد بلغ حرص اليهود على أن يكون لكل رجل منهم ولد من صلبه لأن الشريعة قضت بأنه إذا مات رجل دون أن ينجب كان يتحتم على أخيه أن يتزوج أرملته، على أن يحمل الولد الأول الذى ينجبه منها اسم الأخ الذى مات . ولا ينسب إلى أبيه الحقيقى . فإذا رفض أخ الميت الزواج من أرملة أخيه تستدعيه أمام شيوخ المدينة وتخلع نعله وتبصق فى وجهه فيصبح محتقراً بين اليهود ويسمونه مخلوع النعل (٣)

---

(١) انظر سفر اللاوين الإصحاح التاسع عشر : ٢٠ - ٢٢ وانظر زكى شنودة المجتمع اليهودى ص ٤٨٤ .

(٢) سفر القضاة الإصحاح الثانى فقرة ٣٠ .

(٣) سفر التثنية ٢٥ : ٥ - ١٠ .

ولهذا اشتهر لديهم التزوج بالسرارى أو الخليلات ، حتى أن الزوجة نفسها إذا كانت عاقراً لزوجها بحثت له عن خليلة أو جارية لينجب منها وتنسب أبناءها لنفسها واعتبرتهم أبناءها .

٧ - ومن صور الإهانة والامتهان أن اليهود أباحوا للنساء التبرج والعرى والخلاعة ففى سفر أشعياء ما يدل على ذلك « قال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات فى مشيهن ويخشخن بأرجلهن ، يُصلّع السيد وهامة بنات صهيون ويعرى الرب عورتهن . ينزع السيد فى ذلك زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب والسلاسل والمناطق ... والخواتم وخذائم الأنف والثياب المزخرفة والمرائى والقمصان .. » (١) .

ومن صور الامتهان أيضاً : أن الشريعة تبيح الطلاق للرجل بمحض إرادته متى شاء ولا تبيحه للمرأة . ولم يكن طلاق الرجل لزوجته يتطلب منه إلا أن يعطيها وثيقة بطلاقها حيث لا توجد أسباب شرعية للطلاق ولا تبعات ففى سفر التثنية جاء « إذاأخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجدفيهاعيباً وكتب لهاكتاب طلاق ودفعه إلى يدهاوأطلقهامن بيته » (٢) . كما أذنت له الشريعة أن يردها متى شاء !!

٨ - ومن الإهانة التى لحقت بالمرأة لدى اليهود أنها كانت تعتبر أمر من الموت فقد جاء فى كتابهم المقدس ما يلى : « درت أنا وقلبى لأبحث ولأطلب

---

(١) انظر سفر إشعياء الإصحاح الثالث ١٦ - ٢٤ .

(٢) انظر سفر التثنية الإصحاح ٢٤ : ١-٥ .

حكمة وعقلاً ولأعرف الشر أنه جهالة والحماقة أنها جنون فوجدت أمر من الموت المرأة التى هى شباك قلبها أشراك ويداها قيود (١) .

٩- ومن إهانة المرأة أيضاً اعتبارها نجسة ومستقذرة فى أمور لا إرادة لها فيها ، ولا قدرة لها على منعها حيث يعتقدون أنها تنجس كل شئ حولها فى ثلاث حالات هى .

أ - **فى أثناء الحيض** : فقد جاء فى سفر اللاويين « وإذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دماً فى لحمها فسبعة أيام تكون فى طمثها وكل من مسها يكون نجساً حتى المساء . وكل ما تضطجع عليه فى طمثها يكون نجساً وكل ما تجلس عليه يكون نجساً . وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء . وكل من مس متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء وإن كان على الفرات أو على المتاع التى هى جالسة عليه عندما يمسه يكون نجساً إلى المساء وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون نجساً سبعة أيام وكل فراش يضطجع عليه يكون نجساً (٢) .

ب - **فى أثناء الإستحاضة** : فقد جاء فى العهد القديم « وإذا كانت امرأة يسيل سيل دمها أياماً كثيرة فى غير وقت طمثها أو إذا سال بعد طمثها فتكون كل أيام سيلان نجاستها كما فى أيام طمثها إنها نجسة . كل فراش تضطجع عليه كل أيام سيلها يكون لها كفراش طمثها . وكل الأمتعة التى تجلس عليها تكون نجسة كنجاسة طمثها . وكل من مسهن يكون نجساً فيغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء وإذا طهرت من سيلها تحسب لنفسها سبعة أيام ثم تطهر (٣)

(١) سفر الجامعة الإصحاح السابع فقره رقم : ٢٥ - ٢٦ .
(٢) سفر اللاويين الإصحاح الخامس عشر فقرة رقم : ١٩ - ٢٤ .
(٣) سفر اللاوين الإصحاح الخامس عشر فقرة ٢٥:٢٨ .

فى اثناء النفاس : فقد جاء فى سفر اللاويين : " إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكن نجسة سبعة أيام كما فى أيام طمس علتها تكون نجسة ... ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوماً فى دم تطهيرها كل شئ مقدس لاتمس وإلى المقدس لاتجئ حتى تكمل أيام تطهيرها .

وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما فى طمثها ثم تقيم ستة وستين يوماً فى دم تطهيرها .

أ ـ **من صور إهانة المرأة :** أن الشريعة اليهودية تبين أن صاحب الحظ السئ هو الذى يرزق بالإناث ، وأن السعيد هو الذى يرزق بالذكور فقد جاء فى كتاب الأحكام التشريعية للأحوال الشخصية للإسرائيلين ما أسعد من رزقه الله ذكوراً ، وما أسوأ حظ من لم يرزق بغير الإناث . نعم لاننكر لزوم الإناث للتناسل ، إلا أن الذرية كالتجارة سواء بسواء ، فالجلد والعطر كلاهما لازم للناس ، إلا أن النفس تميل إلى رائحة العطر الذكية وتكره رائحة الجلد الخبيثة ، فهل يقاس الجلد بالعطر (١) .

هذا هو وضع المرأة حاليا عند اليهود ، وهذه هى المكانة الشائنة للمرأة اليهودية، وهم لايرون فيها أى غضاضة ما دامت تحقق لهم الأهداف التى ينشدونها ، فى نشر الرذائل بأنواعها الخلقية والاجتماعية .

إنهم اليهود الذين تطاولوا على الله ورسله وأنبيائه .

١٠- لقد اتهموا أبا البشر آدم ـ عليه السلام ـ وزوجة حواء ، بالزنا فقد جاء فى التلمود : « إن آدم كان يأتى شيطانه مهمة ، اسمها « ليليت » مدة

---

(١) السيد عاشور : مركز المرأة فى الشريعة اليهودية صـ ٩٢ .

١٣٠ سنة ، فولد منها شياطين ، وكانت حواء أيضا ولا تلد فى هذه المدة إلا شياطين ، بسبب نكاحها من ذكور الشياطين »

١١ـ هل يوجد امتهان للمرأة أكثر من اتهام الصديقة الطاهرة مريم أم عيسى ـ عليهما السلام ـ بالزنا فقد جاء : « إن يسوع الناصرى ، موجود فى لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار ، وأن أمه مريم أتت به من العسكرى « باندارا » بمباشرة الزنا » (١) .

ولهذا فاغتصاب كل النساء جائز خاصة إذا كُنَّ غير يهوديات ، لأن غير اليهوديات حيوانات . يقول التلمود « إن اليهود وحدهم ، هم البشر ، أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع مختلفة من الحيوانات » (٢) .

و « الزنا بغير اليهود ، ذكوراً وإناثاً لاعقاب عليه ؛ لأن الأجانب من نسل الحيوانات » (٣) .

تعقيب :

إن الإسلام حمى الأعراض بأقوى حماية ، فلم تكتف الشريعة بتقرير عقوبة الإعدام فى الزنا الذى يرتكبه شخص متزوج . بل أوجبت أن تنفذ هذه العقوبة فى أعنف صورها وأشدها تعذيبا للجانى ، وذلك بأن يرجم بالحجارة حتى يموت ، سواء كان الجانى مع مسلمة أو غير مسلمة ، ولا يفرق الإسلام فى تطبيق الحد بين الرجل أو المرأة إلا من حيث الاحصان أو عدمه .

---

(١) دكتور : أوغست روهلنج : الكنز المرصود فى قواعد التلمود صـ ٢٧ .
(٢) بولس حنا سعد : همجية التعاليم الصهيونية صـ ٦٣ .
(٣) د : أوغست روهلنج : الكنز المرصود فى قواعد التلمود صـ ٩٥ .

وتقرر الشريعة الاسلامية أن من قذف محصناً فى عرضه أو امرأة محصنة فى عرضها ولم يستطع أو عجز عن إقامة الدليل القاطع على ما يقول توقع عليه عقوبتان مهينتان إحداهما تناله فى جسمه وهى أن يجلد ثمانين جلدة ، والأخرى عقوبه تناله فى مكانته وكرامته والثقة به (١) .

وبهذا التشريع الحكيم حافظ الإسلام على المرأة وحافظ على سيرتها من أن تلوكها الألسنة أو أن تتطاول على شرفها واشتد سبحانه وتعالى على قاذفى النساء فى أعراضهن فقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢) ولم يكن هذا هو كل عقابهم بل هناك عقاب آخر لمن يقذف أو يرمى النساء كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٣)

وإن فى حديث الإفك، وما أفاض الله فى شأنه من تبرأة للسيدة الطاهرة أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – . وسخطه ولعنه على المرجفين والمنافقين الذين حاولوا النيل من اسم السيدة عائشة – رضى الله عنها – ما يوضح تكريم الإسلام للمرأة ، حيث تنزلت الآيات على رسول الله - ﷺ - لتبين براءتها مما اتهمت فيه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ

(١) الدكتور : على عبد الواحد وافى حقوق الإنسان فى الاسلام صـ ٢٨٠ .
(٢) سورة النور آية رقم ٤ .
(٣) سورة النور آية رقم : ٢٣ : ٢٥ .

مَنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾(١) وهكذا كان حكم الله فى المرجفين الذين يحبون أن تشيع الفاحشة بين الناس ، واستطاع الإسلام بهذه التعاليم والأحكام . أن يحمى عرض المرأة ولم تقف تعاليم الإسلام عند هذا الحد ، بل كرم المرأة وأعلى من مكانتها وبرأها من تهمة اليهود للمرأة بالنجاسة وبين أن المرأة كالرجل تماماً وأنهما طاهران فالمؤمن لاينجس وإن كان على غير طهارة .

وقد بينا سابقاً أن الكتاب المقدس لدى أهل الكتاب . وصم المرأة بنجاسة أبدية لاتنفك عنها أبداً فى الحيض والاستحاضة والنفاس وأن هذه النجاسة تتعاظم إذا ولدت أنثى مثلها وبالنظر بما جاء فى القرآن الكريم بهذا الخصوص نجد الفرق الشاسع بين تحريفات البشر ، وبين وحى الله المنزل ، الذى لم يصف دم الحيض بأكثر من اعتباره أذى ، ونهى الرجال عن

(١) سورة النور الآيات رقم : ١١ - ١٩ .

المعاشرة للابتعاد عن هذا الدم ولكن يجوز له المباشرة فيما دون السرة والركبة .

قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١) .

وجاء فى سبب نزول هذه الآية عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يجامعوها ولم يقتربوا من المكان الذى هى فيه ، فسألوا النبى ﷺ فنزلت هذه الآية فقال رسول الله ﷺ : « اصنعوا كل شئ إلا النكاح » فبلغ ذلك اليهود ، فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه ! ! فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر ، فقالا : يا رسول الله ، إن اليهود قالت كذا وكذا ، أفلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى قلنا أن قد وجد عليهما ، فخرجا فأستقبلهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ، فأرسل فى آثارهما ، فسقاهما، فعرفا أنه لم يجد عليهما (٢) .

والناظر أيضاً فى نصوص القرآن والسنة يجد من مظاهر تكريم الإسلام للمرأة فى هذا الخصوص أنه لم يأت بلفظ النجاسة الذى ألصقه أهل الكتاب للمرأة ولمن حولها ودليل ذلك قوله تعالى : «ولا تقربوهن حتى يطهرن » ومن السنة ما أخرجه الإمام البخارى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ لقيه فى بعض طرق المدينة وهو جنب فانخنس منه فذهب فاغتسل ثم جاء ، فقال : أين كنت

(١) سورة البقرة آية رقم : ٢٢٢ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها حديث رقم ٣٠٢ ومسند الإمام أحمد جـ ٣ صـ ١٣٢ ، صـ ١٣٣ .

يا أبا هريرة ؟

قال :كنت جنباً فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة فقال :« سبحان الله إن المسلم لا ينجس » (١) ومـــعنى أن المؤمن لاينجس، أى أن المؤمن طاهر الأصل فى الروح والبدن وما يصيبه من بول وغائط وغيره هى رفع مؤقت للأصل أى على غير طهارة ، وقد اتفق العلماء على طهارة عرق الحائض وسؤرها (٢) .

---

(١) صحيح الإمام البخارى : كتاب النسل ، باب عرض الجنب وأن المسلم لاينجس .
(٢) شرح الإمام النووى على صحيح مسلم .

المبحث الثانى
مكانة المرأة عند النصارى

المرأة عند النصارى كحال المرأة عند اليهود ، لأنه تم دمج العهد القديم ، مع العهد الجديد وسمى الاثنان بالكتاب المقدس ، وفضلاً عن هذه النظرة اليهودية النصرانية المشتركة فى إهانة المرأة وتحقيرها وجعلها سلعة تباع وتشترى للنزوات والانحرافات الجنسية وغير ذلك فقد زادت النصرانية على ذلك بما يلى : -

أولاً - اختلاق فكرة الرهبانية : وهى فكرة ابتدعها بولس اليهودى بإيحاء أن المرأة مخلوق شيطانى دنس ينبغى الابتعاد عنه ، والزواج ضرورة غريزية للعامة ، ولكن السعيد الأتقى من استطاع أن يرتفع عليه ولا يتزوج (١) .

ولذلك قرر مجمع بيكون عام ٥٨٦م بأن المرأة جسد به روح دنيئة، وخالية من الروح الناجية واستثنوا من ذلك مريم فقط لأنها أم المسيح عيسى (٢) .

وبناءً على هذه التعاليم حاولوا قتل الغريزة فنتج عن ذلك الاتصال الجنسى المحرم فى داخل الكنائس نفسها ، بل أصبح الاتصال الجنسى بالمحرمات أمراً عادياً كما سنوضح ذلك فيما بعد - إن شاء الله - .

ثانياً - من مظاهر إهانة المرأة فى النصرانية : الاعتقاد بأنها خلقت لخدمة الرجل ، وقد استمر المجتمع المسيحى فى نظرته الجاهلية المنحرفة نحو المرأة ، يقول توماس اكويناس المعروف عند النصارى برسول الرحمة : إن المرأة خاضعة للرجل لضعف طبيعتها الجسمية والعقلية معاً والرجل مبدأ المرأة ومنتهاها كما أن الله مبدأ كل شئ ومنتهاه ، وقد فرض الخضوع على

---

(١) انظر : محمد قطب : جاهلية القرن العشرين صـ ١٧١ .
(٢) انظر : محمد على البار : عمل المرأة فى الميزان صـ ١٧ .

المرأة عملاً بقانون الطبيعة ، أما العبد فليس كذلك ويجب على الأبناء أن يحيوا آباءهم (١) أكثر مما يحيون أمهاتهم (٢) ويقول كريستوم أحد رجال الكنيسة كلاماً عجيباً يدل على شدة الإهانة للمرأة والنظرة الدونية لها ، وأنها شر من أشرار الطبيعة ، وكارثة لا انفكاك منها وخطر محقق لا يمكن البعد عنه بل وفتنة مهلكة فيقول : « المرأة شر لابد منه، وإغواء طبيعى وكارثة لازمة ، وخطر منزلى وفتنه مهلكة وشر عليه طلاء (٣) .

وظلت هذه النظرة حتى جاء العصر الحديث ، وكان من المفروض على المجتمع المسيحى أن يغير من نظرته إلى المرأة إلا أنه من العجيب أنه فى عام ١٥٨٦م عقدت الشعوب المسيحية مجمعاً مسكونياً عالمياً خصصته للبحث عن المرأة ، وكان من الأسئلة المثارة ، هل هى إنسان ؟ وهل لها روح أم ليس لها روح ؟ وإذا كان لها روح فهل هى روح إنسانية أم روح حيوانية؟ واذا كانت روح إنسانية ، فهل هى على مستوى روح الرجل أم أدنى من روح الرجل ؟ وبعد المجادلات الطويلة العريضة قررت أن المرأة إنسان ولكنها خلقت لخدمة الرجل (٤) .

ثالثاً ـ بيع النساء من الأمور المؤسفة فى المسيحية حيث إن الكثيرين كانوا يبيعون النساء ، أو يعيرونهن أو يدفعونهن للاستمتاع بهن للحكام والأمراء يقول هربرت سبنسر الفيلسوف الإنجليزى فى كتابه « علم وصف

---

(١) أين هذا من قول الرسول ﷺ لمن سأله عن أحق الناس بحسن صحبته فقد أخرج الإمام البخارى ومسلم أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : أمك قال : ثم من : قال : أمك قال ثم من : قال أمك قال ثم من قال أبوك » .

(٢) انظر : عصمت كركر : المرأة من خلال الآيات القرآنية صـ ٣١ .

(٣) المرجع السابق صـ ٣٠ .

(٤) انظر : أحمد الحصين : المرأة المسلمة أمام التحديات صـ ٩ .

الاجتماع » إن الزوجات كانت تباع فى إنجلترا فيما بين القرن الخامس والقرن الحادى عشر ، وأنه حدث أخيراً فى القرن الحادى عشر أن المحاكم الكنسية سنت قانوناً على أن للزوج أن ينقل أو يعير زوجته إلى رجل آخر لمدة محدودة حسبما يشاء الرجل المنقولة إليه المرأة ، وشر من ذلك ما كان للشريف النبيل من الحق فى الاستمتاع بامرأة الفلاح إلى مدة أربع وعشرين ساعة بعد عقد زواجها عليه .

ويعقب الأستاذ رشيد رضا فى كتابه « نداء للجنس اللطيف» على بيع النساء فى إنجلترا بقوله:من الغرائب التى نقلت عن بعض صحف إنجلترا فى هذه الأيام - ١٩٣٢م إنه لا يزال يوجد فى بلاد الأرياف الإنكليزية رجال يبيعون نساءهم بثمن بخس جداً، كثلاثين شلناً وقد ذكرت أسماء بعضهم (١).

وجاء فى موسوعة حضارة الإسلام مجلة صـ ١٠٧٨ من المجلد الثانى لعام ١٩٦٢م ما يلى : —

أوردت إحدى وكالات الأنباء من ريجيو كالابريا فى إيطاليا أن شخصاً أقدم على قتل آخر ، ولما سئل فى التحقيق عن سبب اقتراف هذه الجريمة أفاد بأنه كان قد اتفق مع القتيل ليبيع له زوجته بمبلغ خمسمائة وسبعين جنيهاً إسترلينياً وقد دفع منهم أربعمائه جنيه ، ومضت مدة طويلة دون أن يدفع باقى الحساب ، ولما طالبه تهرب من الدفع فأقدم على قتله (٢) .

---

(١) انظر : السيد رشيد رضا : نداء للجنس اللطيف صـ ٣٦ والمرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعى صـ ٢١٢ .

(٢) انظر الدكتور مصطفى السباعى المرأة بين الفقه والقانون صـ ٢١٢ .

رابعاً : ومن صور الإزدراء بالمرأة فى المسيحية والانتقاص من كرامتها منعها من التصرف فى أى شئ ، كما تحرم من اسم أبيها بعد الزواج ففى القانون الفرنسى وهو من أشهر القوانين التى تطبق فى الغرب ما يأتى : « ليس للمرأة أن تتصرف أى تصرف فى شئ ولو كان من مالها الخاص إلا بإذن زوجها وليس لها جنسية بعد الزواج إلا جنسية زوجها . كما ليس لها أن تحمل اسم أسرتها بعد الزواج ، بل تحمل اسم أسرة زوجها (١) .

وفى المادة السابعة عشرة بعد المائتين من القانون المدنى الفرنسى جاء ما يلى : « إن المرأة المتزوجة ، حتى لو كان زواجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها لايجوز لها أن تهب ، ولا أن تنقل ملكيتها ، ولا أن ترهن ، ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض ، بدون اشتراك زوجها فى العقد، أو موافقته على موافقة كتابية (٢) .

تعقيب :- ومن هنا يظهر سمو التشريع الإسلامى ومدى تكريمه ، للمرأة فالشريعة الإسلامية تقرر مثلاً أن نسب المرأة لا يناله تغير ما بعد زواجها ، فتظل المرأة المسلمة بعد زواجها محتفظة باسمها واسم أسرتها ونسبها الأصلى ، ولا تحمل اسم زوجها مهما كانت مكانته ، فزوجات الرسول – عليه الصلاة والسلام – أنفسهن كن يسمين بأسمائهن وأسماء آبائهن وينتمين إلى عشائرهن فيقال عائشة بنت أبى بكر وتنسب إلى بنى تميم ، وحفصة بنت عمر وتنسب إلى بنى عدى .

كما يظهر سمو التشريع الإسلامى فى إعطاء المرأة الأهلية الكاملة فى التصرفات الاقتصادية المالية فلها حق التملك ، ولها الحق فى أن تتصرف

---

(١) انظر نظرات فى النظم الإسلامية المرأة وتكوين الأسرة الدكتور محمد شعيب ص ٩٢ .

(٢) انظر : الدكتور على عبد الواحد واقى ص : حقوق الإنسان فى الإسلام ص ٤٦ .

فيما تملك كيفما تشاء ، ولا حظر عليها فى تصرفاتها .

فأين هذا من القانون الإنجليزى الصادر سنة ١٨٨٢م الذى ينص على أن الزوجة ليست ذات سيادة مطلقة على أموالها الشخصية ولا مستقلة فى تصرفاتها العامة .

خامساً : من صور الإهانة للمرأة عند المسيحيين أيضاً حرمانها من الإطلاع على الكتب المقدسة : حيث أصدر البرلمان الإنجليزى قراراً عجيباً فى عهد الملك هنرى الثامن « يحذر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد ، أو يحرم عليها قراءة الأناجيل وكتب رسل المسيح (١) .

أين هذا من الوحى الكريم الذى كان ينزل على الرسول الكريم ﷺ وهو جالس فى حجر زوجته (٢) . وأين هذا من وضع الصحابة الكرام - رضى الله عنهم - المصحف الأول الذى كتب فى خلافة أبو بكر رضي الله عنه عند امرأة وهى حفصة أم المؤمنين - رضى الله عنها - .

سادساً : كُسِرتْ الحواجز الأخلاقية فى المجتمع المسيحى من خلال نظريات فرويد ودور كايم ، وداروِن وغيرهم من العلماء الذين عملوا على تحقير المرأة والتهوين منها بإباحة الفاحشة والدعارة من خلالها حتى أمسى المجتمع الغربى يعيش فى سعار جنسى لا مثيل له .

لدرجة أن قال البروفسور « كلين » إن ثلاثين فى المائة من النساء فى مجتمعنا ليسوا سعيدات فى حياتهن والسبب فى ذلك هو المتطلبات الجنسية والروحية المتصاعدة ...لأن ملايين النساء يقبض عليهن فى حلقة الشيطان

(١) انظر المرأة بين الفقه والقانون ص ٢١١ .
(٢) انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٥ .

(١) . أى فى حلقات الفاحشة .

وفى السويد انتشرت أندية الشذوذ الجنسى فى كل مكان تحت حماية الدولة ، وفى الولايات الأمريكية انتشرت الدعارة بشكل سافر فاضح .

حتى أن قسيس من الولايات المتحدة ألف كتاباً سماه « المسيح شاذ جنسى » افترى فيه على المسيح بالبهتان واتهمه بالشذوذ الجنسى كما ظهر كتاب آخر بعنوان « التجربة الأخيرة للمسيح » ونشرته دار سيمون وشوستر جاء فيه اتهام للمسيح - عليه الصلاة والسلام - بأنه زنى « بمريم المجدلية » وتحول هذا الكتاب إلى فيلم وعرض فى الولايات المتحدة وغيرها دون أن يحدث رد فعل إلا فى فرنسا وحدها حيث غضب بعض الأفراد من هذا الفيلم وحاولوا إحراق دار العرض .

والغرض من نشر هذه الكتب نشر الفاحشة فى العالم حتى أن مجلس الكنائس البريطانى أصدر تقريراً عجيبا يبارك فيه الصلة الجماعة للزوجة ، أى يكون للزوجة مجموعة أصدقاء فقد جاء فيه : « إن مجلس الكنائس البريطانى ضد الاستغلال الجنسى، ويبارك الصلة الجنسية فى الزواج . ولكن يرفض رأى الإنجيل الداعى إلى العفة قبل الزواج أو الالتزام به بعده ويدعو التقرير إلى التراخى فى إجراءات الإجهاض وإلى استخدام وسائل منع الحمل للفتيات الصغيرات .

وأمام هذا السعار الجنسى اضطر المجتمع الغربى إلى تدريس وسائل منع الحمل وتدريس مادة الجنس فى الجامعات الأوربية والأمريكية ، فلما وجدوا أن طلبة الثانوية هم أيضا يقعون فى المشاكل فنزلوا بتدريس الجنس ووسائل منع الحمل إلى الثانوية ثم إلى الابتدائية ظناً منهم أن هذا هو

---

(١) المصدر السابق صـ ٣٠٧ .

العلاج فازدادت المشكلة انتشاراً ، فقاموا بعدة دراسات عن مشكلة انتشار الزنا فاتضح منها ما يلى :-

أ - أن الأطفال الذين بدون آباء - أى نتيجة الزنا أو الطلاق - يبلغون ١٢و٥ مليون طفلاً فى الولايات المتحدة فقط .

ب - وأن الحمل لدى المراهقات أصبح مشكلة كبيرة فى الولايات المتحدة وأوربا ، ففى الولايات المتحدة وجد فى عام سنه ١٩٨٠ أكثر من مليون فتاة صغيرة حامل فى السنة الواحدة .

جـ - أن تسعين بالمائة من غير المتزوجات يمارسن الزنا إما بطلاقة أو من حين لآخر فى أوربا والولايات المتحدة (١) .

سابعاً : ولم يقف الأمر عند هذا الحد ولكن تطورت أساليب الإهانة للمرأة بإخراج عشرات الأفلام التى تنادى بنكاح الأمهات والأخوات ونشرت مجلة « التايم» الأمريكية تحقيقاً واسعاً عن نكاح المحارم فى ١٤ / ٤ / ١٩٨٠ م وقد جاء فى ذلك التحقيق قول « يهودى كوهين » قوله « إن منع نكاح المحرمات من الأمهات والأخوات والبنات بل والأبناء ليس إلا من مخلفات الإنسان البدائى » .

ويقول الباحث « جون مونى » من جامعة هوبكنز وعشيقته « جير ترود » فى كتابهما « الأفعال الجنسية الضارة وإهمال الأطفال » : إن المجتمع الأمريكى قد استطاع التغلب على مشكلة الدِّين بحيث لاينظر إلى الإنسان بازدراء إذا فرق من دينه ، فإن على المجتمع الأمريكى أن يتسامح أيضاً فى موضوع نكاح المحرمات من الأمهات والأخوات والبنات » .

ويقول الباحث « دادل بومرى » : « لقد آن الأوان لكى نعترف بأن نكاح المحرمات ليس شذوذاً ولا دليلاً على الاضطراب العقلى . نعم قد يكون نكاح

(١) انظر الدكتور محمد على البار : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ص ٣٦٥ نقلا عن مجلة الشرق الأوسط فى ١٩٨٣/٩/١٣ .

المحرمات وخاصة بين الأطفال وذويهم أمراً مفيداً لكليهما » ! ! !

وتنقل جريدة « التايم » عن عدد من الباحثين الأمريكيين قولهم « إن جميع الاتصالات الجنسية مفيدة ولو كانت بين الأب وابنته ، أو ابنه ، وبين الأم وابنها ، وبين الأخ وأخته ، نعم كلها مفيدة ، ولكن الضار فقط هو الشعور بالذنب والإحساس بالخوف ، وأخطر شئ هو الكبت ! !

نعم هو الكبت الجنسى » ! ! .

ولهذا يقدر عدد الفتيات اللاتى كانت لهن علاقة جنسية بآبائهن بـ ١٢ : إلى ١٥ مليون فتاة .. وأن نسبة الفتيات المراهقات اللاتى لهن اتصالات جنسية مع آبائهن تتراوح ما بين ٣٤ و ١٥ (١) بالمائة .

هذا هو وضع المرأة المسيحية فى المجتمعات المسيحية ! ! فهل الذين ينادون فى مجتمعاتنا بمساواة المرأة المسلمة بالمرأة الغربية يريدون هذه المساواة المخجلة ؟

إن أرباب هذه الدعوات الخبيثة التى بدأت تتوسع فى مجتمعاتنا الإسلامية بشكل مخيف بمساندة المنظمات اليهودية والمسيحية وأجهزة الإعلام . هدفهم الأساسى هو تدمير المرأة المسلمة .

---

(١) راجع الدكتور محمد على البار : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ٣٦٨ ـ ٣٧٤ .

الفصل الثالث

المرأة عند دعاة التغريب وفيه :-

أولا :- أهداف دعاة التغريب

ثانيا -: الدعوة إلى الصداقه بين الرجل والمرأة

ثالثا : حرية الإستمتاع بالجسد

رابعا : الدعوة إلى تأخير الزواج

خامسا : الدعوة إلى تحديد النسل

أولا : أهداف دعاة التغريب :

ما أخطر التحديات فى وجه المرأة المسلمة فى وقتنا الحاضر تلك الدعاوى التى قام بها النسائيون دعاة تحرير المرأة ، وهى دعاوى مسمومة مضللة ، حاولت أن تقدم مجموعة خاطئة من المُسلِمات ، ثم مضت تركز عليها من خلال قنوات الصحافة والإذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح والمؤتمرات والندوات وهى فى مجموعها ترمى إلى غرضين كبيرين .

أولهما : هزيمة العقل الإسلامى بإذاعة الإلحاد والتعطيل من منطلق نظريات هدامة وأيديولوجيات مادية تستهدف إعلاء الفكر البشرى والتشكيك فى العقائد السماوية والأخلاق والقيم التى قدمتها رسالة السماء .

الثانى : تقويض المجتمع الإسلامى بنشر الإباحية والفساد وتدمير الأسرة المسلمة وضربها بإقامة الخصومة بين الرجل والمرأة وبين الآباء والأبناء ، وبين الشباب وأدوات الترفيه واللهو وخاصة المسرح والسينما والإذاعة والتليفزيون والصحافة .

والهدف الأكبر وراء المرأة هو تدمير المجتمع والأسرة بتغير الأعراف الإسلامية فى العلاقات بين الرجل والمرأة والتركيز على هدم رسالة المرأة كأم وزوجة ، وربة أسرة ودفعها إلى ميادين العمل نهاراً ، وإلى ميادين اللهو والأهواء ليلاً ، حتى لا تجد لديها وقت تنفقه من أجل أطفالها وأسرتها ، وحتى تخرج أجيال من الشباب فاقدة لحنان الأمومة ، غاضت من حولهم ينابيع الرحمة .

ومن أخطر الأمور التى تواجه أى مجتمع أن يفقد الشباب والفتيات

النموذج الطيب والقدوة الحسنة فى الآباء والأمهات (١) .

إن دعاة تحرير المرأة ، أو حقوق المرأة ، أو دعاة القضاء على أشكال التميز ضد المرأة ، يعملون جهدهم على سلخ المرأة المسلمة من دينها ومن قيمها وأخلاقها ، كما يعملون على تحقيق صراع الأجيال داخل الأسرة ، مما يؤدى إلى اهتزاز القيم والمعايير السلوكية بما يفقدها دورها فى الضبط الاجتماعى وتوجيه الفكر والسلوك مما يعرض الأسرة للتفكك والضياع وعدم الولاء . ويدفع المرأة إلى الضياع والإهانة والدليل على ذلك أنهم يدعون إلى عدة أمور منها ما يلى : -

١ - السعى بكل ما لديهم على إباحة الصداقة بين الفتى والفتاة وتعميقها

٢ - حرية الاستمتاع بالجسد أو تحقيق الخيانة الزوجية !!

٣ - الدعوة إلى الاختلاط بين الرجال والنساء فى كل مجالات الحياة .

٤ - محاربة الزواج المبكر للشباب والفتيات .

٥ - رفض الزواج الأحادى والمطالبة بالزواج المشاع وهو أن تكون المرأة لكل من فى الحى فيكون كل واحد زوج لها (٢) .

٦ - المطالبة بإباحة زواج المسلمة من الكافر .

٧ - تحديد النسل وتعليم الفتيات موانع الحمل ... الخ

٨ - العمل على إفساد الرجولة بإذهاب الغيرة على الأعراض وتغيير مفهوم الرجال واللابقاء على الذكورة أو الفحولة فقط !!

٩ - إفساد النشئ حتى أصبح الأطفال اليوم فى كثير من بيوتنا أيتام ،

---

(١) انظر : أنور الجندى : المرأة المسلمة فى وجه التحديات ص ٣ ، ٤ .

(٢) راجع : أبو نصر محمد بن عبد الله الإمام : المؤامرة الكبرى على المرأة المسلمة ج ٢ ص ٤٩٢ .

أو هم الأيتام الجدد على الرغم من وجود أبوين من الناحية الشكلية !!

١٠ - المؤامرة على حقوق الرجل وعقد المؤتمرات الدولية التى تدعو إلى سلب ما أعطى للرجل من حقوق والتنازل عنها للمرأة .

١١ - تعطيل إقامة الحدود الشرعية فى كل مناحى الحياة .

١٢ - محاربة الأوطان ومناصرة الأعداء خارج الوطن .

هذا غيض من فيض مما ينادى به العلمانيون والعلمانيات دعاة تحرير المرأة وسوف ألقى الضوء على بعض هذه النقاط لأن البحث لا يتسع لسردها .

ثانيا : الدعوة إلى الصداقة بين الرجل والمرأة :

لقد كانت الدعوة إلى الصداقة بين الرجل والمرأة هى الأداة الكبرى فى يد العصابة الداعية إلى ما يسمى بتحرير المرأة . وأن لو صدقوا لقالوا تهوين المرأة يقول الأستاذ : محمد قطب عن خطورة هذه الدعوة : « فى تلك الصداقة يجد الرجل المنحرف الفطرة ، والمرأة المنحرفة كل مطالبها . يجد الرجل - المنحرف - متعة الجنس بلا تكاليف . لا التكاليف النفسية ولا العصبية ولا المادية .. فهو يقضى رغبته بلا معقبات .. لا زوجة يتحمل تبعتها ونفقاتها . ولا بيت مؤسس بما يناسب الأسرة ، ولا أطفال يحتاجون إلى الرعاية وتتزايد مطالبهم على الدوام ، ولا التزام كذلك أن يخلص لرباط الزوجية لا يتعداه !

وتجد المرأة - المنحرفة - كذلك متعة الجنس بلا تكاليف ، لا حمل يرهقها ويفسد رشاقتها ، ولا رضاعة ، ولا رعاية أطفال ، ولا مسئولية إدارة بيت متعدد التبعات ، وتجد بالإضافة إلى ذلك زميلاً لا يطالبها بشئ .. فلا هو



يطلب القوامة عليها ، ولا هى مكلفة تجاهه بالخضوع لتلك القوامة التى أصبحت تبغضها ولا تحب أن تدخل فيها .. ولا هى كذلك مكلفة بأن تكون له وحده كما تقتضى شرعة الزواج . ولا هى كذلك مكلفة بأن تكون له وحده كما تقتضى شرعة الزواج (١) .

وأنقل هنا ما قالته إحدى الصحفيات فى جريدة أخبار اليوم المصرية تحت عنوان « أيها المجتمع .. بناتنا بين شقى الرحى » تقول « أخصص هذا المقال للحديث عن بناتنا ليس لأن المشكلة تخصهن وحدهن دون الأولاد بل إن الأمر يخص الجميع ، ويخص الآباء قبل الأبناء ويخص المجتمع كله بمؤسساته التربوية والثقافية ، لكن التركيز على البنات مؤقتاً سببه أن القصص والمشاهدات التى تتالت على سمعى وبصرى فى الفترة الماضية جاءت من صديقات يتحدثن عن بناتهن، وقد أبرز الحديث وجود ما أحسست أنه ميكروب يتغلغل ببطء داخل مجتمعنا ينخره كالسوس . إننا فى منطقتنا العربية ، وفى مصر نمر بمرحلة تتميز بسيولة شديدة ، وخلط فى المفاهيم وبلبلة فى معانى الأشياء تحتاج إلى فهم ودراسة وتأمل فيما يحدث بعمق وإلى وقفة مع النفس وعدم الانسياق فى التيارات المشتعلة هنا وهناك .

ثم تقول « قبل أن أستطرد فى تقديم رؤية لما يحدث أقص على القراء بعض القصص والمشاهدات .

صديقتى سيدة مثقفة وواعية تربى ابنتها على الحرية والاستقلال مع فهم للأبعاد الأخلاقية ... ابنتها فى الثانية عشرة من عمرها ، صديقاتها هى كل عالمها لأنها ليس لها أخوات تشاركهن اللعب والمرح ، وأمها تشرف على هذه

---

(١) الأستاذ محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ص ١٦٤ .

الصداقة باستضافة الصديقات ، وبالاتصال بأمهاتن لمتابعة النشاطات المختلفة وللتأكد من الوسط الأخلاقى الذى تتعرض له ابنتها . فى الوقت ذاته لا تمانع الأم فى أن تدعو ابنتها للمنزل أصدقاء من الأولاد فى الفصل فى مناسبة ما . باعتبار أن الاختلاط فى المدرسة يجعل من الجميع أخوة وزملاء فى علاقة لا غبار عليه (١) . - هكذا تزعم الكاتبة -

ولكن البنت تعود يومياً باكية حزينة قائلة إن صديقاتها ما عدن يحببنها ، بل ويتجنبنها . وحين تستطرد الأم فى الحديث كعادتها مع ابنتها تعرف أن السبب هو أن هؤلاء الصديقات بدأن فى هذه السن (٢) يتخذن «بوى فريند» أى صديق خاص ، وكل منهن تحكى عن هذا النوع الجديد من الصداقة للبنات الأخريات ، ولكنهن يستبعدن ابنة صديقتى لأنها « طفلة » حسب تعبيرهن رغم أنها فى نفس السن - ويجب ألا تطلع على أسرارهن وهى طفله من وجهة نظرهن لأنها ترفض أن يكون لها « بوى فريند » وتفضل أن يكون الجميع أولاداً وبناتاً أصدقاء عاديين !!

وقالت البنت لأمها إن الأهالى لا يعرفون عن تلك العلاقات الجديدة بل إن بعضهم فى غاية الشدة فى مراقبة بناتهن !! ابنة صديقتى واحدة ضمن عشرين فتاة فى الفصل لا تجد بينهن من تشاركها الرأى فهى وحيدة غريبة بينهن !! أى أن الفصل به إحدى وأربعين طالب وطالبة أربعون منهم يعيشون « البوى فريند » إلا واحدة أى ٥ و٢ ٪ وتقول الكاتبة : القصة

(١) جريدة أخبار اليوم بتاريخ ٢٠٠١/٣/٧ م .
(٢) جريدة أخبار اليوم بتاريخ ٢٠٠١/٣/٧ م .

الثانية مع ابنة صديقتى الثانية ابنتها أيضا وحيدة قصتها أيضاً تدعو للتأمل الفتاة فى الرابعة عشرة . ذكية وجميلة بدأ الأولاد فى المدرسة يطلب أحدهم منها أن تكون الـ « جيرل فريند » له فترفض قائلة إنها لاتحب ذلك وإنه لايصح .

النتيجة أن الأولاد والبنات معاً صاروا يسخرون منها ويحاولون إشعارها بصورة أو بأخرى بأن شيئاً ما فيها غير صحيح ليكسروا ثقتها فى نفسها . وبدأت الفتاة تفكر فى حل يعيد إليها كرامتها بينهم بدأت تقول لمن يطلب منها مثل هذه الصداقة من الأولاد إنها ترفض ليس لأنها تعترض على المبدأ ولكن لأن هذا الذى يطلب صداقتها لايعجبها ..

سألت الصديقتين « وكأنى قادمة من العصر الحجرى » عما تنقلهما البنتان من مفهوم الـ « بوى فريند » و " الجيرل فريند " فى هذه السن الصغيرة ؟

أجبن بأن الأمر يبدأ بإعلان خصوصية العلاقة بين البنت والولد والتزام كل منهما بأن يكون وتكون الصديق الوحيد ، والصديقة الوحيدة كل للآخر . ويبدأ الاثنان اكتشاف العالم المختلف لكل منهما والذى يتضمن عالم الجنس والمعلومات التى يقرأها كل منهما أو خبرته !

صديقتاى هاتان محظوظتان بأن ابنتيهما لديهما الإحساس القوى الفطرى والفهم الواضح برفض تلك المعايير التى تحاول البنات الأخريات ترويجها .

صديقتى الثالثة مفجوعة فى ابنتها وأفجعتنى معها . ابنتها فى سن السابعة عشرة فى العام الأول من دراستها الجامعية . تربيتها محافظة إلى

أقصى درجة ولم يكن لها أى اختلاط بالشباب لأنها تربت فى مدارس راهبات غير مختلطة منذ الصغر (١) .

فى الجامعة الأمريكية تعرفت على شاب زميل ونشأت بينهما عاطفة ارتياح وانجذاب ، صارحت أمها وطلبت منها أن تشاهد هذا الحبيب وتبارك ارتباطهما .

ولعلم الأم أنها لن تستطيع أن تسيطر على الأمر حيث إنها سواء رضيت هى أم لم ترض يلتقيان فى الجامعة ، وهى لا تحب أن تنعزل ابنتها عنها . أو تفعل أى شئ فى الخفاء . فصمتت على مضض . لما رأت الأم ذلك الفتى أدركت منذ أول لحظة أن الأمر كله لايعدو أن يكون مراهقة من الطرفين .

حاولت أن تفهم ابنتها ذلك لكنها لم تتجاوب معها وأصرت أن الحب بينهما كبير .

قالت الأم لابنتها : إنها سترعى هذا الحب شريطة أن تراعى الابنة وحبيبها هذا مبادئ الدين والأخلاق (٢) ، فلا خروج عن حرم الجامعة ، ولا لقاءات فى أماكن عامة ولا خاصة ، إلى أن تمر الأيام فإذا استمر الحب فليتوج بالزواج وإذا اكتشف أى منهما أنه لايريد الاستمرار فليكن ذلك دون إحداث خسائر .

وافقت البنت على ذلك وحاولت الأم خلال ذلك الوقت أن تراقب الأمر كله وتتقرب إلى ابنتها صديقة وناصحة. ولكن بعد شهور قليلة تأتى البنت تشكو

---

(١) هكذا يظن الكثير أن مدارس التنصير مدارس محافظة . وهى مدارس بعيدة كل البعد عن الأخلاق السامية التى جاء بها الوحى الشريف .

(٢) كيف تراعى الابنة وحبيبها مبادئ الدين والأخلاق ، والقضية من بدايتها تتعارض مع مبادئه وأخلاقه ، لقد رضيت الأم أن تتلقى ابنتها عواطف الرجل ومغازلته وإطرائه لجمالها وفتنتها ورشاقتها وجاذبيتها .. ورضيت الأم كذلك بتلقى نزوات جسده . أى دين هذا والله سبحانه يقول ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن . . . ﴾ سورة النور [٣١] .

بعض الأعراض المرضية وتأخذها أمها للطبيب فإذا الفحوصات الطبية تثبت أنها حامل الأم تصاب بالذهول لأن ابنتها ليست فتاة سيئة ولا مستهترة فقط لأنها خرجت من بيئة مغلقة تماما (١) ! !

ثم تقول الكاتبة : « إنه من غير المقبول أن نلتزم الصمت أمام هذه الفوضى الأخلاقية التى تجعلنا نستعير قيما من بلاد الغرب هو نفسه بدأ يراجعها ويصححها .

فمعلوم أن قيم هذا « التحرر الجنسى » الذى اعتنقه الغرب فى القرون الخمسة الماضية كان رد فعل عنيف للكبت والإهانة التى لحقت بالمرأة أثناء العصور المظلمة ...الغرب بعد أن ذهب التحرر المزعوم به إلى أقصى درجة - بدأ يخرج من دائرة رد الفعل العنيف وبدأ يفهم أنه يحتاج لثورة أخلاقية جديدة بعد أن اكتشف أن فوضى إشباع الغرائز عن طريق الصداقة لم تجلب للإنسان السعادة أو النجاح (٢) .

تعقيب : لأنه لا توجد صداقة بين الرجل والمرأة من أجل الصداقة ، وإنما من أجل المتعة الحرام ، إن دعاة التغريب استخدموا وسائل الإعلام على نطاق واسع لإشاعة الفساد الخلقى ، فتراهم يقولون : إن الصداقة هى مقدمة الزواج .

وإنما ينبغى أن تباح - بصرف النظر عن براءتها أو عدم براءتها - لضمان قيام الزوجية على أسس ركينة فلا تتزعزع فيما بعد ! فإذا انجلت الحقيقة بعد ذلك عن أنه لازواج ، فلا الزواج فى نية الفتى العابث ولا فى نية الفتاة العاثبة ووقعت الواقعة بينهما تراهم يقولون « إن الإنسان كله طاقة جنس متحركة تسعى لإثبات الذات عن طريق ممارسة الجنس؟ وإن التحقيق الأكبر

---

(١) الكاتبة - سامحها الله - كان من المفروض عليها أن تتهم الأم بدل من اتهام البيئة التى تقصد منها الدين ، (٢) انظر : عائشة رافع : أخبار اليوم ص ٧ بتاريخ ٢٠٠١/٣/٢٧ م .

للذات هو الذى يتم عن طريق الجنس ؟ ! وينبرى المدافعون عن الصداقة أنها ليست هى السبب فيما حدث ، إنما هى التجربة الجديدة لابد أن يكون لها ضحايا ، إنها تجربة التحرر، تحرر الفتى والفتاة كليهما من القيود العتيقة والتقاليد البالية .

ويستمر المدافعون عن الصداقة بين الفتى والفتاة يتهمون الدين وعلمائه إثم ما يفعلون بقولهم « لاتستغلوا هذه الحوادث وتضخمونها فوق حقيقتها ، إنها نزوات طارئة ، وسرعان ما تهدأ الأمور وتستقيم حين يصبح الاختلاط شيئاً عادياً فى المجتمع ، وتزول آثار الكبت الماضية ، وآثار التقاليد البالية التى سجنت الفتاة طويلاً داخل الجدران ... ولكن بمجرد أن تزول شعارات الدين، والأخلاق ، والتقاليد ، تلك الشعارات التى رفعها الرجل فى وجه المرأة ليصدها عن السير فى هذا الطريق » (١) . ستزول هذه الآثام ! !

هكذا يعالج دعاة التغريب أمراض الصداقة، التى دفعوا المرأة إليها ، بمعاداة الدين والأخلاق، إنهم يدفعون المرأة إلى المهالك والمعاطب ، لقد تعرت المرأة باسم دعوة الحرية، وتجردت، ورقصت ودخنت، وسكرت وعربدت، وتناولت المخدرات ، وصادقت وخادنت ، وتاجرت بجسمها وخانت وأسرفت فى تحررها وتبجحت ، فلم يثق بها الرجل ، ولم يسعد بها البيت ولم يصلح بها المجتمع ، ولم تسعد المرأة نفسها بذلك الانطلاق الجارف ، بل شقيت جزاء ما أسرفت ، ولم يكن هذا إلا نوعاً خبيثاً من الهدم لتعاليم الدين ونظمه . ومن الأمثلة الدالة على خباثة العلمانيين أنهم جندوا عدداً من الكتاب لتروج باطلهم .

---

(١) انظر : محمد قطب : مذاهب فكرية معاصره ص ١٤٦ .

ثالثا : الدعوة إلى حرية الاستمتاع بالجسد

إن دعاة تحرير المرأة ينادون بحرية الاستمتاع بالجسد وأن من حق المرأة أن تستمتع بجسدها لأن المرجعية العلمية عندهم ما قاله اليهودى الشاذ « فرويد » الذى يقول « إن الإنسان كله طاقة جنس متحركة تسعى لإثبات الذات عن طريق ممارسة الجنس ، وأن التحقيق الأكبر للذات هو الذى يتم عن طريق الجنس .. وأن أى حاجز يوضع أمام طاقة الجنس فمعناه الكبت والعقد النفسية والاضطرابات العصبية " (١) .

هكذا يزعم فرويد وبالتالى فمن حق المرأة أن تستمتع بجسدها بالطريقة التى تعجبها، وعلى الرجل أن يتقبل هذا بنفس راضية وكأن الغيرة ليست من الإسلام وهى من أعظم صفات المؤمن ، روى الإمام البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال : « إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وإن غيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عليه » (٢) .

وجاء فى حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « لا أحد أغير من الله ، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » (٣) .

فالغيرة التى دعا إليها الرسول ﷺ هى : أنفة المحب ، وحبه يجعله يؤثر نفسه بمحبوبه فلا يقبل المشاركة فى النظر إلى محبوبة ، ولا فى الاستمتاع، ولا فى الغمز واللمز فكيف بما هو أخطر من ذلك ، وقد أباح الإسلام فقء عين الناظر إلى النساء مع أن فيها نصف الدية ، صيانة للعرض ففى حديث أبى هريرة عند البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : « من اطلع فى بيت

(١) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ص ١٦٠ .
(٢) رواه الإمامان البخارى ومسلم .

قوم بغير إذنهم ، فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه (١) » ولهذا كان أصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) من أحرص الناس على أعراضهم روى البخارى ومسلم من حديث المغيرة رضي الله عنه قال : قال سعد بن عبادة : « لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح » فبلغ ذلك رسول الله ﷺ قال : « أتعجبون من غيرة سعد ، والله لأنا أغير منه ، والله أغير منى » ولقد أيد الله غيرة عمر رضي الله عنه فأنزل آية الحجاب فقد روى الإمام البخارى من حديث أنس رضي الله عنه : أن عمر قال لرسول الله - ﷺ - : « يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب (٢) .

وقد كان أصحاب النبى رضى الله عنهم أجمعون يغارون على خروج نسائهم أو وقوفهن بطريقة مفزعة أو فيها هلع أو جزع فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبا سعيد الخدرى : « أن شاباً من الأنصار خرج إلى بنى قريظة فأخذ سلاحه فرجع فإذا امرأته قائمة بين الباب ، فأهوى إليها بالرمح ليطعنها « أصابته الغيرة لما رآها قد خرجت وهى واقفة مفزوعة » فقالت له امرأته :أكفف رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذى أخرجنى فإذا حية مطوية تحت الفراش » (٣) .

وكان على بن أبى طالب رضي الله عنه كما أخرج الإمام أحمد « ينادى أهل الكوفة ألاتستحييون ، ألاتغارون ، إن نساءكم يخرجن فى الأسواق يزاحمن

(١) صحيح الإمام البخارى . ج١٢ رقم : ٦٨٨٨ .
(٢) صحيح الإمام مسلم .
(٣) صحيح الإمام مسلم .

العلوج ، أما تغارون إنه لا خير فيمن لايغار (١) وقد حاول اليهود أن يكشفوا عورة امرأة مسلمة فلم يجد رسول الله - ﷺ - حرجاً فى إجلاء قبيلة بنى قينقاع من أجل كشف عورة امرأة واحدة لأن الإسلام يعتبر المساس مجرد المساس بالمرأة جريمة عظيمة تستوجب العقوبة الصارمة .

وقد تحدث البعض منتقدين تصرف المسلمين إزاء اليهود زاعمين أن حكاية المسلمة التى ذهبت إلى الصائغ كان من اليسير إنهاؤها ما دام قد قتل من المسلمين رجل ومن اليهود رجل . ونستطيع دفع هذا القول بأن مقتل اليهودى والمسلم لم يمح ما لحق من إهانة فى شخص المرأة التى عبس اليهود بها، وإن مثل هذه المسألة عند أكثر الناس يثورون لها بل هى كما يقول محمد حسين هيكل فى كتابه حياة محمد : « جديرة بأن تثور لها الثائرات وأن يقوم من أجلها القتال بين وقبيلتين أو طائفتين سنوات متتابعة - عند العرب - وفى تاريخ العرب من ذلك أمثال يعرفها المطلعون على هذا التاريخ (٢) . وهذه الغيرة على العرض عند العرب لم يلغها الإسلام بل شجعها وأكدها ورتب العقوبة الزاجرة الصارمة على المستهتر بها فى الدنيا والآخرة ، فاعتبره ديوثا وحرم عليه رائحة الجنة كما رتب العقوبة الزاجرة على كل إنسان يتعرض لأعراض المسلمين بالإساءة قولاً أو فعلاً فالقاذف يجلد ثمانين جلدة وترد شهادته .

أقول : هذا موقف رسول الله ﷺ من المعتدين على كرامة امرأة مسلمة ، ونسمع اليوم صيحات متعالية لدعاة التغريب لقتل الغيرة عند الرجال ! .

---

(١) مسند الإمام أحمد .

(٢) راجع حياة محمد : ج ١٥ ص٢٩٣

رابعا : الدعوة إلى تأخير الزواج

العجيب الغريب أن هواة التغريب يهاجمون الزواج المبكر بأسلوب ماكر خادع ، فهم عندما يتحدثون عن أضراره يأتون بمقدمات باطلة ليستنتجوا منها نتائج مضللة، فهم يقولون :إن الزواج المبكر له أضرار كثيرة سببها أن كلاً من الزوجين يكون قليل الخبرة بالجنس الآخر نتيجة عدم الاختلاط ! !

ثم قليل الخبرة بالحياة لصغر السن ! !وقلة التجربة ! ! ثم قليل الخبرة بتربية الأولاد الذين يجيئون فى أول عهد الزواج فتسوء تربيتهم ،

لذلك يلزم تأخير سن الزواج مع إباحة الاختلاط حتى يتحقق التعارف بين الجنسين واكتساب الخبرة اللازمة للزواج ، ويتأخر مجئ الأولاد حتى تزداد الخبرة فتحسن تربيتهم .

ويقولون للمرأة إن الزواج المبكر والإنجاب الكثير يفسد رشاقتها ! ! ، ويقتل حيويتها ويمنعها من مشاركة الرجل فى إدارة شئون المجتمع ! ! ، وتظل وسائل الإعلام تلح على هذا الأمر كى تخرج المرأة من فطرتها ومن كينونتها وتنظر إلى الزواج على أنه قيد يعوقها ، وإلى الإنجاب على أنه عدو يفسد جمالها ! ! وإلى البيت والانشغال به على أنه إهدار لطاقتها بل إهدار لكرامتها ! ! ، وبعد أن كانت تفرح لصيحة الطفل لأن فيها تحقيق لرسالتها وإثبات لأنوثتها المتمثلة فى الاستعداد للحمل والإنجاب . صارت تمقت صيحة الطفل وتكره البيت ، وحتى إن تزوجت تستخدم موانع الحمل لتحافظ على رشاقتها .

وتظل وسائل الإعلام تلح على المرأة ، وعلى الرجل حتى يستمتعا كل واحد منهما بالحياة استمتاعاً حراً ، دون أن يفرض على استمتاعهما قيد

خلقى أو اجتماعى وأن من حق كل واحد منهما أن يمارس الجنس فى حدود الصداقة (١) .

لقد شن الإعلام العلمانى هذه الحرب على الأسرة لتغير قيمهاتحت «علمْ» الأمم المتحدة ، و «خاتم» المنظمات الدولية، من مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية سنة ١٩٩٤م إلى «مؤتمر بكين» سنة ١٩٩٥ ...إلى مؤتمر«بكين » فى مقر الأمم المتحدة – نيويورك سنة ٢٠٠٠ م .

لقد دعت هذه المؤتمرات بشكل واضح ، ورصدت الأموال لتشجيع دعاة التغريب فى العالم العربى والإسلامى ، للعمل على تغيير هياكل الأسرة ، على النحو المعاند للفطرة الإنسانية والقيم الإيمانية ، وإلى دمج المرأة فى المجتمع دمجاً كاملاً ، ودمج الرجل فى المنزل !! وتحويل الإنسان إلى «حيوان جنسى» تفوق حريته الجنسية نظيرتها لدى الحيوانات غير الناطقة ، معتبرة أن النشاط الجنسى حقاً من حقوق الجسد كالغذاء والماء ، بصرف النظر عن الضوابط الفطرية والشرعية (٢) .

إن الناظر إلى وثيقة المؤتمر الدولى للسكان والتنمية لسنة ١٩٩٤ . يدرك ما تحتويه من مخاطر أخلاقية فطرية ودينية إيمانية وسياسية واقتصادية ، إنها تدعو جميع الحكومات والمنظمات الحكومية والدولية ، والمنظمات غير الحكومية المعنية ، ووكالات التمويل والمؤسسات البحثية إلى إعطاء أولوية للبحوث الحيوية المتعلقة بتغيير الهياكل الأسرية (٣) وإذا كان الإحصان

---

(١) انظر : محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) انظر : د/محمد عمارة : فى فقه المواجهه بين العرب والإسلام ص ١٧٨ .

(٣) انظر : مشروع برنامج عجل المؤتمر الدولى للسكان والتنمية بالقاهرة فى الفترة من ٥:١٥ سبتمبر سنة ١٩٩٤ الترجمة العربية الرسمية الفصل الثانى عشر – الفقرة : ٢٤ طبعة ١٩٩٤م

بالزواج المبكر ، هو مما يحافظ على قيمة العفة ، وييسر الاستمتاع الشرعى الحلال بالعلاقات العاطفية والجنسية بين الأزواج .. فإن وثيقة مؤتمر السكان تسعى لعولمة منظومة القيم الغربية التى غدت تحرم وتجرم الزواج المبكر ، وتدعو إلى اعتماد «البدائل» التى تصرف عن هذا الزواج المبكر فيقول نص الوثيقة : «فالهدف هو الحيلولة دون حدوث الزيجات المبكرة وعلى الحكومات أن تزيد السن الأدنى عند الزواج حيثما اقتضى الأمر .. ولا سيما بإتاحة بدائل تغنى عن الزواج المبكر .. » (١)

وفى ذات الوقت تستنفر وثيقة مؤتمر السكان الدنيا كلها لإتاحة الزنا كبديل لهذا الزواج المبكر يقول الدكتور محمد عمارة : «لقد أفردت هذه الوثيقة حيزاً كبيراً - وملفتاً للنظر - للحديث عن حقوق المراهقين والمراهقات الناشطين جنسياً فى المعاشرات الجنسية ، بل وفى الحمل ، والإجهاض الآمن وتنظيم الأسرة .. فتقول وثيقة المؤتمر « فالهدف هو الوفاء بالاحتياجات الخاصة بالمراهقين والشباب وخاصة الشابات ، وأن تكون الخدمات عالية الجودة فى مجال الرعاية الصحية والجنسية والتناسلية .. كيما يتعاملوا مع نشاطهم الجنسى بطريقة إيجابية ومسؤولة ... وأن تنخفض عدد حالات حمل المراهقات تخفيضاً كبيراً .. فالمراهقون الناشطون جنسياً يحتاجون نوعاً خاصاً من المعلومات والمشورة والخدمات فيما يتعلق بتنظيم الأسرة .. كما أن المراهقات اللاتى يحملن يحتجن إلى دعم خاص من أسرهن ومجتمعهن المحلى خلال فترة الحمل ورعاية الطفولة المبكرة .. ولذلك يتعين على البرامج إشراك وتدريب كل من يتسنى لهم توفير التوجيه

(١) المصدر السابق - الفصل السادس الفقرة : ٧ والفصل الرابع : الفقرة ٢١ وانظر د : محمد عمارة : فى فقه المواجهه بين الغرب والإسلام ص ١٨١ .

للمراهقين فيما يتعلق بالسلوك الجنسي والتناسلي المسؤول ، وبخاصة الأبوين ، والأسر ، وأيضا المجتمعات المحلية ، والمؤسسات الدينية ، ووسائل الإعلام وجماعات الأقران .. وينبغي أن تعمل الحكومات على محاربة التمييز ضد الحوامل الشابات .. » (١)

هكذا تدعو وثيقة مؤتمر السكان لتوفير حقوق الزنا للمراهقين والمراهقات ، وكذلك حقوق الحمل والإجهاض وتنظيم الأسرة .. بعد حمايتهم من الزواج المبكر !!

تعقيب :- ياويل من يقف في وجه دعاة التغريب . فيتهم بالرجعية والتخلف والجمود والتأخر والجنون ، والتحجر على أوضاع عفا الزمن عليها ولا يمكن أن تعود .

إن العلمانين دعاة التغريب لايريدون أن يكون الزواج هو الذي يحكم علاقة الرجل والمرأة ، ولا يريدون أن يكون الزواج هو الصورة الوحيدة لهذه العلاقة ، ولا يريدون أن يعترفوا أن الزواج المبكر هو الذي يعدل سلوك الإنسان ويحفظه وهو الذي يضمن عفة المرأة التي هي أهم شئ لها في الحياة ، ولا يريدون أن يسترشدوا بنصوص الدين لأنهم يسقطونه من حياتهم ، ولهذا فسوف أدلل على فساد رأيهم من خلال ما ذكره بعض علماء الغرب يقول الفيلسوف الأمريكي « ول ديورانت » مبيناً أثر الشر الذي ينطوي على تأخير الزواج :« لسنا ندري مقدار الشر الاجتماعي الذي يمكن أن نجعل تأخير الزواج مسئولاً عنه ، ولا في أن بعض هذا الشر يرجع إلى مافينا من رغبة في التعدد لم تهذب، لأن الطبيعة [هكذا يزعم الكاتب أن الطبيعة هي التي تفعل ، لكننا كمسلمين نعتقد بأن الله الخالق لكل شيئ] .

---

(١) د/محمد عماره : في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام ص ١٨١ ، ١٨٢ .

لم تهيئنا للاقتصار على زوجة واحدة . ويرجع بعضها الآخر إلى ولاء المتزوجين الذين يؤثرون شراء متعة جنسية جديدة على الملل الذى يحسونه فى حصار قلعة مستسلمة . ولكن معظم هذا الشر يرجع فى أكبر الظن فى عصرنا الحاضر إلى التأجيل غير الطبيعى للحياة الزوجية . وما يحدث من إباحة بعد الزواج فهو فى الغالب ثمرة التعود قبله . وقد نحاول فهم العلل الحيوية والاجتماعية فى هذه الصناعة المزدهرة - أى صناعة الفاحشة - وقد نتجاوز عنها باعتبار أنها أمر لا مفر منه فى عالم خلقه الإنسان .

غير أنه من المخجل أن نرضى فى سرور عن صورة نصف مليون فتاة أمريكية يقدمن أنفسهن ضحايا على مذبح الإباحية ..

ولا يقل الجانب الآخر من الصورة كآبة ، لأن كل رجل حين يؤجل الزواج يصاحب فتيات الشوارع ممن يتسكعن فى ابتذال ظاهر، ويجد الرجل لإرضاء غرائزه خاصة فى هذه الفترة من التأجيل نظاماً دوليا مجهزاً بأحدث التحسينات ومنظماً بأسمى ضروب الإدارة العلمية ..

ويبدو أن العالم قد ابتدع كل طريقة يمكن تصورها لإثارة الرغبات وإشباعها .

ويتابع «ول ديورانت» نقده لتأخير الزواج والشر الذى نتج عن هذا التأخير بقوله : « وأكبر الظن أن الإقبال على اللذة قد زاد أكثر مما نظن مع هجوم دارون على المعتقدات الدينية ... حيث كان علماء اللاهوت قديماً يتجادلون فى مسألة لمس يد الفتاة أيكون ذنباً ؟ أما الآن فلنا أن ندهش عندما يقال : أليس من الإجرام أن نرى تلك اليد ولا نقبلها؟ ! لقد فقد الناس الإيمان وأخذو يتجهون نحو الفرار من الحذر القديم ...

لقد ظهر جيل مخدوع ألقى بنفسه فى أحضان الاستهتار والفردية

والإنحلال الخلقى ، وأصبحت الحكومات فى واد والشعب فى واد آخر ، واستأنفت الطبقات الصراع فيما بينها . واستهدفت الصناعات الربح بصرف النظر عن الصالح العام ، وتجنب الرجال الزواج خشية مسئوليته وانتهى الأمر بالنساء إلى عبودية خاملة أو إلى طفيليات فاسدة ! !

ورأى الشباب نفسه وقد منح حريات جديدة تحميه الاختراعات من نتائج - يشير بذلك إلى وسائل منع الحمل - المغامرات النسائية فى الماضى، وتحوطه من كل جانب ملايين المؤثرات الجنسية فى الفن والحياة (١) .

١- الإسلام يدعو إلى الزواج المبكر للقادر عليه : فتأخير الزواج أحدث فى الغرب دماراً عنيفاً فى المجتمع وسيحدث فى الشرق دماراً عنيفاً لايمكن الإحاطة بكل أبعاده لأنه يصادم فطرة الإنسان كما يصطدم مع شرع الله ومع سنن رسول الله - ﷺ - التى دعت الشباب إلى الإسراع فى الزواج لا إلى تأخيرة ، ولا الامتناع عنه ، وقد قال - ﷺ - يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » (٢) فطالما كان الشاب قادراً على الزواج ومؤنته فالزواج هو السبيل الوحيد إلى الحياة الهانئة السعيدة وكلما كان مبكراً كلما كانت السعادة أطول وأدوم ، وهو وحده الذى يكفل للرجل والمرأة على السواء حياة يسودها سكن النفوس واطمئنان القلوب . وهو وحده الذى يقضى على الفساد وفوضى الاختلاط لهذا كان آية من آيات الله الباهرة قال تعالى :﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

---

(١) انظر ول ديورانت مناهج الفلسفة ص ١٢٦ - ١٣٠ وانظر مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) حديث رواه الإمام البخارى : باب من استطاع منكم الباءة ص٩ حديث رقم ٥٠٦٥ .

وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) ودعا سبحانه وتعالى إلى الزواج المبكر يعلم هذا من قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (٢)

لقد خلق الله الزوجين الذكر والأنثى خلقاً يستلزم حاجة كل منهما للآخر، وهى حاجة فطرية ، ومركوزة فى النفس الإنسانية لهذا جعل الله – تعالى – الزواج أداة شرعية لمسايرة الفطرة ووسيلة لإشباع الرغبات بطريقة مشروعة (٣) لأن الإسلام لا يرضى أن يكون المسلم ربانياً فى المسجد يركع ويسجد ويتضرع ويبتهل ، فإذا خرج من المسجد انقلب إلى غير إنسانى لايفكر إلا فى شهوته ومن ثم كان الزواج فى الإسلام عبادة كعبادة الصلاة فى المسجد . ومن ثم لايجوز تأخير هذه العبادة عن موعدها للقادر عليها كما بينت سنة النبى ﷺ .

٢- الزواج فى الإسلام مرتبط بالشريعة الغراء التى تعمل على تحقيق التوازن بين الروح والجسد فى كل ما شرعه الله لعباده، ولهذا فقد فشلت المجتمعات المنحلة والتى أباحت العلاقات الجنسية إباحة مطلقة لا تحدها حدود الأخلاق ولا تقيدها قيود الاجتماع أما الزواج فى الإسلام فله خط مستقيم يرفض المنع والإطلاق كما يرفض قتل الغريزة وإباحتها بلا قيود أو ضوابط فالزواج لا يتحقق إلا بشرط القدرة على الإحصان والإنفاق والثقة بالعدل .

---

(١) سورة الروم آية رقم ٢١ .

(٢) سورة النحل آية رقم : ٧٢

(٣) راجع : الدكتور : محمد شتا أبو سعد : موجز الزواج والطلاق ص ٤ بتصرف .

كما أن من مقاصد الزواج فى الإسلام .

كسر الشهوة والعفاف حيث أودع الله سبحانه وتعالى فى الإنسان شهوة يستلزمها استمرار العمران ، وقمع هذه الشهوة يعتبر أمراً غير مشروع وتركها بإطلاق يعتبر شيئاً همجياً بهيمياً وهذان أمران مرفوضان فى حكم العقل السليم ، لذا جاء الإسلام بالزواج ليتحقق التوازن فى مسألة كسر الشهوة بطريقة يقبلها العقل ويقرها الضمير ، ولا تأباها الأخلاق ، ألا وهى طريقة الزواج الذى تنكسر به حدة الرغبة الطائشة ، ولهذا سد الإسلام طريق الانحراف والفسوق وهتك الأعراض من خلال إباحته للزواج الذى يعتبر بمثابة الحصن والقلعة التى يتحصن بها الشخص ويصون عفافة قال تعالى : ﴿ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ (١) .

٣ - الزواج فى الإسلام وسيلة لغاية جليلة : كما أن الإسلام لاينظر إلى الطاقة الجنسية لمجرد أمر واقع أو أنها شهوة ، بل ينظر إليها باعتبارها وسيلة لغاية جليلة هى التناسل والتكاثر الذى يحقق استمرار وجود الجنس البشرى ، ولكنه مع ذلك يتدخل لوضع الضوابط والقيود عند ممارستها .. لأنها إذا تركت بغير ضابط كانت حرباً على الجماعة (٢) .

لذا أوجب الله على عباده حفظ الفروج وإحصانها فلا تتاح ولاتباح ولاتستباح إلا بحقها ، وحرّم تعدى الحدود . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ (٣) . فالزنا واللواط والاستمناء - العادة السرية - والمساحقة كل

---

(١) سورة النساء آية رقم : ٢٥ .

(٢) راجع : موجز الزواج والطلاق للدكتور : محمد شتا ص ٥ .

(٣) سورة المؤمنون آية رقم : ٥ - ٦ .

تلك من الكبائر التى حرمها الإسلام .

والأرحام هى التربة الصالحة لهذا الحرث ، فأوجب الله على عباده العفاف الذى يضمن صيانتها، ولهذا كان الزواج من أجل العفاف وكسر الشهوة والذرية الصالحة .

٤ – كما أن الزواج سكن للنفس الإنسانية ويسمو بالروح سموا عظيما. فلماذا ندعو إلى تأخيره قال تعالى :﴿ وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) ـ لقد حدد الله سبحانه فى هذه الآية الكريمة المعالم الأخلاقية والمقاصد الشرعية من الزواج ، إنه ارتباط وميثاق بين رجل وامرأة ، هذا الارتباط يجمع كل خلائق الثبات والاستقرار داخل النفس الإنسانية ، فالسكن النفسى الموحى بالهدوء واستجماع الشتات وإسكات صرخات الجسد على صورة مطمئنة لا يزعجها الخوف حتى تسكن نوازع التطلع إلى المفاتن فى النساء . هذا وأمثاله هو المعنى الرحيب للسكن النفسى المراد من الزواج فى قوله تعالى : « ليسكن إليها»

كما أن الإسلام يعمل على صفاء النفس ونقاء الباطن لأن كبت الشهوة تجعل النفس الإنسانية متمردة تواقة للشر والانحراف أو تدفع الإنسان إلى الكبت الذى يقتل صاحبه نفسياً فلا يتحقق الخير من وجوده .

٥ – ومن دوافع الزواج أيضاً تحقيق الفضيلة ونبذ الرذيلة وإقامة العلاقات بين الرجل والمرأة على أساس مشروع ليس فقط يتقبله المجتمع بل يقره ويقدره وليس صحيحاً ما يقول به يهود علم الإجتماع من أنه لا فرق بين

(١) سورة الروم آية رقم ٢٢ .

الزواج والزنا إلا من حيث عدم التقبل الاجتماعى لطبيعة هذه العلاقة .

٦ - ومن دوافع الزواج أيضاً أنه يحقق التكامل فى العلاقات الاجتماعية والروابط الأسرية، بل إنه يحقق وحدة الأمة لأن من يتزوج يقيم علاقة مشروعة مع أنثى ، وهو فى نفس الوقت يقيم علاقة قوية مع أسرتها بعكس الفتاة التى تسلم كرامتها وكرامة أسرتها لشاب لايريد سوى إشباع غريزته ولا يدرى أنه بجرمه هذا يحطم العلاقات الإجتماعية ويخرب الأخلاق العامة والخاصة ، بل قد يقضى على أسرة الفتاة .

ياقومنا : إن محاربة الزواج المبكر مخطط خبيث من مخططات أعداء الأمة فآثاره السلبية على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كبيرة ومدمرة .

خامسا : الدعوة إلى تحديد النسل

دعاة التغريب يركزون جهدهم على إقناع المرأة بأن الإنجاب الكثير يفسد رشاقتها ويقتل حيويتها ويمنعها من مشاركة الرجل فى إدارة شئون المجتمع ، وكأن المطلوب هو تحديد النسل أو منع النسل متابعة لنظرية « مالتس البريطانى» وبسبب التخويف الذى ذكره المستشرق الألمانى « باول شمتز » فى كتابه « الإسلام قوة الغد العالمية » ، حيث استهدف مؤلفه تبصير بنى جنسه لعناصر القوة فى الإسلام ، كى يخططوا لإضعافها إن أرادوا حماية أنفسهم من الإسلام ، حيث يرى أن المسلمين يملكون من مصادر القوة مالا يملكه أتباع دين آخر على وجه الأرض والتى منها ما يلى : –

أولاً : يسكنون منطقة جغرافية تتحكم فى العالم كله يقول باول : « إن أهمية المنطقة الإسلامية فى نظام التجارة العالمية فى ذلك الوقت كانت واضحة ، وحقيقة واقعة فحكامها كانوا يستطيعون التحكم فى الأسعار عن طريق رفع رسوم المرور والجمارك ، بل كان فى مقدورهم قطع الطريق كلية ، إذا بدالهم أن ذلك فيه فائدة لهم ، أى رغبوا فيه اعتماداً على أى سبب » ومن هنا ظهرت الأطماع فى السيطرة على هذه المنطقة ... « ولم يتغير شئ من هذا بعد دخول الإسلام ... فقد أصبح قدح الزند فى المجالات السياسية والتجارية فى الشرق الأدنى فى يد الدولة الإسلامية الجديدة التى مدت سلطانها على المنطقة جغرافياً وثقافياً (١) .

ثانياً : يقول باول عن المسلمين : « لديهم خصوبة بشرية تمكنهم من التفوق على غيرهم إن هم أحسنوا إعدادها وتوجيهها ، كما تشير ظاهرة .

---

(١) انظر باول شميتز : الإسلام قوة الغد العالمية : ترجمة الدكتور محمد شاقه ص ٣٤ .

نمو السكان فى أقطار الشرق الإسلامى إلى احتمال وقوع هزةً فى ميزان القوى بين الشرق والغرب ، فقد دلت الدراسات على أن لدى سكان هذه المنطقة خصوبة بشرية تفوق نسبتها مالدى الشعوب الأوربية ، وسوف تمكن الزيادة فى الإنتاج البشرى الشرق على نقل السلطة فى مدة لاتتجاوز بضعة عقود! وسوف ينجح فى ذلك نجاحاً لا نرى من أبعاده اليوم إلا النذر اليسير ، ولكى تتضح .. خطر الخصوبة الطبيعية الكائنة نورد هنا مثالاً يعطى القارئ صورة صادقة لاتجاهات مؤشرالإحصاء السكانى وذلك المثال هو ...

وبعد أن يعرض باول لمؤشر زيادة السكان فى مصر من سنه ١٨٨٧م إلى سنه ١٩٣٧م يعقب على ذلك فيقول : « وسيصبح فى مصر فى مدى ٩٦٨ سنه أمة تعدادها ٩٧٣ ملياراً من البشر!! ، أى أنها سوف تنمو بشرياً إلى درجة لاتمكنها فقط من استعمار الكرة الأرضية ، بل من استعمار أعداد من الكواكب السيارة الأخرى (١) » .

تعقيب : وبناءً على هذه الدراسة وأمثالها من الدراسات الاستشراقية ، قام أعداء الأمة بوضع الخطط والبرامج ورصد الأموال والوسائل التى تمنع هذا النسل المخيف المرعب الذى سيستعمر الكواكب السيارة ! !

وتلقى دعاة التغريب تعليمات أعداء الأمة وكأنها أوامر إلهية وأحكامٌ ربانية لاتتبدل ولاتتغير وأخذوا ينادون بتنظيم النسل و بوجوب ترك فترة زمنية معقولة بين كل ولادة وأخرى حتى تأخذ الأم قسطاً معقولاً من الراحة بينهما، ويأخذ المولود قسطاً معقولاً من التربية والرعاية وكانوا يحتجون لذلك بما ورد فى القرآن الكريم عن جواز امتداد الرضاعة إلى حولين كاملين وذلك

(١) انظر المصدر السابق صـ ١٩٧ .

فى قوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ (١) .

وهذا الكلام كان من الممكن أن يكون مقبولاً بشرطين هما : (٢)

الأول : أن تكون هذه المدة معقولة ومقبولة عرفاً ، بأن يكون العرف الصحيح للنساء : إن هذه هى المدة التى يتأتى فيها ذلك ، لا أن تكون المدة مفتوحة ، أو يلحقها الإسراف ، أو توضع مغريات لتأخير الزواج ، أو أن تكون عامة لكل النساء .

الثانى : ألا يتخذ ذلك الكلام ذريعة للوصول إلى « تحديد النسل » المرفوض عقلاً ونقلاً ، وطبعاً ووضعاً ، فيقال » : إن عدد كذا من الأولاد هو العدد المناسب للأسرة الحديثة حتى تستطيع الأم أن ترعاهم ويستطيع الأب أن ينفق عليهم ، ولعدد قليل من الأولاد سليم وصحيح أفضل من عدد كبير صفته كذا وكذا ، أو أن يقال أن كثرة الحمل والإنجاب تفعل فى المرأة كذا وكذا ، أو يقال أن الأرض والمقدرات والأرزاق والإمكانيات كذا وكذا .. إلى آخر ما يهرف به بعض من لا خُلُقْ لهم ولا دين ويضللون به الناس بما يثيرون من مغالطات وأباطيل ، فالصحة والسلامة ، وكذا المرض والضعف أمور تكون مع الكثرة والقلة وليس مرجعه مجرد الكثرة ، فالواقع يكذب ذلك تكذيباً شديداً .

أنه يقره الشرع الشريف ، فلو أن المرأة تزوجت فى سن العشرين مثلاً ،

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٣٣ .

(٢) انظر : القول الفصل فى تنظيم النسل بحث بحولية كلية أصول الدين العدد الثانى للدكتور محمد شوقى نصار ص ١٧٥ .

وحملت ووضعت كل أربع سنوات لأنجبت المرأة خمسة أو ستة قبل أن تصل إلى سن اليأس ، الذى يكون عادة فى منتصف الأربعينيات من العمر، إذا كان هذا هو المقصود فالكل يؤيده ويظاهر عليه ، أما إذا كان المقصود أمر آخر لينخدع به الناس فهو كلام حق يراد به باطل . وهو على حد قول الله عز وجل : « ظاهرةَ الرحمة وباطنة من قبله العذاب » (١) .

لأن الله ضمن لبنى آدم أرزاقهم ما كانت لهم على الأرض حياة ، وطمأنهم على يومهم وغدهم . و مستقبلهم ، وطلب منهم العمل والسعى والكد والجهد أخذاً فى الأسباب للوصول إلى ما قدر الله لهم من أرزاق . قال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) .

والمعنى : ما من شئ يدب على وجه الأرض من إنسان أو حيوان إلا تكفل الله برزقه تفضلاً منه وكرماً ، فكما كان هو الخالق كان هو الرازق (٣) .

ويقول ابن كثير أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض ، صغيرها وكبيرها ، بريها وبحريها (٤) .

وقال تعالى :﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ (٥) .

والمعنى أن الرزق حق لا محالة مثل نطقكم وكما لاتشكون فى نطقكم حين

---

(١) سورة الحديد آية رقم ٢٣ . وانظر المصدر السابق .
(٢) سورة هود آية رقم ٦ .
(٣) انظر صفوة التفاسير العدد رقم ٦ صـ ٥٩١ .
(٤) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٢٣٩ .
(٥) سورة الذاريات آية رقم ٢٢ ـ ٢٣ .

تتطقون ، فكذلك يجب ألا تشكوا فى الرزق والبعث .

قال الحسن : بلغنى أن نبى الله - ﷺ - قال : « قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم بنفسه ثم لم يصدقوه » (١) .

وطمأن الله الآباء فى أنه الضامن لرزق الأولاد قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ (٢) .

أى لا تقتلوهم خوفاً من الفقر فى الأجل أو فى المستقبل ، ولهذا قال هنا « نحن نرزقهم وإياكم » فبدأ برزقهم للإهتمام بهم ، أى : لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله ...

وقال تعالى فى سورة الأنعام ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (٣) أى لا تقتلوهم من فقركم الحاصل . ولهذا ورد فى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه سأل رسول الله - ﷺ - : أى الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، قلت ثم أى قال :أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، قلت : ثم أى ؟ قال أن تزانى حليلة جارك .... » (٤) .

هذا ما أردت بيانه حتى أخرج من عهدة المسائلة فى يوم لاينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . وحتى أبين أن دعاة التغريب يعملون ضد أوطانهم وضد دينهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(١) تفسير القرطبى ٢١٢ ص ٦ .

(٢) سورة الإسراء آية رقم ٣١ .

(٣) سورة الأنعام آية رقم ١٥١ .

(٤) فتح البارى ج ٨ ص ١٣٣ وصحيح مسلم ج ١ ص ٢٧٤ .

الفصل الرابع
تحقيق شخصية المرأة المسلمة
وفيه النقاط التالية

* أولاً: تمسك المرأة بحقها في اختيار الزواج
* ثانياً: تمسك المرأة بحقها في مفارقة الزواج
* ثالثاً: عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح
* رابعاً: حقها في استيضاح الحكم الشرعي
* خامساً: حقها في الدفاع عن زوجها وحمايته
* سادساً: حقها في الدفاع عن نفسها وعن أسرتها

تمهيد:أعطى الإسلام المرأة حقها فى الكرامة الإنسانية وأثبت استقلال شخصيتها وإرادتها كما أثبت تصرفها فى ملكيتها الخاصة ، والإسلام إذ يفعل هذا ، إنما يفعل ذلك من منطلق منهجه المتكامل المتوازن القائم على التركيب والبناء لا على الهدم والنقض ، والناظر فى القرآن الكريم والسنة النبوية يجد أن الإسلام أثبت للمرأة شخصية متميزة منذ بزوغ نوره يتضح ذلك من خلال ما يأتى :

أولاً : تمسك المرأة بحقها فى اختيار الزوج :

روى البخارى بسنده عن القاسم أن امرأة من ولد جعفر - تخوفت « أن يزوجها وليها وهى كارهة » فأرسلت إلى شيخين من الأنصار هما ، عبد الرحمن ومجمع بن جارية . فقالا لها : لا تخشين فإن خنساء بنت خدام أنكحها أبوها وهى كارهة فرد النبى ذلك » (١) . فالذى ينظر إلى الرجلين يجد أنهما طمأنا المرأة بأنه لا إكراه فى الزواج ؟ وأن من حق المرأة أن تختار من سيتزوجها حيث إنهما يعلمان ما فعله رسول الله بغيرها .

وها هى أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - تتحدث عن كيفية تحقيق شخصية المرأة المسلمة فتقول عن بريرة وهى المرأة التى تمسكت بحقها فى اختيار الزوج الذى سترتبط به وترفض من لا تراه مناسباً لها برغم شفاعة النبى :

« كان فى بريرة ثلاث سنن - أى أحكام - إحدى السنن أنها اعتقت فخيرت فى زوجها » (٢) . ويوضح ابن عباس - رضى الله عنهما - هذه

(١) انظر البخارى . كتاب الحيل . باب فى النكاح ج ١٥ ص : ٥٧٣ .
(٢) صحيح البخارى ، ج ٩ ، حديث رقم ٥٢٧٩ .

الحقيقة بقوله : « إن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث ، كأنى أنظر إليه يطوف خلفها يبكى ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلّم لعباس : « يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثاً » فقال النبى :

(ﷺ) : لو راجعتيه . قالت : يا رسول الله ، تأمرنى ؟ قال : إنما أنا أشفع . قالت : لا حاجة لى فيه » (١) . ويعلق الحافظ ابن حجر على ذلك فيقول : وظاهره أنه كان منها ولد » أى أنها ردت الزواج بعد أن تزوجته وأنجبت منه . ثم يقول : « ويؤخذ من قولها « أتأمرنى » أن بريرة علمت أن أمره (ﷺ) واجب الامتثال فلما عرض عليها ما عرض ، استوضحت هل هو أمر يجب على امتثاله أم مشورة فأستخير منها . أى تريد بهذا القول : هل هو أمر فيجب عليها ؟ قال : إنما أنا أشفع . أى أقول ذلك على سبيل الشفاعة له لا على سبيل الحتم عليك . فقالت : فلا حاجة لى فيه . أى إذا تلزمنى بذلك لا أختار العود إليه » (٢) .

هكذا حقق الإسلام شخصية المرأة حتى ولو كانت أمة : لا تملك من أمرها شئ . وذلك لأنه تشريع ربانى يتعامل مع الأحاسيس والمشاعر والعواطف وليس مع الأشخاص والأجناس .

ثانياً :- تمسك المرأة بحقها فى مفارقة الزوج وخلعه :-

الباحث فى أحكام السنة النبوية يجد أن الإسلام أعطى للمرأة ما لم تتحصل على مثله فى أى نظام آخر فكما أعطاها الحق فى اختيار الزوج ، فقد أعطاها الحق فى مفارقة الزوج وخلعه ليبنى شخصيتها على أحكام تشريعية ثابتة ، فعن ابن عباس – رضى الله عنهما– قال : جاءت امرأة

(١) صحيح البخارى ، ج ٩ ، حديث رقم ٥٢٨١ .
(٢) شرح صحيح الإمام البخارى ، ج ٩ ، ص ٤٠٩ .

ثابت بن قيس إلى النبى (ﷺ) فقالت : يا رسول الله ما أنقم على ثابت فى دين ولا خلق إلا أنى أخاف الكفر - أى كفر العشير - فقال رسول الله :

« أتردين عليه حديقته التى أعطاك » قالت نعم يا رسول الله وزيادة ، فقال (ﷺ) : « أما الزيادة فلا ولكن حديقته » ثم أمر ثابت بن قيس « أقبل الحديقة وطلقها تطليقة » (١) .

فهذه الحادثة تثبت أن الشرع الإسلامى أعطى للمرأة الحق فى أن تختلع ممن تبغضه ولا تقدر على العيش معه . ولكن قبل أن أترك هذه القضية يجب علىَّ أن أبين بعض الضوابط التى تتعلق بهذا الحق . فالإسلام عندما أعطى المرأة حق الخلع قيده بعدة قيود وضوابط يذكرها القرآن الكريم بوضوح فى هذه الآية ﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلاَّ أن يخافا ألاَّ يقيما حدود الله فإن خفتم ألاَّ يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾

ضوابط الخلع

١- يجب أن يكون الخلع فى حالة يخشى فيها تعدى حدود الله ، ولهذا قال رسول الله « أيما امرأة اختلعت من زوجها بغير نشوز فعليها لعنة الله والناس أجمعين . المختلعات هن المنافقات » (٢) .

فإذا كان سبب الخلع الخوف من عدم إقامة حدود الله فلا بأس به لقوله تعالى ﴿ فلا جناح عليهما ﴾

٢- إذا أرادت المرأة التحرر من عقدة النكاح ، فعليها أن تضحى بالمال ، كما يضحى الرجل به حين يطلق امرأته برغبته ، فالرجل إذا طلق امرأته

---

(١) البخارى : كتاب الطلاق باب الخلع ، ج ١١ ص ٣١٩ حديث رقم ٥٢٧٦ .

(٢) رواه الإمام البخارى والنسائى كتاب الطلاق باب الخلع ج ١١ ص ٣١٩ .

بنفسه لا يسترد شيئاً مما أعطاه للزوجة ، فإذا أرادت المرأة أن تنفصل هى عنه أعادت إليه بعض أو كل ما كانت أخذته منه من مال على هيئة مهر .

٣ - لا يكفى للافتداء مجرد رغبة المفتدية ، إنما يتم هذا الأمر حين يرضى أخذ الفدية بذلك ، يعنى أن المرأة لا تستطيع أن تفصل نفسها عن زوجها بمجرد إعطائه قدراً من المال ولكن لا بد من قبول الزوج هذا المال .

٤ - يكفى لإنجاز الخلع أن تعطى المرأة للرجل مهرها كله أو بعضه فيقبله الرجل ويطلقها ، فقوله سبحانه ﴿ فلا جناح عليهما فيما افتدت ﴾ تدل على أن الخلع يتم برضا الطرفين واتفاقهما .

وبهذا يظهر خطأ من يشترطون للخلع حكماً قضائياً . لأن الأمر الذى يمكن تقريره داخل جدران البيت ، لا يحبب الإسلام عرضه فى المحاكم .

٥ - إذا عرضت المرأة الفدية على الرجل ولم يقبلها حق لها الرجوع إلى القضاء لأن قوله تعالى ﴿ فإن خفتم ألاَ يقيما حدود الله ﴾ موجه إلى أولى أمر المسلمين ، لأن واجب أولى الأمر حماية حدود الله ومن ثم يلزم عليهم أن يعطوا المرأة حقها الذى أعطاه الله من أجل الحفاظ على حدود الله (١) .

٦ - إذا طلبت المرأة الخلع ورفض الزوج أمره القاضى بتطليقها .

وقد جاء فى كافة الروايات أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين أصدروا أحكامهم فى مثل هذه القضايا بقبول المال وتطليق الزوجة . وحكم القاضى ملزم بالنسبة للمحكوم عليه ، لأن منزلة القاضى فى الشريعة ليست منزلة الناصح المشير ، ولو كانت منزلة القاضى هكذا لكان فتح أبواب المحاكم أمام الناس عبثاً لا معنى له . و الخلع حسب تصريح

---

(١) انظر : أبو الأعلى المودودى : حقوق الزوجين ص ٥٢ ، ٥٣ .

النبى – صلى الله عليه وسلم – بذلك حكمه حكم الطلاق البائن الذى لا يحق فيه للزوج بعد وقوعه مراجعة زوجته خلال عدتها ، لأن الغرض من الخلع يذهب ببقاء حق الرجوع ، كذلك فالمال الذى تبذله المرأة للرجل إنما تبذله لقاء تحريرها من رباط الزوجية . ولكن إذا أرادت الزوجة أن تتزوجه مرة أخرى وقبلها الزوج فلها ذلك .

٧ – تحديد مقدار عوض الخلع لم يحده الله – عز وجل – بأى حد ، إنما يتم الخلع حسب ما اتفق عليه الزوجان ، غير أن النبى – صلى الله عليه وسلم – كره أن يأخذ الزوج عوضاً أكثر من قيمة المهر الذى دفعه .

يتضح من هذا إلى أى حد أقيم التوازن الصحيح بين حقوق الرجل وحقوق المرأة . ومن ثم لا يستطيع أحد يحترم عقله أن يتجرأ ويتهم شريعة الله وسنة ورسوله بهذه التهمة بالباطلة ، تهمة الإجحاف بحقوق المرأة .

ثالثاً - حق المرأة فى عرض نفسها على الرجل الصالح :-

الذى ينظر إلى هذا الموقف الفريد الذى عرضته هذه المرأة الفريدة ، وكأنها أرادت أن تقول لمن يأتى بعدها ها هو الإسلام السمح الكريم الذى يفتح ذراعيه للجميع لا يمنع المرأة من أن تعبر عما يدور فى خلدها ، وأن تعرض خلجات أمرها على أفضل الخلق أجمعين فعن سهل بن سعد رضي الله عنه :

أن امرأة جاءت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت : يا رسول الله : جئت لأهب لك نفسى .

فنظر إليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فصعد النظر إليها وصوبه . ثم طأطأ رأسه . فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً . جلست ، فقام رجل من أصحابه فقال : يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة : فزوجنيها فقال له : هل عندك من شئ ؟ فقال : لا والله يا رسول الله . قال : اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً ؟ فذهب . ثم رجع فقال : لا والله يا رسول الله ، ما وجدت شيئاً . قال : انظر ولو خاتماً من جديد .

فذهب ثم رجع . فقال : لا والله يا رسول الله : ولا خاتماً من حديد .

ولكن : هذا إزارى . قال سهل ماله رداء نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماء تضع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيئ . وإن لبسته لم يكن عليك شئ . فجلس الرجل حتى طال مجلسه . ثم قام فرآه رسول الله مولياً فأمر به فدُعى فلما جاء : قال : ماذا معك من القرآن ؟ قال معى سورة كذا وسورة كذا : عدّها . قال : أتقرأهن عن ظهر قلب ؟ قال نعم . قال : اذهب فقد زوجتكها بما معك من القرآن » (١) .

هذه المرأة المؤمنة أرادت أن تثبت شخصيتها فى بيئة عربية لم تكن

(١) صحيح البخارى باب القراءة عن ظهر قلب حديث رقم ٥٠٣٠ .

مستعدة لتقبل هذه المبادرة ، وكانت العنوسة فى رأى هذه البيئة أفضل ألف مرة من أن تعرض الحرة نفسها على رجل .. مهما كان موقع هذا الرجل ، وشاهد ذلك من السنة المطهرة ما روى من تعليق بنت أنس - رضى الله عنها . وقد رأت هذا المشهد فقالت :ما أقل حياءها ، واسوأتاه. قال - أى أنس - هى خير منك رغبت فى النبى - ﷺ - فعرضت عليه نفسها (١) لأن الإسلام لا يمنع هذا الغرض حتى ولو كان على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : يقول الدكتور محمود عمارة معلقاً : ونتسائل هنا ألم يكن لهذه المرأة والد .... أو عم ... أوخال ينوب عنها فى هذا العرض المحرج المخرج للأنثى عن طبيعتها ؟ ! .

والجواب : إنه الإصرار المعبر عن عمق الرغبة .. هو الذى فرض عليها ذلك ولعل الرسول (ﷺ) يرى منها ما يدعوه إلى نكاحها .. ثم هو الحب العميق : الحب العقلى والقلبى معاً يكلف صاحبه ركوب الصعب .. ليتوج فى النهاية برفقة الرسول (ﷺ) ، إنها إذن تكاليف الود المشتق من الإيمان ، هذا الإيمان الذى إذا غاض ، فقدت الحياة جمالها .... وإذا كانوا يقولون اليوم ! إنك بالحب ، لا بالحقد تستطيع أن تفعل كل شئ ، فإننا نقول إنك بالإيمان تستطيع أن تفعل أفضل شئ ، وأكمل شئ (٢) .

لقد بينت لنا هذه المرأة أن الإسلام يمنح الإنسان الشجاعة وتحقيق الشخصية لقد عرضت أمرهاعلى سيد البشر فما تلعثمت فى عرض قضيتها وبدون تعقيد أو تخليط كان كلامها أو عرضها كحبات الندى على أوراق الزهر لأنه كلام خارج من مؤمنة تبحث عن نصفها الضائع ، أو عن رفيق

---

(١) صحيح البخارى حديث رقم ٥١٢٠ .

(٢) الدكتور محمود عمارة مقال تحت عنوان مواقف إسلامية مجلة الأزهر .

الحياة وقد اختارت أن يكون أفضل البشر الذى كان بشراً يوحى إليه ، فهو (ﷺ) الذى دفعها إلى هذا العرض ، فلم يكن ملكاً يطل بشخصيته السامقة على الإنسان فيشل قوى الإدراك فيه ، ولكنه كان النبى الإنسان الذى وسع قلبه آمال أمته وآلامها .. لقد استقبل المرأة بهذا القلب الوسيع .. فساعدها على أن تعلن عن رغبتها .. فنظر إليها بل كرر النظر وركزه عليها، تشريعاً وتعليماً لأمته لتعلم كيف تبنى شخصية المرأة ، فقد كان من الممكن - لو كانت خاطئة - أن يصوب رأيها كما كان من الممكن أن يجاهرها بعدم رغبته فيها وبالكلام الصريح ولكنه لم يشأ أن يكسر خاطرها ، فاختار الأسلوب اللين فسكت ثم طأطأ رأسه ، مؤكداً فى نفس الوقت أنه لا زواج بلا رغبة قلبية ، وعلى الذين يُدَّعون بناتهم دعًا إلى من لا يرغبن فيه ، عليهم أن ينتظروا جزاء ما يعملون فشلاً ذريعاً » .

ما يشير إليه الحديث :

١ - أن النظر للمخطوبة أمر مشروع

٢ - على الخاطب أن لا يعطى لنفسه الحق فى النظرة النهمة المتشهية ، وإنما هى النظرة العاقلة التى تقتصر فقط على ما يشجع على الزواج

٣ - أن يكون النظر بدون سابق موعد وقبل أن تخفى بالزينة المصطنعة شكلها الطبيعى مصداق لما رواه جابر قال : « خطبت امرأة فكنت أتخبأ لها ... حتى رأيت ما دعانى إلى نكاحها فتزوجتها » (١) .

٤ - على الخاطب أن يكون مؤدباً فى عرضه وطلبه فلا يخطب على خطبة أخيه مصداق ذلك قول الرجل : « إن لم يكن لك بها حاجة »

(١) انظر سنن أبى داود ج١ ص ٤٨٠ .

٥ ـ أن المرأة ليست سلعة تباع فى الأسواق حتى تكون من نصيب من يدفع أكثر ، وإنما مهرها مجرد رمز ، يشير إلى أنها ليست لقطة عبر الطريق وإنما هى قيمة إنسانية يتم الاقتران بها من خلال ما يتراضى عليه الطرفان .

٦ ـ أن الكفاءة بين الزوجين مشروطة فى أن تكون فى الدين والحرية والنسب كحد أدنى .

٧ ـ على الداعية إلى الله – تعالى – أن يكون له دور فعال فى حل مشكلات المجتمع . ولا ينعزل بنفسه عن قضايا المدعوين.

٨ ـ يشير هذا الحديث إلى ما يجب أن يكون فى الزواج من رضا الولى ووجود الشهود العدول وغير ذلك من أمور تحدث عنها الفقهاء .

اعتراض باطل :

لو قال قائل : إن هذا يدل على أن المرأة كانت حرة فى اختيار شريك حياتها بلا ولى ولا شهود . نقول : إن هذا قياس فاسد فالولى هنا : هو رسول الله ـ  ـ وهو بلا شك ولى من لا ولى له ، بل هو ولى الأمة كلها ، وهو الشاهد أيضاً ، والمجلس كان حافلاً بالشهود ... وإذا تم الزواج هنا بلا زفة ولا طبل ، ولا مزمار فقد تم الإشهار فى وضح النهار . وقد رآهما كل من فى المجلس : زوجها يمشى معها وهى تمشى معه سعيد بها وهى به سعيدة . وأين هى ممن تتزوج فى الشوارع الخلفية زواجاً يتواصى به المهرولون جهة الغرب بأن يظل سراً .

إن أى زواج لا يتم على منهج الإسلام هو زواج محكوم عليه بالفشل ، بل هو ليس بزواج

رابعا : حق المرأة فى استيضاح الحكم الشرعى ليتثنى لها الزواج

لقد صنع الإسلام بتعاليمه وتشريعاته حضارة تهاوت أمامها أعظم الحضارات ، بل وغيرت مجرى التاريخ الإنسانى كله ، وأصبحت أحداث من رباهم الرسول (ﷺ) زهوراً عطرة ، وأمثلة عظيمة فى البحث عن الحق والوصول إليه : فعن سبيعة بنت الحارث الأسلمية أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وكان ممن شهد بدراً فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تنشب - أى تلبث - أن وضعت حملها بعد وفاته .

فلما تَعَلَّت من نفاسها - أى طهرت - تجملت للخُطَّاب ، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك - رجل من بنى عبد الدار - فقال لها : مالى أراكِ تجملتى للخطاب تُرَجِّين النكاح ، فإنك والله ما أنت بناكح حتى تمرّ عليك أربعةُ أشهر وعشر . قالت سبيعة : فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حين أمسيت وأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك ، فأفتانى بأنى قد حللت حين وضعت حملى وأمرنى بالتزوج إن بدا لى » (١) .

قال الحافظ ابن حجر فى قصة سبيعة من الفوائد : ما كان فى سبيعة من الشهامة والفطنة حيث ترددت فيما أفتاها به ، حتى حملها ذلك على استيضاح الحكم من الشرع ، وفيها من الفوائد أيضاً : مباشرة المرأة السؤال عما ينزل بها ولو كان مما يستحى النساء من مثله » (٢) .

خامسا : حقها فى الدفاع عن زوجها وحمايته :

لقد ربى رسول الله (ﷺ) بناته تربية لم يأت الزمان بمثلها ، وأعطاهن

(١) البخارى - فتح البارى ج١١ ص٤٠٠ - ٤٠١ .
(٢) فتح البارى ج١١ ص٤٠٠ ، ٤٠١ .

الحق فى أن يعلن عن حبهن لأزواجهن لأن هذا معلم من معالم شخصيتها فى الإسلام . فعن أم المؤمنين أم سلمة - رضى الله عنها - أن زينب بنت رسول الله - (ﷺ) أرسل إليها زوجها « أبو العاص بن الربيع » ، وقد أسره بعض الصحابة ، بعد أن هاجرت زوجه زينب إلى المدينة وكان وقتها مشركاً : وقال لها : خذى لى أماناً من أبيكِ ، فخرجت فأطلعت رأسها من باب حجرتها ، والنبى (ﷺ) يصلى بالناس ، فقالت : « أيها الناس إنى زينب بنت رسول الله (ﷺ) ، وإنى قد أجرت أبا العاص ، فلما فرغ النبى (ﷺ) من الصلاة قال : يا أيها الناس إنه لا علم لى بهذا حتى سمعتموه ، ألا وإنه يجير على المسلمين أدناهم (١) وقد أجرنا من أجارت فلما انصرف الرسول (ﷺ) إلى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبى العاص ما أخذ منه - من عير - ففعل وأمرها ألا يقربها فإنها لاتحل له ما دام مشركاً. ورجع أبو العاص إلى مكة فأدى إلى كل ذى حق، حقه ثم أسلم ورجع إلى النبى (ﷺ) مسلماً مهاجراً فى المحرم سنة سبع من الهجرة » (٢) وردعليه رسول الله (ﷺ) زينب بذلك النكاح الأول (٣) .ولم يكن هذا هو أول موقف من زينب مع زوجها فلقد دافعت عنه حينما أسر فى بدر الكبرى ، فأرسلت فى فدائه أعز ما تملك ، وهى القلادة التى أخذتها هدية من أمها أم المؤمنين خديجة فى يوم زواجها من أبى العاص ، فلما رآها رسول الله (ﷺ) تذكر زوجه خديجة - رضى الله

(١) المستدرك للحاكم : ورجاله ثقات ج٤ ص٤٥ .
(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٧٣ .
(٣) أخرجه الترمذى ، النكاح ج٣ ص٤٤٢ حديث رقم ١١٤٣ صححه الألبانى صحيح سنن الترمذى ج١ ص٣٣٣ .

عنها - فطلب من الصحابة فك أسره ففعلوا وأعادوا معه القلادة (١) .

بهذه المعاملة الحانية كان رسول الله ﷺ - يرعى بناته .

سادساً : حقها في الدفاع عن نفسها وعن أسرتها :

احترم الإسلام دفاع المرأة عن أسرتها وزوجها وأولادها حتى لا يضيعوا ، والذى يقرأ قصة خولة بنت ثعلبة يجد نفسه أمام امرأة عظيمة استطاعت أن تعيد عرى الزوجية بعد انفكاكها . وذلك من خلال مراجعتها لرسول الله ﷺ فقد أخرج الإمام أحمد قال حدثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب، قالا: حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنى معمر بن عبد الله بن حنظلة ، عن يوسف بن عبد الله سلام ، عن خولة بنت ثعلبة : فيَّ والله وفى أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة . قالت كنت عنده ، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه . قالت فدخل عليّ يوماً فراجعته بشئ فغضب ، فقال لى : أنت على كظهر أمى . قالت : ثم خرج فجلس فى نادى قومه ساعة ثم دخل عليَّ فإذا هو يريدنى عن نفسى . قالت : قلت : كلا والذى نفس خويلة بيده ، لا تخلص إلىَّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه - قالت : فواثبنى ، فامتنعت عنه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عنى . قالت : ثم خرجت إلى بعض جاراتى فاستعرت منها ثياباً . ثم خرجت حتى جئت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجلست بين يدية فذكرت له مالقيت منه وأنه قال لى : « أنت على كظهر أمى » ثم ندم على ما قال فقال : ما أراك إلا قد حرمت عليه ، فقالت : يا رسول الله إن أوساً من قد عرفته أبو ولدى ، وابن عمى وأحب الناس إلىّ ، وقد عرفت ما يصيبه من

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٨ صـ ٣٣ .

اللمم ، وعجز مقدرته وضعف قوته ، وعى اللسان ، وأحق من عاد عليه أنا بشئ إن وجدته وأحق من عاد علىّ بشئ إن وجده هو . وقد قال كلمة والذى أنزل عليك الكتاب بالحق ما ذكر طلاقاً . قال : أنت علىّ كظهر أمى. فقال رسول الله (ﷺ) : ما أراك الا قد حرمتى عليه .

فجادلت رسول الله مراراً ثم قالت : اللهم إنى أشكو إليك شدة وجدى ، وماشق علىّ من فراق ، اللهم أنزل على لسان نبيك ما يكون لنا فيه فرج .

قالت عائشة فلقد بكيت وبكى من كان معنا من أهل البيت رحمة لها ورقة عليها . فبينما هى كذلك بين يدى رسول الله (ﷺ) تكلمه ، وكان رسول الله (ﷺ) إذا نزل عليه الوحى يغط فى رأسه ويتربد وجهه ، ويجد برداً فى ثناياه ويعرق حتى يتحدر منه مثل الجمان - قالت عائشة : ياخولة إنه لينزل عليه ما هو إلا فيكِ . فقالت : « اللهم خيراً فإنى لم أبغ من نبيك إلا خيراً» قالت عائشة فما سرى عن رسول الله (ﷺ) حتى ظننت أن نفسها تخرج فرقاً من أن تنزل الفرقة . فسرى عن رسول الله وهو يبتسم فقال : ياخولة قالت : لبيك ونهضت قائمةً فرحة بتبسم رسول الله (ﷺ) فقال : « قد أنزل الله فيك وفيه قرآناً » (١) ثم قرأ: « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير» إلى قوله تعالى : ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢) قالت : « فقال لى رسول الله (ﷺ) : مريه فليعتق رقبة » قلت : يا رسول الله ما عنده ما يعتق . قال : فليصم شهرين متتابعين . قالت : فقلت والله إنه لشيخ ما به صيام . قال : فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر . قالت : فقلت : والله يا رسول الله ما

(١) إنظر طبقات ابن سعد جـ ٨ صـ ١٥٩ .

(٢) سورة المجادلة آية ١ - ٤ .

ذاك عنده . فقال رسول الله عليه وسلم - فإنا سنعينه بعرق من تمر قالت: فقلت يا رسول الله وأنا سأعينه بعرق آخر. قال :قد أصبت وأحسنت فاذهبى فتصدقى به عنه، ثم استوصى بابن عمك خيراً. قالت قد فعلت» (١)

وقد أخرج ابن ماجة وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى عن عائشة قالت : تبارك الذى وسع سمعه كل شئ إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفى علىّ بعضه وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله (ﷺ) وهى تقول : يا رسول الله أكل شبابى ونثرت له بطنى حتى إذا كبر سنى وانقطع ولدى ظاهر منى ، اللهم أنى أشكو إليك ، قالت فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات : قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله .... » (٢) . هكذا جادلت خولة عن ما قاله زوجها أمام رسول الله (ﷺ) واشتكت الأمر لله حتى لاتنفصم عرى الزوجية بينها وبين أوس بن الصامت - رضي الله عنه - الذى أسلم مبكراً وشهد غزوة بدر الكبرى وأحد والخندق .وظلت تجادل وتحاور حتى استجاب الله لها وأنزل فيها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ،

إن الإسلام بنى شخصية المرأة وأكد عليها ولهذا كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقف لها ويسمع منها حتى أنها عندما اثقلت عليه فى القول وكان معه أحد أصحابه الذى قال لها . « لقد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين فقال له دعها أما تعرفها . فهذه خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت التى سمع الله قولها من فوق سبع سماوات ، فعمر والله أحق أن يسمع لها» رحمها الله رحمة واسعة ، ورحم الله أمير المؤمنين عمر – ورضى الله عنهم أجمعين ـ .

---

(١) أخرجه أحمد جـ ٦ صـ ٤١٠ - ٤١١ وأخرجه أيضاً البيهقى جـ ٧ صـ ٣٨٩ وأبو داود برقم ٢٢١٤ وابن حبان برقم ١٣٣٤ .

(٢) سورة المجادلة آية رقم ١ أخرجه أحمد جـ ٦ صـ ٤٦ . وعلقه البخارى جـ ١٣ صـ ٣١٦ .

الفصل الخامس
مكانة المرأة فى ظل التشريع الإسلامى :

وفيه أربعة مباحث

- المبحث الأول : المكانة الدينية -
المبحث الثانى : المكانة الإجتماعية -
- المبحث الثالث : المكانة المالية -
المبحث الرابع : المكانة السياسية والجهادية -

المبحث الأول : المكانة الدينية للمرأة

تمهيد :

الإسلام يستهدف فى تشريعاته تحقيق منهجه المتكامل ، لا لحساب الرجال ، ولا لحساب النساء ، ولكن لحساب الإنسان، ولحساب المجتمع المسلم ، ولحساب الصلاح والخير فى إطلاقه وعمومه ، وحساب العدل المطلق المتكامل الجوانب ، والإسلام ينظر إلى المرأة من خلال هذا التكامل فى كل مجالات حياتها الدينية والدنيوية فجعل « للمرأة ما للرجل من حقوق، إلا فيما يختلفان فيه من استعداد وكفاية وقدرة ، وهى مناط هذه الحقوق ، وبشرط ألا تعارض هذه الحقوق ما يقابلها من الواجبات الشرعية » .

والمكانة الدينية للمرأة المسلمة فى ظل التشريع الإسلامى نراها فى مظاهر متعددة وهى فى نفس الوقت حقوق مقدسة لايحق لمخلوق أن يعتدى عليها منها ما يلى

أولاً : حق الحياة والقيمة الإنسانية :

وصلت الشريعة الإسلامية فى مبلغ حرصها على حماية الأنفس إلى شأوٍ رفيع لم تصل إلى مثله أية شريعة أخرى من شرائع العالم قديمه ومتوسطه وحديثه ، فالحياة مقدسة فى الشريعة الإسلامية للرجل وللمرأة قال تعالى ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً...﴾ »(١) فحرَّم الله إزهاق النفس

---

(١) سورة المائدة آية رقم [٣٢]

الإنسانية سواء كانت للرجال أو النساء ، وأوجب الإسلام القصاص عند القتل سواء كان المقتول رجلاً أو امرأة وأياً كان القاتل قال تعالى :﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ ﴾ (١) يقول الإمام القرطبى فى تفسيره لهذه الآية إنها : « مبينة لحكم النوع إذا قتل نوعه ، فبينت حكم الحر إذا قتل الحر ، والعبد إذا قتل العبد ، والأنثى إذا قتلت الأنثى ، ولم تتعرض لأحد النوعين إذا قتل الآخر . فالآية محكمة ، وفيها إجمال يبنيه قوله تعالى « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » وبينه النبى ﷺ بسنته الشريفة ، لما قتل اليهودى بالمرأة . قاله مجاهد ، وذكره أبو عبيده عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما- وروى الحكم عن على وعبد الله قالا :إذا قتل الرجل المرأة متعمداً فهو بها قواد ...

ثم يقول الإمام القرطبى بعد ذلك : «أجمع العلماء على قتل المرأة بالرجل، والرجل بها ، والجمهور لايرون الرجوع بشئ (٢) .

ويقول صاحب تفسير تيسير الكريم الرحمن : « يمتن الله على عباده المؤمنين بأنه فرض عليهم القصاص فى القتلى ، أى المساواة فيه . وأن يقتل القاتل على الصفة التى قتل عليها المقتول ، إقامة للعدل والقسط بين العباد .. ثم بين تفصيل ذلك فقال « الحر بالحر » يدخل بمنطوقها الذكر بالذكر ، والأنثى بالأنثى ، والأنثى بالذكر ، والذكر بالأنثى، فيكون منطوقها مقدما

(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٨ .
(٢) تفسير القرطبى ج٢٤٨ .

على مفهوم قوله « الأنثى بالأنثى « مع دلالة السنة على أن الذكر يقتل بالأنثى » (١) .

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى : ذهب ابن عليه والأصم من فقهاء السلف « إلي التسوية بين الرجل والمرأة فى الدية وهو الذى يتفق مع عموم النصوص القرآنية والنبوية الصحيحة وإطلاقها » (٢) .

وقال الدكتور : على عبد الواحد : « لايفرق الإسلام فى ذلك بين أن يكون القتيل رجلاً أو امرأةً ، بالغاً أو صبياً ، عاقلاً أو مجنوناً عالماً أو جاهلاً ، شريفاً أو وضعياً ، مسلماً أو ذمياً ، فيقتل الرجل فى المرأة ، والبالغ فى الصبى ، والعاقل فى المجنون ، والعالم فى الجاهل والشريف فى الوضيع والمسلم فى الذمى (٣) ؛ وذلك لعموم قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ (٤) ولما روى عن محمد بن الحسن بإسناده عن رسول الله ﷺ : أنه أقاد مؤمنا بكافر « أى قتل مسلما بذمى » وقال : « أنا أحق من وفى ذمته » . ويضيف الفقهاء إلى هذا الدليل النقلى الخاص بقتل المسلم فى الكافر دليلاً آخر عقلياً ، وهو أن « تحقيق الحياة ، التى أشار الله – تعالى – إليها فى قوله : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » فى قتل المسلم بالذمى أبلغ منه فى قتل المسلم بالمسلم ، لأن العداوة الدينية قد تحمل على القتل . فكانت الحاجة إلى الزجر أمس ، وكان تحقيق الحياة فى شرع القصاص من المسلم إذا قتل ذمياً أبلغ من تحقيقها فى شرع

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان : تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدى : الطبعة ج١ ص ٩٢

(٢) الدكتور : يوسف القرضاوى : ملامح المجتمع المسلم ص ٣٢٧ .

(٣) الدكتور على عبد الواحد وافى : حقوق الإنسان فى الإسلام ص٢٥٦ .

(٤) سورة المائدة آية رقم : ٤٥

القصاص من المسلم إذا قتل مسلماً .

ومن هذا يظهر أن الإسلام يحترم الحياة الإنسانية على الإطلاق، ويحترم حق الإنسان على الإطلاق فى الحياة وأنه قد وضع عقوبة القصاص لحماية هذه الحياة بقطع النظر عن جنس القتيل وسنه ومنزلته ودينه .

ولم يفرق الإسلام كذلك بين القاتل واحداً أو جماعة فلو قتل جماعة واحداً يقتلون به قصاصاً ، بالغاً مابلغ عددهم . بل إن فقهاء المسلمين ليقررون أن « أحق ما يجعل فيه القصاص هو قتل الجماعة بواحد ، لأن القتل لا يوجد عادة إلا على سبيل التعاون والاجتماع ، فلو لم يجعل فيه القصاص لانسد باب القصاص، إذ كل من رام قتل غيره استعان بآخرين يضمهم إليه ليبطل القصاص عن نفسه ، وفى ذلك تفويت لما شرع الله له القصاص وهو الحياة التى يشير إليها القرآن الكريم » (١) .

بهذا تتضح عدالة التشريع الإسلامى الذى تنكمش أمام روعته جميع التشريعات البشرية ، لأن عدالة التشريع الإسلامى تهدر نظام الطبقات الذى كان أساس التشريع عند الهنود والرومان والذى لا يزال طغيانه بين عند بعض الطغاة .

إن الشريعة الإسلامية كما قال ابن قيم الجوزية : « الشريعة عدل كلها ، ورحمة كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة » (٢) .

---

(١) الدكتور : على عبد الواحد : حقوق الإنسان فى الإسلام صـ ٢٥٧ .

(٢) انظر : إعلام الموقعين : ابن قيم الجوزيه جـ ٣ صـ ١ .

ومن رحمة الشريعة وسموها وكمالها ، تقرير مبدأ المساواة ، وإعلاء قيمة الإنسان بغض النظر عن نوعه ولقد « حرص الإسلام على تقرير هذه المساواة فى أكمل صورها، وجعلها من العقائد الأساسية التى يجب أن يدين بها كل مسلم، فقرر أن الناس سواسية بحسب خلقهم الأول وعناصرهم الأولى ، وأن ليس ثمة تفاضل فى إنسانيتهم ، وإنما يجرى التفاضل بينهم على أسس خارجة عن الإنسانية نفسها (١) فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ (٢) فهذا النص الكريم يقرر إنسانية المرأة من جميع نواحيها . يقول دكتور حسن عبد الرءوف : « نحن نعتقد أن ليس ثمة نص من قديم أو حديث عالج فى إيجاز وإعجاز تقرير إنسانية المرأة من جميع النواحى ، وبأبعد الأعماق أصالة وبمختلف طرق التقرير والتعبير على مثل مانجد ذلك فى النظم المقدس الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ إذا فالمرأة إنسانة مثل الرجل تماماً مساوية له فى الإنسانية » (٣) وإذا كانت ثمة مفاضلة فهى لاتقوم على الجانب العنصرى، إنما تقوم على مبادئ وأسس خارجة عن نطاق طبيعة كل منهما على أسس كفاياتهم ، وما يقدمه كل منهم لربه ونفسه ومجتمعه والإنسانية جمعاء (٤) وفى هذا يقول تعالى ﴿ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنكم

---

(١) المصدر السابق صـ ٨ .

(٢) سورة النساء آية رقم ١ .

(٣) دكتور : حسن عبد الرءوف : المرأة فى ظل الإسلام صـ ٧٤ .

(٤) الإمام الاكبر : جاد الحق على جاد الحق : حول اتفاقية القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة صـ ١٤ .

شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن اكرمكم عند الله اتقاكم . إن الله عليم خبير ﴾ (١)

أى إنكم جميعا منحدرون من أب واحد وأم واحدة ، فلا فضل لأحدكم على الآخر بحسب عنصره وطبيعته .

ثانيا : حق التفكير والنظر : أعطى الإسلام المرأة حق التفكير والنظر والتدقيق ، لتصل للرأى القويم من خلال تفكيرها الحر .

وقد أقر الإسلام هذا الحق فى أوسع نطاق ، فمنح كل فرد الحق فى النظر والتفكير وإبداء رأيه عن أى طريق شاء بشرط أن يلتزم جادة العقل والمنطق ، وأن يكون الإقناع عن طريق قرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل .

وقد أقر الإسلام حق التفكير فى أوسع نطاق ، ودعا إلى النظر والتفكير فى الآيات الكونية والإنسانية وغيرها قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ (٢) وقال سبحانه ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٣) .

والقرآن الكريم حافل بالآيات التى تدعونا رجالاً ونساءً إلى استعمال العقل ، وإلى التدبر فى ملكوت السموات والأرض ، قال سبحانه : ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . ﴾ (٤) ﴿كذلك يبين لكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ (٥)

---

(١) سورة الحجرات آية رقم : ١٣ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٥ .

(٣) سورة آل عمران ٩٠ ـ ٩١ .

(٤) سورة الروم آية رقم : ٢٤ .

(٥) سورة البقرة [٢٤٢] .

﴿ قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ﴾ (١)، ﴿ أنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعـــقلون ﴾ (٢) ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبرو آياته وليذكر أولو الألباب ﴾ (٣) ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (٤) .

إن القرآن الكريم يخاطب العقول على اختلاف أنواعها ومواهبها بالتدبر والتفكر والنظر، وقد فهم المسلمون مغزى هذا الخطاب فنشطوا فى جميع العلوم ، حتى أن حضارة الغرب قامت على علومهم وبحوثهم فلما اشتد ساعدهم العلمى أغلقوا الأبواب أمامنا وحاولوا تخريب مالدينا من خلال حروبهم الصليبية تارة وموجات الاستعمار تارة ثانية، وفرض الجهل والتخلف تارة ثالثة . وفرّق الاستعمار التعليم فى العالم الإسلامى إلى دينى ومدنى ، فجمد الأول وحجب خريجيه عن مناصب القيادة ، ودفع الثانى دفعة قوية إلى الصراع والتعارض والخصومة ، وأعلاه فى خبث ومكر شديدين .

وجملة القول فى هذا : أن الخنجر الذى طعن به المسلمون من الاستعمار قد وضع بذكاء فى موضع القلب وقصد به تجهيل المرأة أولاً ، وأن تكون المناهج كلها وخاصة فى العقيدة والتاريخ واللغة قائمة على أساس فلسفة الغرب ومفاهيمه وإعلاء شخصيته وتاريخه

ولهذا نقول : إن من أوجب الواجبات على المسلمين حالياً هو نزع الخنجر المسموم « المغروس فى الجسد الإسلامى » يقول الأستاذ أنور الجندى :

« لقد تحدث المصلحون عن مقاتل متعددة أصيب المسلمون بها فى كيانهم

---

(١) سورة آل عمران [١١٨] .

(٢) سورة يوسف آية رقم : ٢ .

(٣) سورة ص آية رقم ٢٩ .

(٤) سورة الغاشية من : ١٧ ـ ٢٠ .

وذكروها وأولوها اهتمامهم ، وبحثوا أمرها ولكنهم لم يركزوا كثيراً على «الخنجر» الذى طعنوا به فى هذه المقاتل ، وأولى لهم أن ينتزعوه من جسمهم أولاً قبل أن يعالجوا مكانه النازف بالدم ، وذلك لأنهم إذا لم ينتزعوه فسوف يظل ينزف وسوف لا يكون جدوى لشئ ما من إصلاح أو تصحيح أو تحرير أو علاج .

لقد كان المستعمرون غاية فى الدهاء عندما بدأوا معركتهم مع المسلمين والعرب من المدرسة وعن طريق برامج التعليم (١) ومن خلال الإرساليات والسيطرة على أجهزة المعارف والتخلص من المناهج والمقررات والكتب التى كانت تدرس فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى . وإحلال مناهج جديدة ومقررات جديدة .

وإذا كان المسلمون قد طعنوا فى شريعتهم فأقصيت عن مجال التطبيق فى مجتمعاتهم وحل محلها القانون الوضعى فإنما مرد ذلك إلى التعليم الذى خرج أجيالاً تحتقر الشريعة وتؤمن بعظمة قانون نابليون .

وإذا كان المسلمون قد طعنوا فى لغتهم وبرزت دعوى العاميات فى

---

(١) لقد وضع المستعمر خطط الضرب التعليم فى الوطن الإسلامى وظلت الخطط تتجدد كل فترة من الزمن حتى قال اللورد كرومر « جئت لأمحو ثلاث : القرآن والكعبة والأزهر » وما زالت أفكار اللورد كرومر تعمل عملها لتخريب التعليم فى مصر خاصة حتى أن جريدة الأخبار المصرية . كتبت بالخط العريض بتاريخ ٢٠٠٣/٥/٣١ « أخبار اليوم . تفتح ملف انهيار التعليم وجهل الطلاب بالقراءة والكتابة ومبادئ الحساب » وعنوان آخر يقول : أمية الطلاب فى المدارس بقعة سوداء فى صفحة التعليم »

ثم قالت الجريدة : « دعوة الرئيس مبارك لإصلاح أحوال التعليم وإعلان الحرب على مشكلة الأمية فتحت الطريق لكشف أسرار انهيار العملية التعليمية منذ سنوات طويلة ... إن الحملة التى أطلقها الكاتب الكبير إبراهيم سعده حول قضية المنهج والكتب كشفت عن تخبط سياسة التعليم وانهياره على مدى نصف قرن .. إن الدول انتهت من محو الأمية التكنولوجية للكمبيوتر والانترنت ونحن فى مصر نتعثر فى محو الأمية الأبجدية .

مختلف أنحاء الوطن العربى وغيرت الأبجديات فى بعض الأقطار الإسلامية فإن مرد ذلك إلى مناهج التعليم التى خدعت العرب والمسلمين بدعوى عظمة اللغات الأجنبية ، وإذا كان المسلمون قد طُعنوا فى مفهومهم السياسى الإسلامى ، فإنما يرجع ذلك إلى تلك الصور الزاهية التى قدمت لهم فى مدارسهم وجامعاتهم عن الديمقراطية والليبرالية وغيرها من أنظمة الغرب ، ولم يفهموا شيئاً عن مفاهيم الإسلام السياسى .

وإذا كان المسلمون قد طُعنوا فى مفهومهم للعلم فإنما يرجع ذلك إلى تلك المقررات المدرسية والجامعية التى ترد العلوم الحديثة من كيمياء وفيزياء وطبيعة وتكنولوجيا إلى علماء الغرب وحدهم متجاهلة ذلك الدور الخطير الذى قام به المسلمون والعرب فى بناء الطابق الأساسى للعلم وأنهم هم اللذين قدموا المنهج العلمى التجريبى إلى البشرية كلها .

وإذا كان المسلمون قد طُعنوا فى مفاهيمهم الاجتماعية ، فإنما مرد ذلك إلى مناهج التعليم الذى يدرس المجتمعات الغربية ومنهجه الذى يقوم على إنكار فطرية الأسرة ، وأصالة الدين وثبات الأخلاق (١) .

هذا هو الخطر الواضح من وراء الخنجر الذى طُعن به المسلمون فى التعليم ، ولا مناص لنا إلا بعودتنا إلى العلم الإسلامى بخصائصه الإسلامية والذى يحض الرجل والمرأة على الفكر والنظر والذى يحقق خشية العلماء لله قال سبحانه ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود* ومن الناس والدواب والأنعم مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾ (٢) .

(١) انظر : أنور الجندى : الخنجر المسموم ص ٨ ، ٩ .
(٢) سورة فاطر آية : ٢٧ : ٢٨ .

ثالثا : حق الاعتقاد وأهلية التكاليف :

حرية الاعتقاد فى الإسلام هى إحدى المعالم الأساسية فى الإسلام ، إذ ليس من أهدافه أن يفرض نفسه على الناس فرضاً حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة ، لأن ذلك مخالف لسنة الوجود قال سبحانه ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (١) وقال سبحانه « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » (٢) وقال تعالى : ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (٣) ومن هنا نشأت القاعدة الإسلامية المحكمة ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ (٤) .

ومن ثم رسم القرآن الكريم وسنة النبى - صلى الله عليه وسلم - أسلوب الدعوة ومناهجها فجعلها فى رفق ولين بالحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (٥) ولهذا لم يحدث فى تاريخ الإسلام أنه أكره أحداً أو أجبره على اعتناقه ، كما حدث ويحدث فى تاريخ النصرانية التى تعمل ليل نهار على إجبار المسلمين على ترك دينهم وتنصيرهم بالقوة كما حدث فى الأندلس ، وما يحدث الآن من حملات تنصيرية فى مختلف أرض الإسلام .

لقد قرر الإسلام فى حدود الحرية الدينية أربع قواعد هى أسمى ما يمكن أن يصل إليه أى تشريع فى حرية الأديان والمعتقدات

القاعدة الأولى : عدم الإكراه فى الدين (٦) .

---

(١) سورة هود آية : ١١٨ - ١١٩ . (٢) سورة يوسف آية رقم : ١٠٣ .

(٣) سورة يونس آية : ٩٩ (٤) سورة البقرة آية رقم : ٢٥٦ .

(٥) سورة النحل آية : ١٢٥ (٦) ليس معنى هذا السماح بالردة - كما ينادى بذلك دعاة التغريب لأن الردة من أشر أنواع الكفر لأن الكفر بعد الإسلام أشد من الكفر الأصلى فالردة تعتبر فى هذه الحالة خيانة للإسلام ولأمته ، ومن ثم فهى أشد من خيانة الوطن الذى لا يقل حكمه عن القتل : ولهذا جاء حكم المرتد فى الإسلام بالقتل لقوله (ﷺ) « من بدل دينه فاقتلوه » كما أن دعاة الردة ينطبق عليهم حكم المحاربين لأنهم ممن « يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً »

القاعدة الثانية : حرية المناقشات الدينية .

القاعدة الثالثة : النهى عن التقليد والاتباع .

القاعدة الرابعة : إباحة الاجتهاد فى فروع الشريعة لكل قادر عليه مؤهل له . وهذه القواعد فيها تكريم من الله للإنسان ، واحترام لإرادته وفكره وشعوره رجلاً كان أو امرأة .

ولقد بلغت رقة التشريع فى الإسلام وحساسيته إلى إباحة الزواج بالكتابية وعدم إرغامها على ترك دينها ، بل لا يجوز للمسلم المتزوج بكتابية أن يمنعها من أداء عبادتها وشعائرها (١) .

ولهذا بين الإسلام أن المرأة أهل للتدين وتلقى التكاليف الشرعية ويبدو هذا من خلال ما يلى : -

الدليل الأول : قوله : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) ﴾ (٢) . الحكم فى هذه الآية حكم مطلق غير مقيد بجنس ولا تخصيص فيه لرجل .

الدليل الثانى : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) ﴾ (٣)

والمتأمل فى هذه الآية لا يخفى عليه أن الله - سبحانه وتعالى - جعل للمرأة حق اختيار الدين مثلها فى ذلك مثل الرجل .

---

(١) انظر دكتور توفيق الطويل - قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص٨٣ .

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٥٦ .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم : ٣٥ .

الدليل الثالث : قوله تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ﴾ (١) . والناظر لهذه الآية يجد أن المرأة مخاطبة بالتكاليف والعبادات الإسلامية كالرجل فكما أن الإسلام جعل لها اختيار الدين فقد جعلها أهلاً لتحمل مسئولية ما تختار ومن ثم « يرى الإسلام أن مسئولية المرأة من الوجهة الدينية كالرجل سواءً بسواء يكلف بالعقيدة وتكلف هى أيضاً بالعقيدة ، ويطالب بالعمل الصالح وتطالب هى أيضاً بالعمل الصالح ، ولا ينفعها صلاح الرجل وهى فاسدة العمل فاسدة العقيدة ، فلكل من الرجل والمرأة جزاء ما اكتسب من خير أو شر » (٢) ومن ثم أوجب عليها ما يلى :

أ - التكاليف : مكانة المرأة فى أداء التكاليف التى فرضت عليها كمكانة الرجل فمن المجمع عليه أن المرأة مسؤولة عن صلاتها ، وزكاتها ، وصيامها ، وحجها ، وسلامة عقيدتها ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وغير ذلك .

ب - العبادة : فتح الله - عز وجل - أمام المرأة باب الرقى الروحى لتنال منه ما يناله الرجل من حيث القيام بالعبادات المفروضة والنافلة ، ومن حيث حق الاستغفار والإنابة واستجابة الدعاء ، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة : فلما حاول بعض الرجال منع النساء من الصلاة فى المسجد، نهاهم رسول الله فعن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » (٣) وعن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال :

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٧١ .

(٢) الاسلام عقيدة وشريعة للامام الأكبر محمود شلتوت ص١٢ .

(٣) البخارى : كتاب الجمعه : باب هل على من لم يشهد الجمعه غسل .

سمعت الله (ﷺ) يقول : « لاتمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها » فقال بلال بن عبد الله : والله لنمنعهن .

وفى رواية : « لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلا » (١) قال فأقبل عليه فسبه سباً سيئاً ما سمعته سبه مثله قط وقال :أخبرك عن رسول الله (ﷺ) وتقول والله لنمنعهن » (٢)

وقد تمسكت بعض النساء بحقها فى صلاة الجماعة بالمسجد حتى دون رضا زوجها . ففى صحيح الإمام البخارى : أن عاتكة بنت زيد تمسكت بحقها فى صلاة الجماعة بالمسجد دون رضا زوجها ، فقال لها ابن عمر : لم تخرجين « لصلاة الصبح والعشاء » وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار ؟ قالت : وما يمنعه أن ينهانى؟ قال : يمنعه قول رسول الله (ﷺ) : «لاتمنعوا إماء الله مساجد الله » . وفى رواية عند عبد الرازق أنها قالت لعمر : « والله لا أنتهى حتى تنهانى » وقال الزهرى : فقد طعن عمر وإنها لفى المسجد » (٣) .

جـ - **المسئولية والجزاء :** جعل الإسلام المرأة أهلاً لتحمل مسئولية ما تختاروهى أيضاً مثابة على عملها قال تعالى :﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤) وقال سبحانه :﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن**

---

(١) دغلا : أى خداعا يخد عن به أزواجهن .

(٢) مسلم كتاب الصلاة : باب خروج النساء إلى المساجد جـ ٢ صـ ٣٢ .

(٣) فتح البارى جـ ٣ صـ ٣٤ .

(٤) سورة النحل آية رقم ٩٧ .

ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾(١) وقال سبحانه ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) ﴾ (٢) .

كما بين سبحانه أن صلاح الزوج لا يمنع المرأة من الفساد وأنه لايشفع لها والعكس صحيح قال سبحانه : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .

ومن النصوص التى توضح أن المساواة بين الرجل والمرأة فى الحدود الدينية قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤) .

وقوله تعالى﴿ والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ (٥) .

---

(١) سورة آل عمران [١٩٥] .
(٢) سورة التوبة آية رقم ٧٢ .
(٣) سورة التحريم آية رقم ١٠ ، ١١ .
(٤) سورة المائدة آية رقم ٣٨ .
(٥) سورة النور آية رقم : ٢ .

المبحث الثاني : المكانة الاجتماعية للمرأة

للمرأة فى الإسلام مكانة اجتماعية سامية تتضح هذه المكانة من خلال ما أعطاه الإسلام للمرأة من حقوق وما فرض لها من واجبات فى كل مراحل حياتها يتضح ذلك من خلال ما يلى :

أولا مكانتها كأم : اعتبر الإسلام أن حق الأمومة هو الأساس المتين فى بناء الأسرة المسلمة وذلك ليشد من أزر الأم برباط قويم ، ويعينها على مواجهة الشدائد التى ستتعرض لها من خلال الحمل والوضع والإرضاع والتربية .

وليكفل لها ما يستطاع من السعادة والهناء ، ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم لتؤكد هذا الحق وتجعله حقاً مقدساً على الأبناء قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

ولهذا قال علماؤنا - رضى الله عنهم - إن بر الوالدين من أفضل الأمور عند الله ، وإنه من الواجبات الأساسية التى يسأل عنها العبد بعد التوحيد ،

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ٢٢ - ٢٤ .

(٢) سورة لقمان آية رقم ١٤ -١٥ .

وأن على الولد - براً بوالديه - أن يبادر بالإنفاق عليهما من ماله لا ينتظر طلباً ، وأن يسخو فى الإنفاق عليهما، وأن يبالغ فى احترامهما وتعظيمهما فلا يرفع صوته فوق صوتهما، ولا يجهر لهما بالقول كجهره لغيرهما، ولا يدعوهما بأسمائهما ولايسبقهما بطعام ولا فى شراب ولا فى جلوس ولا قيام

وحق الوالدة فى كل هذه أوكد وأعظم من حق الوالد .

فقد روى البخارى ومسلم بسندهما: « أن رجلاً جاء إلى النبى (ﷺ) فقال: يا رسول الله مَنْ أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : أمُكَ قال ثم مَنْ ؟ قال أمُكَ قال : ثم مَنْ ؟ قال أمُكُ . قال ثم من قال ثم أبوك » (١) .

فالأم صاحبة ثلاثة أرباع البر والعطف - إن جاز لنا أن نقول هذا - وحرم الإسلام عقوق الوالدين وعلى وجه الخصوص الأمهات فعن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - عن النبى - (ﷺ) قال :« إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنعاً وهات ، وكره لكم قيل وقال : وكثرة السؤال وإضاعة المال » (٢) .

كما حرم الإسلام قطع صلتها حتى ولو كانت مشركة فعن أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنهما - قالت : « قدمت علىَّ أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله (ﷺ) فاستفتيت رسول الله (ﷺ) قلت : قدمت علىَّ أمى وهى راغبة أفأصل أمى : قال : نعم صلى أمك » (٣) .

وجعل الإسلام الجنة تحت رجليها فعن معاوية بن جاهمة السلمى ، أن

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الأدب باب من أحق الناس بحسن صحابتى

(٢) رواه البخارى فى كتاب الاستعراض ج٥ حديث رقم ٢٣٧٥ وحديث رقم ٦١٠٨ .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

جاهمة جاء النبى (ﷺ) فقال : يارسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك ، فقال هل لك من أم ؟ قال : نعم ، قال : فالزمها فإن الجنة تحت رجليها » (١) أى نصيبك منها لايصل إليك إلا برضاها بحيث كأنه لها، وهى قاعدة عليه فلا يصل إليك إلا من جهتها ، فإن الشئ إذا صار تحت رجل أحد فقد تمكن منه واستولى عليه ، بحيث لايصل إلى آخر إلا من جهته والله أعلم (٢) .

ثانيا مكانتها كزوجة : رفع الإسلام شأن المرأة وأعلى من مكانتها بعد أن كانت مجرد متعة جنسية للرجل فى الأمم السابقة أصبحت فى الإسلام عنصراً مهماً لأنها الشطر الثانى فيه ، وجعلها آية من آيات الله فقال سبحانه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

وجعلها رسول الله - ﷺ - خير متاع الدنيا ، فعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - رسول الله - ﷺ قال : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » (٤) .

وأوجب الإسلام على الرجل عدة حقوق لزوجته لابد من الوفاء بها منها ما يلى : -

أ - **النفقة :** أوجب الإسلام على الزوج أن ينفق على زوجته فى الطعام

---

(١) أخرجه النسائى فى سننه حديث رقم ٣١٠٤ .
(٢) جلال الدين السيوطى : سنن النسائى بشرح السيوطى وحاشية السندى جـ ٦ صـ ١١ دار الكتب العلمية بيروت .
(٣) سورة الروم آية رقم ٢١ .
(٤) رواه البخارى .

والشراب والكسوة وغير ذلك فى حدود الاعتدال وبقدر الاستطاعة، قال تعـالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (١) . والنفقة تجب على الزوج منذ إجراء العقد الصحيح عليها قال رسول الله - ﷺ - « اتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف » (٢) .

وعن حكيم بن معاوية عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله ماحق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت » (٣) . ومن حقها عليه أنه إذا أنفق عليها نفقة أن يحتسبها عند الله ، فعن أبى مسعود الأنصارى عن النبى - ﷺ - قال : « إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة » (٤) وجعل الله هذه النفقة هى أول شئ يوضع فى ميزان العبد قال - ﷺ - .

« أول ما يوضع فى ميزان العبد نفقته على أهله » (٥) وقال ﷺ « أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله » (٦) .

وهذه الأحاديث تبين أن الإسلام جعل هذا الحق محبباً للزوج فهو يفعله

---

(١) سورة الطلاق آية رقم : ٧ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الحج : باب حجه النبى ﷺ .

(٣) أخرجه : أبو داود جـ صـ ٥٣٦ .

(٤) صحيح مسلم : كتاب الزكاة باب فضل النفقه والصدقة على الأقربين جـ ٢ صـ ٦٩٥ حديث رقم ١٠٠٢ .

(٥)

(٦)

وهو راغب فيه غير مكره ، ولهذا تعارف الناس منذ القرون الأولى على أن القيام . بنفقة الأهل والولد فضيلة ، وأن الشح والتقتير فى الإنفاق عليهم خصلة مرذولة ممقوتة ، تجلب إلى صاحبها العار وتجره إلى كثرة الذنوب والأوزار . فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول » (١) .

وأولى الناس بصدقة النفقة الزوجة .لأن الزوج مسؤول عنها فى كل الأحوال حتى ولو كانت موسرة ذلك لأن المحرك للنفقة السخاء والكرم ، والتقتير على الزوجة مصدره الشح والبخل ، والشح من أسوأ الأمراض التى تحبس الإنسان عن الإنفاق فى فرائض الله وفى الواجبات والطاعات ، ولهذا حذر الله منه وجعله عقوبة لصاحبه من جنس فعله فقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْخَل فإنَّمَا يبْخل عَن نَفسه ﴾ (٢) .

ب ـ **العدل وحسن العشرة :** من الحقوق الواجبة للزوجة على زوجها أن يراعى العدل وحسن المعاملة معها ، ويكون عادلاً فى هذه المعاملة ، فلا يهضم لها حقاً ولا يؤذيها فى نفسها ولا فى مالها ، وأن يكون لها أخاً رحيماً، يحرص على أن يوفر لها سبل الحياة الكريمة لأن الزوجة إذا شعرت بعطف زوجها وحنانه عليها ، فسوف تكون له نعم الزوجة الوفية التى توفر له أسباب الراحة لحياة مستقرة سعيدة وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم وأمر به رسول الله ﷺ . قال تعالى :﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٣) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند جـ ٢ صـ ١٦٠ .
(٢) سورة محمد [٣٨] .
(٣) سورة النساء آية رقم : ١٩ .

وقال رسول الله (ﷺ) : « خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى » وفى رواية الإمام الترمذى « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » (١) .

وعن أبى هريرة - رضي الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شئ فى الضلع أعلاه ، إن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيراً » (٢) . ومن حسن عشرة الزوج لزوجته أن يعينها على أعمال البيت وليقتدى فى ذلك برسول الله ﷺ، فعن أم المؤمنين عائشة أن رسول الله ﷺ « كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمله الرجال فى بيوتهم» (٣) .

وذلك لأن المرأة مُرْهَفة الحس ، رقيقة المشاعر ، جياشة العاطفة ، سريعة التأثر ، ومن ثمَّ فمن حقها على زوجها ديناً وخلقاً أن يرعى فطرتها ، وأن يسوسها باللين والرفق ، وأن يتحمل منها الأذى المحتمل فى حلم وهوادة .

وأن يقتدى فى سيرته معها برسول الله - ﷺ - فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام ، وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل . ولما راجعت عمر - رضي الله عنه - امرأته فى الكلام فقال لها : أتراجعين ؟ فقالت : إن أزواج رسول الله (ﷺ) يراجعنه وهو خير منك ، فذهب مسرعاً إلى بيت رسول الله (ﷺ) ، فذهب إلى ابنته حفصة وخوفها عاقبة المراجعة . فقال له (ﷺ): دعها يا عمر »

ومن حسن العشرة أيضا أن يعمل الزوج جاهداً على إدخال السرور إلى

---

(١) سنن الترمذى حديث رقم ٣٨٩٥ وصحيح سنن ابن ماجه جـ ١ حديث رقم ١٦٠٨ .

(٢) متفق عليه : البخارى كتاب النكاح ، جـ ٥ صـ ١٩٨٧ حديث رقم ٤٨٩٠ واللفظ له ومسلم فى النكاح باب الوصية بالنساء جـ ١ صـ ١٠٩١ حديث رقم ١٤٦٨ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده عن عائشة .

نفس زوجه ، وأن يخلق لها جوًا يسوده المرح المتوازن فقد كان (ﷺ)، يمزح مع نسائه وكانت أم المؤمنين عائشة مولعة باللعب مع أترابها بالبنات - وهى دمى تشبه ما يسمى اليوم بالعرائس – فكان – عليه الصلاة والسلام – يعمل على أن يرسل إليها أترابها ليشاطرنها اللعب ، وكان يسابقها فى العدو فسبقته يوماً ، وسبقها فى بعض الأيام ، فقال لها هذه بتلك .

ولما أرادت أن ترى أهل الحبشة وهم يلعبون فقال (ﷺ) : أتحبين أن ترى لعبهم؟ فقالت :نعم . فأرسل إليهم فجاءوا . وقام بين البابين ومد يده ووضعت رأسها على يده وهى تنظر ويقول لها:حَسْبُكِ : وهى تقول : اسكت ! ! مرتين أو ثلاثا . ثم قال يا عائشة : « حَسْبُكِ ! فقالت : نعم . فأشار إليهم فانصرفوا (١) .

ثالثا مكانتها كبنت : - المرأة أحد العنصرين اللذين تتكون منهما الأسرة ، ويتكون منهما المجتمع الإنسانى كله ، ولهذا اهتم الإسلام بالبنت فى كل مراحل حياتها ، فاهتم بتربيتها وتعليمها ، وحسن معاملتها وقد كان رسول الله (ﷺ) - وهو القدوة فى ذلك - إذا دخلت عليه ابنته فاطمة - رضى الله عنها - قام إليها وقبلها بين عينيها وأجلسها فى مجلسه ، فعن عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - قالت : « كانت - أى فاطمة - إذا دخلت على النبى - (ﷺ) قام إليها وقبلها وأجلسها فى مجلسه » (٢) .

وعن عائشة - رضى الله عنها « قالت : أقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٩ ص ٣٣٦ حديث رقم ٥٢٣٦ .

(٢) أخرجه الترمذى فى المناقب باب فضل فاطمة ج٥ ص ٧٠٠ حديث رقم ٣٨٧٢ وصححه الألبانى صحيح سنن الترمذى حديث رقم ٣٠٣٩ .

مـشى النبى - (ﷺ) فـقال النبى (ﷺ) : مرحباً بابنتى ثم أجلهسا عن يمينه أو عن شمـاله » (١) بهـذه الأخـلاق السـامـيـة علم أمـتـه مكانة البنت وجاءت توجيهاته الصريحة لبيان هذه المكانة وجعلها سببا لدخول والدها الجنة إذا لم يهنها ولم يفضل عليها أولاده الذكور فقال (ﷺ) : « من كانت له أنثى فلم يئدها، ولم يهنها ولم يؤثر ولده - يعنى الذكور - عليها أدخله الله الجنة » (٢) .

وجعلها (ﷺ) ستراً لوالديها من النار فعن عبد الله المخزومى - رضي الله عنه - قال :دخلت على أم سلمة زوج النبى (ﷺ) فقالت :يا بنى ألا أحدثك بما سمعت من رسول الله (ﷺ) ؟ قلت : بلى يا أمى . قالت :سمعت رسول الله (ﷺ) يقول من أنفق على بنتين ، أو أختين أو ذواتى قرابة يحتسب النفقة عليهن حتى يغنيهما من فضل الله، أو يكفيهما كانتا له ستراً من النار » (٣) وعن أم المؤمنين عائشة – (رضى الله عنها) – عنها قالت: «دخلت امرأة معها ابنتان تسألنى فلم تجد عندى شيئاً غير تمرة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ، ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت . فدخل النبى (ﷺ) فأخبرته فقال : « من ابتلى من هذه البنات بشئ كن له ستراً من النار » (٤) .

بل إنه (ﷺ) جعل رعاية الوالد لابنته سبباً فى مرافقة الوالد للنبى - ﷺ - فى الجنة .

---

(١) رواه البخارى ومسلم : البخارى كتاب المناقب ،جـ٦ / ٣٦٢٥ ، ومسلم كتاب الفضائل باب فضائل فاطمة (٩٧ / ٢٤٥٠) . ٤٤ ومسلم جـ ٧ صـ ١٤٣ .

(٢) رواه أبو داود والحاكم ، وقال الحاكم صحيح الإسناد .

(٣) رواه أحمد والطبرانى من رواية محمد أبن أبى حميد .

(٤) صحيح البخارى حديث رقم ٥٩٣١ .

فعن أنس - رضي الله عنه - عن النبى (ﷺ) قال : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه » (١) .

وفى رواية : « من عال جاريتين حتى تدركا دخل الجنة ، أنا وهو كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى » (٢) .

ولم يقف الإسلام بتعاليمه عند هذا الحد بل أوجب على الآباء ألا يفرقوا فى المعاملة بين البنين والبنات وفرض عليهم عدة حقوق لتحقيق المساواة منها :-

١ - **الحب والرحمة :** أوجب الإسلام على الأبوين أن يحبا أولادهما . روى الترمذى بسنده عن خولة بنت حكيم - رضى الله عنها ؟ قالت : « خرج رسول الله (ﷺ) ذات يوم وهو محتضن أحد ابنى ابنته وهو يقول : « إنكم لتبخلون و تجبنون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله » .

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال : أبصر الأقرع بن حابس النبى (ﷺ) وهو يقبل الحسن - رضي الله عنه - فقال : إن لى من الولد عشرة ما قبلت أحداً منهم فقال رسول (ﷺ) « إن من لايرحم لا يرحم »

٢ - **عدم تفضيل الولد على البنت :** حرَّم الإسلام تفضيل الولد على البنت وجعله ظلماً لأنه اعتراض على نعمة الله وهبته ، وهو فعل من أفعال أهل الجاهلية ، وعمل غير منطقى فما ذنب البنت إن كانت بنتاً ، وماذا فعل الولد حتى جاء ولداً قال تعالى :﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

---

(١) رواه الإمام مسلم .
(٢) صحيح الجامع الصغير برقم ٦٣٩١ .

يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (١) .

٣ ـ **التعليم والتربية :** نهى الإسلام عن الجور فى تربية الأبناء وتعليمهم وحث على العناية السلوكية والفكرية للبنات حتى ولو كانت أمة لاتملك من أمر نفسها شيئاً فعن أبى موسى الأشعرى ـ رضي الله عنه ـ قال . قال رسول الله (ﷺ) : « من كانت له جارية فعلمها فأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها كان له أجران » (٢) .

وفى صحيح الإمام البخارى : قال رسول الله (ﷺ) ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد (ﷺ) والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » (٣) .

بل إن النبى (ﷺ) من شدة حرصه على تعليم المرأة لم يكتف بأن تتعلم القراءة والكتابة فحسب بل تتعلم أيضاً تحسين الخط وتزيينه فقد ذكر البلاذرى (٤) أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ كانت تتعلم الكتابة فى الجاهلية على يد امرأة كاتبة تدعى «الشفاء العدوية» فلما تزوج الرسول (ﷺ) حفصة طلب إلى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٤٩ ـ ٥٠ .

(٢) صحيح الجامع الصغير حديث رقم ٢٥٤٤ .

(٣) صحيح البخارى كتاب العلم : باب تعليم الرجل أمته وأهله جـ ١ صـ ١٩٠ حديث رقم ٩٧

(٤) هو سعيد بن عبد العزيز التنوخى الدمشقى مفتى الشام : أحد الأئمة ثقة حجة مات سنة ١٦٧ هـ انظر : الذهبى . ميزان الاعتدال جـ ٢ صـ ١٤٩ .

وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة . ثم أمرها بأن تعلمها رقية النملة (١) كما علمتها الكتابة (٢) .

وبسبب هذه الآداب السامية التى حثت على حسن تربية البنات وحسن صحبتهن خرجَّ الإسلام للدنيا نساء فضليات مثاليات فى كل شئ .

لأن السعادة لن توجد بالكامل إلا إذا تلقت الفتاة فى بيت أبيها حسن المعاملة وشاهدت بعينها أسس الاحترام المتبادل بين أبيها وأمها .

كما أن حسن الاقتداء يكون فى البيت من خلال المعاملة الطيبة من الأب للأم ، والزوج يتلقى المبادئ الأولية بحسن معاملته لزوجته على يد والده عندما يشاهده يحسن معاملة أمه .

ومن ثم كانت الأمهات الفضليات تحرص أشد الحرص على تعليم بناتها حسن معاشرة الزوج وهاهى امرأة عون بن مجلم الشيبانى تقول لابنتها - بعد أن أحسنت تعليمها وتربيتها - قبيل أن تزف إلى زوجها « الحارث بن عمرو» قالت :أى بنية إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى الزوج ، وشدة حاجاتها إليها كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال .أى بنية :إنك فارقت الجو الذى منه خرجت. وخلفت العش الذى فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح

---

(١) النملة : قروح تخرج فى الجنبين ، وهو داء كأن نملة تدب عليه وتعضه انظر زاد المعاد جـ ٤ صـ ١٦٩ .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند جـ ٦ صـ ٣٧٢ وإسناده صحيح .

بملكه عليك رقيباً ، فكونى له أمة يكن لك عبداً يابنية احملى عنى عشر خصال تكن لك ذخراً وذكراً .

أما الأولى والثانية :فالصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسن والماء والصابون أطيب الطيب المفقود .

أما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة .

أما السابعة والثامنة : فالعناية ببيته وماله ، والرعاية لنفسه وحشمه وعياله ، وملاك الأمر فى المال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تفشى له سراً ، ولا تعصى له أمراً ، فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وإن عصيت أمره أوغرت صدره .

ثم اتقى مع ذلك الفرح إن كان ترحاً ، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً، فإن الأولى من التقصير والثانية من التقدير، وكونى أشد ما تكونين له إعظاماً يكن أشد ما يكون لك إكراماً ، وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له موافقة ، واعلمى أنك لا تصلين إلى ماتحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاكِ وهواه على هواكِ ، فيما أحببت وكرهتى ، والله يخير لك .

هكذا كانت وصايا الأمهات وهى بحق تعتبر دستور لكل فتاة تريد أن تعيش حياة هانئة مع زوجها .

المبحث الثالث:

المكانة المالية للمرأة

تعريف المال : يطلق المال فى اللغة : على ما يملكه الإنسان ويحوزه بالفعل من كل شئ . قال صاحب القاموس المحيط : « المال هو كل ما ملكته من كل شئ سواء كان عيناً أو منفعة ، فهو الشئ الذى يحوزه الإنسان بالفعل حيث ينفرد به عما سواه » (١) والمال شرعاً : هو ما كان له قيمة مادية بين الناس وجاز الانتفاع به شرعاً فى حالة السعة والاختيار (٢) .

ويقول ابن الأثير : المال فى الأصل ما يملك من الذهب والفضة ثم على كل ما يقتضى ويملك من الأعيان ، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل، لأنها كانت أكثر أموالهم (٣) . كما يشمل المال أيضاً : المنفعة كجهد الطبيب ، وجهد المهندس ، وجهد المعلم ونحو ذلك .

والشئ لا يكون مالاً إلا إذا كان هناك دليل شرعى يجيز الانتفاع به ، فالأعيان والمنافع التى يرغب فيها الناس ولكن حرمتها الشريعة لا تعد مالاً .

عناية الإسلام بالمال : اعتنى الإسلام بالمال عناية كبيرة.واهتم به اهتماماً عظيماً ، فنظم شئونه تنظيماً دقيقاً فى مختلف النواحى وطالب بهذا التنظيم جميع الرجال والنساء وكل من له مال ، ففى ناحية العبادات قرر الإسلام الزكاة واعتبرها عبادة يتقرب بها العبد إلى الله - عز وجل - ، كما اعتبرها فى نفس الوقت حقاً للفقير فى مال الغنى فقال سبحانه : ﴿ والَّذِين فى أموالهم حق معلوم (٢٤) للسائِل والمحروم ﴾ (٤)

---

(١) انظر القاموس المحيط للفيروز آبادى ج١ ص٥٣ .

(٢) المغنى لابن قدامة ج٥ ص٢١٧ .

(٣) النهاية فى غريب الحديث ج٤ ص٣ .

(٤) سورة المعارج آية : ٢٤: ٢٥ .

وفى ناحية العبادات نظم الإسلام أيضاً شؤون المال بين أنواع البيوع المباحة والمحظورة وبين ضروب المعاملات المختلفة كالصرف والسلم والرهن والمساقاة والمزارعة وغيرها قال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨) ﴾ (٢) .

وفى مجال الأحوال الشخصية نظام الصداق للزوجة والنفقة للمطلقة وأجرة الرضاع والميراث وغير ذلك . قال تعالى ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ (٣) وقال عز وجل

﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤) .

وقال سبحانه : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧) ﴾ (٥) فهذه النصوص تدل على أن الإسلام أعطى للمرأة حق التملك وحق الكسب والتصرف فيما تملك دون ضغط أو إكراه من أحد بل إن الإسلام أحاط الملكية - سواء كانت للمرأة أو للرجل - بسياج قوى من الحماية ، وفرض عقوبات قاسية على كل معتد عليها أيا كانت صورة هذا الاعتداء . فقرر عقوبة قطع اليد فى السرقة . قال تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦)

وفى سبيل حماية الملكية الفردية يجيز الإسلام للمالك أن يدافع عن ماله

---

(١) سورة البقرة آية :٢٧٥ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٨٨ .
(٣) سورة النساء آية : ٤ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٣٣ .
(٥) سورة النساء آية : ٧ .
(٦) سورة المائدة آية رقم : ٣٨ .

بكل وسائل الدفاع حتى لو ألجأه ذلك إلى قتل المعتدى، وفى هذه الحالة لا قود عليه ، وإذا قُتِل يكون شهيداً قال - صلى الله عليه وسلم - « من قتل دون ماله فهو شهيد » (١) .

وبهذا التشريع الحكيم استطاعت المرأة أن تملك الضياع والدور وسائر أصناف المال بكافة أسباب التملك ، ولها أن تمارس التجارة وسائر تصرفات الكسب المباح ، ولها أن تضمن غيرها ، وأن يضمنها غيرها ، وأن تهب الهبات وأن توصى لمن تشاء من غير ورثتها ، وأن تخاصم غيرها إلى القضاء ، ولها أن تفعل ذلك بنفسها أو بمن توكله عنها باختيارها (٢) .

وفى المنار : يعلق الإمام محمد عبده على ذلك بقوله : « هذه الدرجة التى رفع الله النساء إليها . لم يرفعهن إليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده ، وهذه الأمم الأوربية التى كان من تقدمها فى الحضارة أن بالغت فى احترام النساء وتكريمهن وعنيت بتربيتهن وتعليمهن العلوم والفنون ، لا تزال دون هذه الدرجة التى رفع الإسلام النساء إليها، ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف فى مالها بدون إذن زوجها ، وغيرذلك من الحقوق التى منحتها إياها الشريعة الإسلامية من نحو ثلاثة عشرقرناً ونصف قرن ، وقد كان النساء فى أوربامنذ خمسين سنة بمنزلة الأرقاء فى كل شئ كماكن فى عهد الجاهلية عند العرب بل أسوأ حالاً (٣) وليس لهاحق فى الميراث يذكر.

ولهذا فسوف أبين ما تميزت به المرأة المسلمة فى المكانة المالية من خلال حقها فى الميراث وحقها فى العمل فى هذين المطلبين .

---

(١) رواه الإمام البخارى. (٢) انظر المرأة فى ظل الإسلام الدكتور حسن عبد الرؤوف ص٣٨ - ٣٩ والإسلام وقضايا المرأة المعاصرة للبهى الخولى .

(٣) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ج٢ ص ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

المطلب الأول:
حق المرأة المسلمة فى الميراث

لقد كانت المرأة قبل الإسلام لا تورث ، بل كانت تعد من أملاك الرجل، والذين لا يفهمون الإسلام يعتقدون أن الإسلام ظلم المرأة فى الميراث ، وهم فى الحقيقة يهرفون بما لا يعرفون ، وينتقدون نظاماً ربانياً دون أن يكون لديهم فى المقابل أدنى تصور لأى نظام بديل من نظم المواريث ، ولا يعرفون أن نصوص العهد القديم والعهد الجديد خالية من هذا النظام ، ولذلك يلجأ الرجل أوالمرأة عندمايشعر بقرب أجله إلى كتابة وصيةحسبمايملى عليه هواه، أما الإسلام فقد قرر مبدأ المساواة والإنصاف فى الميراث سواءً بسواء وبيان ذلك كما يلى : -

أولا : المساواة بين نصيب الذكر والأنثى : إن الإسلام ساوى بين نصيب الذكر ونصيب الأنثى فى توريث الإخوة والأخوات لأم قال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾ (١)

فنجد هنا أن التسوية بين الذكور والإناث لأن أصل توريثهم هنا الرحم ، وليسواعصبة لمورثهم وليس على الرجل مسؤوليات ولا أعباء تقع على كاهله .

ثانيا : تفوق المرأة على الرجل فى الميراث : قد تتفوق المرأة على الرجل فى الميراث فى قوله تعالى : ﴿ فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ﴾ (٢)

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٢ .

(٢) سورة النساء آية رقم ١١ .

ففى هذه الحالة نجد أن المرأة فاقت الرجل فإذا مات عن بنتين وأب وأم فللبنتين الثلثين وللأب السدس فنصيب المرأة هنا ضعف نصيب الرجل .

ومثال آخر : مات عن بنت وأب وأم فللبنت النصف وللأم السدس والباقى للأب . فنصيب المرأة هنا أكثر من نصيب الرجل أيضا .

مثال الآخر : مات عن بنت وأخوين شقيقين :فترث البنت النصف فرضاً لانفرادها والأخوان الشقيقان يرثان الباقى تعصيباً بالتساوى فيكون نصيب كل أخ شقيق الربع فقط وهنا يكون نصيب الذكر أقل من الأنثى .

ثالثا : الأنثى ترث والرجل لايرث وفى حالات الأنثى ترث والذكر لايرث مثال ذلك :إذا مات شخص عن ابن وبنت وأخوين شقيقين فيرث الابن والبنت التركة كلها للذكر مثل حظ الانثيين والأخوين الشقيقين لا شئ لهما لحجبهما بالفرع الوارث المذكر .

وهنا نجد أن الأنثى ترث ـ والذكر الأخ الشقيق لايرث ـ .

رابعا :ـ تفوق الرجل على المرأة فى الميراث :ـ

من الحالات التى قررها الإسلام فى الميراث مضاعفة نصيب الذكر على الأنثى قال تعالى:﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ (١) .

وفى هذه الحالة ترث الأنثى نصف نصيب الذكر وعندما نمعن النظر فى هذه الحالة نجد منتهى العدالة حيث إن المولى – عز وجل – وازن بين واجبات الرجل كزوج وأب ومسئوليته فى الإنفاق على زوجته وأولاده ذكوراً وإناثاً ، وبين المرأة وكونها فى بيت أبيها بكراً ، ومسئولة من زوجها فى النفقة والرعاية الزوجية. ولتوضيح هذه الحالة نذكر ما يلى : ـ

(١) سورة النساء آية ١١ .

أ - أن الرجل تفرض عليه أعباء مالية لاتفرض على المرأة مطلقاً : فالرجل يدفع المهر لقوله تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ (١) أى فريضة مسماة يدفعها الرجل للمرأة عن طيب نفس كما يمنح أو يهب الهبة بلا مقابل .

وللمرأة حق التصرف فى المهر كيف تشاء ، والرجل مكلف بالنفقة على زوجته وأولاده، لأن الإسلام لم يوجب على المرأة أن تنفق على الرجل ولا على البيت حتى ولو كانت غنية إلا أن تتطوع بمالها عن طيب نفس .

ب - أن الرجل مكلف - أيضاً - بجانب النفقة على الأهل بالنفقة على الأقرباء وغيرهم ممن تجب عليه نفقته حيث يقوم بالأعباء العائلية والالتزامات الاجتماعية التى يقوم بها المورث باعتباره جزءاً منه، وامتداداً له أو عاصباً له من عصبته (٢) .

خامسا: أن توريث المرأة نصف الرجل لها قاعدة خاصة و ليست قاعدة مضطردة فى توريث الإسلام لكل الذكور وكل الإناث ، فالقرآن الكريم لم يقل يوصيكم الله فى المواريث والوارثين للذكر مثل حظ الأنثيين وإنما قال : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ... » .لأن فلسفة الإسلام فى الميراث لاترجع إلى معيار الذكورة والأنوثة ، وإنما لها حكم إلهية ومقاصد ربانية حيث إن هذه الفلسفة تحكمها ثلاثة معايير :

أولها : درجة القرابة بين الوارث ذكراً كان أو أنثى ، وبين المورِّث المتوفَّى فكلما اقتربت الصلة ... زاد النصيب فى الميراث، وكلما ابتعدت الصلة قل

(١) سورة النساء آية ٤ .

(٢) انظر : دكتور عبدالجليل سالم : الإعزاز والتكريم للمرأة ص٤٣ .

النصيب فى الميراث دونما اعتبار لجنس الوارثين ...

وثانيها : موقع الجيل الوارث من التتابع الزمنى للأجيال التى تستقبل الحياة ، وتستعد لتحمل أعبائها عادة يكون نصيبها فى الميراث أكبر من نصيب الأجيال التى تستدبر الحياة وتتخفف من أعبائها بل وتصبح أعباؤها مفروضة على غيرها، وذلك بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة للوارثين والوارثات .. فبنت المتوفى ترث أكثر من أمه ، وكلتاهما أنثى ، وترث البنت أكثر من الأب حتى ولو كانت رضيعة ، وكذلك يرث الابن أكثر من الأب ، وكلاهما من الذكور مثال ذلك :-

توفى وترك بنت وزوجة وأم وأب فللبنت النصف وللزوجة الثمن وللأم السدس والباقى للأب ، فالبنت هنا أخذت أكثر من الأم وكلتاهما أنثى .

مثال آخر : مات وترك ابن وأب وأم وزوجة فللزوجة الثمن وللأب السدس وللأم السدس والباقى للابن فالابن أخذ أكثر من الأب وكلاهما من الذكور .

ثالثها : العبئ المالى الذى يوجب الشرع الإسلامى تحمله والقيام به حيال الآخرين ، وهذا العبء لايفضى إلى أى ظلم للأنثى ، بل ربما كان العكس هو الصحيح (١) .

ولو خيرت أى عاقلة بين أن تتساوى فى الميراث مع الرجل ولا تأخذ مهراً ولا تستحق نفقةً ولا كسوة، ولا سكن ، وتناصف الرجل فى الإنفاق على الأولاد والأقرباء وغيرهم ممن تجب نفقته علي الرجل ، وبين ما شرعه الله – عز وجل – لها لاختارت ما شرعه الله لها لأنه تشريع من لدن حكيم خبير .

---

(١) انظر شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام الدكتور محمد عمارة ص٩٥ – ٩٦

المطلب الثانى : حق المرأة المسلمة فى العمل

الإسلام لم يحرِّم على المرأة العمل ، وإنما حثها على بذل أقصى ما لديها من جهد فى أداء العمل الصالح ، ولا نزاع بين من يفقه أحكام الإسلام أن عمل المرأة أمر مباح ، وأن عقود المرأة وتصرفاتها المالية والتجارية صحيحة لاتتوقف على إجازة أحد من ولى أو زوج . ولا ينازع أحد أن المرأة إذا اضطرت ولم تجد من يعولها من زوج أو أقرباء ، ولم يقم بيت المال بواجبه نحوها فى أنه يجوز لها أن تعمل لتكسب قوتها (١) وقد أشار القرآن الكريم والسنه النبوية إلى إباحة عمل المرأة .

أولاً : ما يدل على عمل المرأة من القرآن الكريم

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢) .

والناظر فى هذه الآية يجد أنها أباحت العمل للمرأة المسلمة وفق الضوابط الآتية :

أ - أن توجد ضرورة ملحة تدفعها للعمل خارج البيت مثل كبر سن الأب ، وعدم قدرته على العمل مع عدم وجود أخ أو زوج يؤدى عنها عملها . فإذا وجد فمهمتها فى البيت أهم من العمل خارج البيت .

ب - أن الإسلام لايمنع المرأة من العمل ولكن يشرط ألا تختلط بالرجال أو يختلط بها الرجال، حيث إن ذلك يؤدى إلى الفشل فى العمل ، للانهيار . وفى الأخلاق

جـ - أن تحافظ على آداب الإسلام فلا تخلو بالرجال ، ولا تبدى زينتها لهم ، ولا تدفعهم إلى الطمع فى نفسها من خلال الخضوع فى القول .

د - ألا يكون عملها على حساب عمل أهم منه ، فلا يحق لها أن يكون

(١) انظر : المرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعى ص٣١ .

(٢) سورة القصص آية ٢٣ .

عملها خارج البيت على حساب تربية أطفالها وذلك لأن حضانة الأم لطفلها بعيد المدى فى تكوين الطفل لا يمكن أن يساويه عمل آخر تقوم به المرأة كما لا يعوضه أى بديل آخر كالحاضنات أو الخادمات . أو غير ذلك .

ثانيا : النصوص الدالة على عمل المرأة من السنة النبوية

فى السنة نصوص كثيرة تدل على جواز عمل المرأة خارج البيت فى حالة الاضطرار من ذلك ما جاء أن أسماء بنت أبى بكر- رضى الله عنهما - قالت : « تزوجنى الزبير وما له من مال ولا مملوك ولا شئ غير ناضح - ناقة - وغير فرسه ، فكنت أعلف فرسه وأستقى الماء ، وأخرز قربه وأعجن ، ولم أكن أحسن الخبز ، وكان جارات لى من الأنصار وكنا نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التى اقتطعها رسول الله (ﷺ) على رأسى وهو منى على ثلثى فرسخ (١) وجئته يوماً والنوى على رأسى ، فلقيت رسول (ﷺ) ومعه نفر من الأنصار ، فدعانى ثم قال أخْ . أخْ ليحملنى خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته ، وكان أغير الناس فعرف (ﷺ) أنى قد استحييت ... » (٢) .

وهذه السيدة أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش كانت تقوم بصناعة الدبغ فعن عائشة قالت : « ... كانت أطولنا يداً زينب لأنها تعمل بيدها وتتصدق (٣) وعن جابر أن رسول الله (ﷺ) أتى امرأته زينب وهى تمعى منيئة » (٤) أى : تدبغ جلدة .

وقد أورد الحافظ ابن حجر فى الفتح أن الحاكم روى فى المستدرك وقال على شرط مسلم « أن زينب بنت جحش كانت امرأة صناعة باليد كانت تدبغ

---

(١) الفرسخ قياس طولى يعادل حسب مقياس هذا العصر ٥٥٤٥ متر وثلثا الفرسخ = ٣٦٩٦ متراً .

(٢) صحيح البخارى حديث رقم ٥٢٢٤ جـ ٩ صـ ٣١٩ .

(٣) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة جـ ٧ صـ ١٤٤ .

(٤) صحيح مسلم كتاب النكاح جـ ٤ صـ ١٢٩ .

وتخرز وتتصدق فى سبيل الله » (١) وذكر جابر بن عبد الله أن خالته احتاجت للعمل خارج بيتها وهى تعيش فترة عدة الطلاق فأذن لها رسول الله (ﷺ) . فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه أن جابر بن عبد الله قال : طلقت خالتى فأرادت أن تجز نخلها فزجرها رجل أن تخرج . فأتت النبى (ﷺ) فقال : « بلى جذى نخلك فإنك عسى أن تصدّقى أو تفعلى معروفا ».

فهذه الأحاديث تدل على جواز عمل المرأة فى خارج بيتها فى حالة الضرورة القصوى، وذلك مراعاة لحاجتها، أو حاجة المجتمع لتخصصات معينة مثل التدريس للفتيات، أو التطبيب ، أو التمريض أو ما يماثل ذلك من عمل يتناسب مع فطرتها وأنوثتها ، مع الالتزام بالضوابط الإسلامية .

ومع كل هذا فإننا نؤكد على أن العمل الأساسى للمرأة المسلمة يكون فى داخل بيتها لتربية أولادها ، ورعاية شؤون زوجها ، وهذا عمل كبير وشاق تحتاج لمن يساعدها فيه . أما السير فى ركاب دعاة التغريب بلا تبصرة ، وبدون وعى ، فإنه يوردها موارد الهلكة والبوار .

يقول فضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى : « مهمة المرأة مع أرقى الكائنات ، وعمل الرجل هو التعامل مع أجناس الحياة :

فهو يمكن أن يكون زارعا يتعامل مع الأرض ، وما إلى ذلك ، مع أشياء ... وهذه الأشياء كلها لخدمة الإنسان .

والإنسان أرفع هذه الأجناس كلها. ومهمة المرأة هى التعامل مع ذلك الجنس الراقى وهو الإنسان كزوج، وكجنين، كجنين فى بطنها، وكوليد

---

(١) فتح البارى جـ ٤ صـ ٢٩ .

تحمله، وتعطى له المثل وتربيه .

إذاً فالرجل يتعامل مع الأشياء التى دون الإنسان والمرأة تعاملها الأساسى مع الإنسان . وحين ننظر إلى طفولات الحيوانات نجدها كلها قليلة ، وأطول طفولة هى للإنسان . الطفولة هذه ميدان عمل المرأة فما دامت الطفولة زادت ، لأنها تزيد بقدر المهمة والحيوانات الأخرى مهمتها دون مهمة الإنسان وطفولة الإنسان تتناسب مع مهمته الآن مهمته عالية فهو أرفع الأجناس على الأرض .. فإذا كانت الأم مشغولة بأى عمل من الأعمال فى الفترة التى يكون فيها عقل الطفل فارغاً ، وهذا الفراغ يحتاج من يملأه . مَنْ الذى يملؤه ؟ إنها الأم ، إذاً فمهمتها مع أرقى الكائنات ، ويجب أن تأخذ هذا الأمر بشئ من الفخر ، وبشئ من الاعتزاز .

يسأله الأستاذ : أحمد فراج : وماذا لو رغبت المرأة فى أن تخفف عن الرجل بعض هذا الشقاء ؟ ألا يكون ذلك محمدة لها ؟ أى تقوم بواجبها كسكن وتؤدى رسالة المودة . والرحمة ... وإلى جانب ذلك تخفف بعض هذا الشقاء ؟ فيجيب فضيلته قائلاً : هي فى الواقع لم تخفف عن شقائه .. فهو مازال فى تعبه ، والحقيقة أنه مازال شقياً وازدادت هى شقاء ! ! فهو لم يأخذ نصف عمل فى الخارج ، فما زال يعمل عمله ، وإذا تعللت بمشاركة الزوج فى عمله لتزيد الدخل ، فليس المفروض فى الإنسان الذى له قيم سماوية أن يفرض مستوى الحياة أولا ، وبعد ذلك يحمِّل الدخول عليه . لا ، المفروض أنه على قدر دخله يحدد مستوى الحياة (١) .. إن أفضل مكان لعمل المرأة يكون فى البيت مع أرقى المخلوقات .

---

(١) المرأة المسلمة والطريق إلى الله لفضيلة الامام : محمد متولى الشعراوى : مكتبة القرآن ص١٩:٢٠

ثالثا : رأى المفكرين فى الغرب فى خروج المرأة للعمل

إن المفكرين فى الغرب ينادون اليوم بعودة المرأة إلى البيت ، وذلك بسبب الانحلال الرهيب داخل الأسر يقول الفيلسوف الكبير : « برترا ند رسل » إن الأسرة انحلت باستخدام المرأة فى الأعمال العامة ، وأظهر الاختيار أن المرأة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة، وتأبى أن تظل أمينة لرجل واحد » (١) .

ويقول الفيلسوف الاقتصادى : جول سيمون « يجب أن تبقى المرأة امرأة فإنها بهذه الصفة تستطيع أن تجد سعادتها وأن تهبها لسواها ، فلنصلح حال النساء ولكن لانغيرها ، ولنحذر من قلبهن رجالاً ، لأنهن بذلك يفقدن كثيراً من الخير ونفقد نحن كل شئ » (٢) .

وتقول الكاتبة الشهيرة : أنى رورد : لأن يشتغل بناتنا فى البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن فى المعامل ، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد ، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين ، فيها الحشمة والعفاف والطهارة .. لا تمس الأعراض بسوء ، نعم إنه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال ، فما بالنا لا نسعى وراء مايجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام فى البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها » (٣) .

ويقول :جول سيمون أيضا : « النساء قد صرن الآن نساجات وطباعات ، وقد استخدمتهن الحكومة فى معاملها ، وبهذا فقد اكتسبن بضعة دريهمات ، ولكنهن فى مقابل ذلك قد قوضن دعائم أسرهن تقويضاً ، نعم إن الرجل

(١) انظر الإسلام والحضارة الغربية : محمد كرد على جـ ٢ صـ ٩٢ .

(٢) دائرة معارف فريد وجدى جـ ٨ ٦١٦ .

(٣) مجله المنار للسيد رشيد رضا المجلد الرابع صـ ٤٨٦ .

صار يستفيد من كسب امرأته ، ولكن بإزاء ذلك قل كسبه لمزاحمتها له فى عمله » (١) .

إن حملة الإعلام الموجودة حالياً فى دفع المرأة خارج البيت ليلاً ونهاراً ، إما أنها حملة مغرضة لتحطيم الأسرة المسلمة من الداخل ، أو أنها جاهلة بالنتائج الخطيرة المترتبة على عمل المرأة خارج البيت . وعلى المرأة التى تستجيب أن تتحمل كل ما تحملته المرأة الغربية فى هذا السبيل ، عليها أن تقبل بكل نتائج الفلسفة الغربية فى هذا الموضوع ، عليها أن تتكفل بنفقات حياتها ودراستها منذ تجاوزها الخامسة عشرة ، أو السادسة عشرة ، وعليها أن تعمل كثيراً لتدخر ماتقدمه لمن ترغب فى الاقتران به من مال يرضيه ، وعليها أن تشارك الزوج بعد ذلك فى نفقاتها ونفقات بيتها وأولادها ، وعليها أن تستمر فى العمل لكسب قوتها حتى تبلغ الستين من عمرها وعليها أن تفتش عن عمل بعد ذلك حتى تلقى ربها ، ولا حرج عليهافى هذه المسيرة أن تنحرف كيفما تشاء وأن تخادن من تشاء وتفعل ما تشاء . الخ .

هذه هى صورة المرأة فى الغرب ، صورة كالحة سوداء .

إن الإسلام يصون كرامة المرأة ويفرغها لأداء رسالتها الاجتماعية كزوجة وأم ، وفى سبيل ذلك يتكفل من خلال تشريعاته بالإنفاق عليها وهذا هو الأصل . فإن اضطرت للعمل أو احتاج إليها المجتمع فلا يمنعها الإسلام ما التزمت بآداب الإسلام وضوابطه . ويعتبر عملها هذا استثناء من الأصل .

---

(١) دائرة معارف فريد وجدى جـ ٨ صـ ٦٠٦ .

المبحث الرابع :

المكانة السياسية والجهادية للمرأة :

أولاً : المكانة السياسية

الإسلام لم يمنع المرأة من المشاركة العامة فى أمور الحياة فقد بايعها النبى (ﷺ) كما بايع الرجال ، وهذه البيعة تحدثت عنها سورة الممتحنة فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

وكانت هذه البيعة يوم فتح مكة وقد حضرها عدد من النساء منهن هند بنت أبى سفيان . وهذه البيعة لا تدل على اشتغال المرأة المسلمة بالسياسية « ومن زعم أن هذا يدل على اشتغال المرأة المسلمة بالسياسة فقد ركب متن الشطط وحمَّل وقائع التاريخ مالا تحتمل » (٢) .

وأيضاً لم يحدثنا التاريخ الإسلامى الصحيح أن المرأة اجتمعت مع الصحابة لبحث أمر من الأمور السياسية والتى بدأت بعد وفاة الرسول (ﷺ) ، فلم تجتمع مع الصحابة فى سقيفة بنى ساعدة بعد وفاة الرسول (ﷺ) . كما أن خروج بعض نساء الصحابة للجهاد مع الرجال فى غزوات الرسول (ﷺ) لايدل هذا على اشتغال المرأة بالسياسة، كما أن خروج أم المؤمنين عائشة فى معركة الجمل « لايمكن أن يتخذ عملها هذا دليلاً على اشتغال المرأة بالسياسة لأنها حادثة فردية تأولت فيها الحق فأخطأت ثم

---

(١) سورة الممتحنة آية رقم : ١٢ .

(٢) الدكتور مصطفى السباعى : المرأة بين الفقه والقانون صـ ١٥١ .

تابت واستغفرت . ومع هذا لايوجد نص يمنع المرأة من المشاركة فى إصلاح أداة الحكم بالنقد والتوجيه واقتراح سن القوانين، وبالمشاركة فى اتخاذ أنسب القرارات وذلك من خلال الشورى الجماعية ، فالشورى من المبادئ التى اهتم بها الإسلام وأكدها وحرص عليها ودعا إليها وألزم المسلمين العمل بها ، وقد أمر الله - سبحانه - رسوله (ﷺ) بها قال تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(١) . والخطاب فى الآية مطلق غير مقيد فالأمر موجه للرجال وللنساء ومثله قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢) .

وقد جاء فى فضل الشورى أحاديث نبوية شريفة كثيرة - ليس هنا محل سردها - ومن المعلوم أن الشورى تكون فيما ليس فيه نص من الكتاب والسنة ، وتكون فى كل شئون الحياة .

أهل الشورى : الناظر فى سنة النبى (ﷺ) يتضح له أن الرسول (ﷺ) لم يخصص أحداً من الصحابة لمشاورته فى أمر معين ، وإنما كان يأخذ برأى الخبير الثاقب النظر فيه ، الذى يوافق رأيه المصلحة العامة ولا يخرج عن نطاق الكتاب أو السنة أو الإجماع سواء أكان قريباً أم بعيداً ، عربياً أم أعجمياً ، واحداً أم جماعةً ، ذكراً أم أنثى (٣) .

وقد أخذ برأى عمر وهو من بنى عدى ، كما أخذ برأى سلمان الفارسى وهو أعجمى ، وأخذ برأى أم المؤمنين أم سلمة وهى امرأة .

---

(١) سورة آل عمران آية ٩ .

(٢) سورة الشورى آية ٣٨ .

(٣) الدكتور اسماعيل البدوى : اختصاصات السلطة التنفيذية فى الدولة الإسلامية والنظم الدستورية المعاصرة ط أولى ٩٣ ، ٢٥٧ .

والذى يجب على رئيس الدولة فى المشاورة أن يسأل من استكملت فيه ثلاث خصال بغض النظر عن جنسهم ونوعهم .

الخصلة الأولى : أصحاب العقل التام والتجربة السابقة :سواء كانوا من الرجال أم من النساء فعن أبى هريرة - رضي الله عنه - عن النبى (ﷺ) أنه قال : « استرشدوا العاقل ترشدوا ، ولا تعصوه فتندموا » وقال أحد الحكماء : « من استعان بذوى العقول فإنه يدرك المأمول »

وقيل : كل شئ يحتاج إلى العقل ، والعقل يحتاج إلى التجارب .

الخصلة الثانية : أن يتصف بالدين والتقوى وانعدام الغرض والهوى: -

فيجب على رئيس الدولة أن يطلب مشورة صاحب الدين والتقوى فبها يكون مجتنباً للمحرمات ، حافظاً لحدود الله ، كاتماً للأسرار ، مأمون السريرة .

ويقول الماوردى عن البعد عن أصحاب العرض والهوى : « فإن الأغراض جذابة والهوى صاد، والرأى إذا عارضه الهوى وجاذبته الأغراض فسد » (١) .

الخصلة الثالثة : النصح والمودة وسلامة الفكر : فيجب على رئيس الدولة أن يختار لاستشارته من كان ناصحاً ودوداً، فإنه بالنصح والمودة تكون فكرته صادقة ويكون نظره ثاقباً، ورأيه ممحصاً، ونصحه خالصاً.

فإذا توفرت هذه الخصال فى رجل أو فى امرأة فعلى رئيس الدولة أن يستشيره أو يستشيرها، ولا ينبغى أن يتصور فى نفسه أنه إن شاور فى الأمر ظهر للناس ضعف رأيه ، وخور عزيمته، وفساد رويته، فقد أخذ رسول

---

(١) الماوردى : أدب الدنيا والدين صـ ٢٧٢ .

الله (ﷺ) برأى السيدة أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ فى قصة صلح الحديبية فبعد أن انتهى من كتابة الكتاب بينه وبين أهل مكة قام (ﷺ) فقال : « يا أيها الناس انحروا واحلقوا » قال فما قام أحد ، قال ثم عاد (ﷺ) بمثلها فما قام رجل ثم عاد (ﷺ) بمثلها فما قام رجل فرجع رسول الله (ﷺ) فدخل على أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ فقال : « يا أم سلمة ما شأن الناس ؟ قالت : يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت فلا تكلمن منهم إنساناً واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق فإن فعلت ذلك فعل الناس ذلك ، فخرج رسول الله (ﷺ) لايكلم أحداً حتى إذا أتى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق .

قال : فقام الناس ينحرون ويحلقون » (١) . فشورى المرأة الحكيمة ، فى الأزمة السياسية أنقذت الجماعة المؤمنة من أزمة خطيرة ، وهلاك محقق بسبب غضب النبى عليهم وعصيانهم لأمره عندما وهم كثير من قادة هذه الجماعة أن صلح الحديبية مجحف بالإسلام . كما أن هذه الحادثة تبين أن المشاورة وتبادل الرأى من الضرورات الأساسية فى جميع الشؤون خاصة فى الشؤون السياسية والحربية ـ حتى ولو كانت مع النساء ـ ولذلك كان (ﷺ) يشاور أصحابه، ويستعين بخبراتهم وآرائهم ففى غزوة بدر استشار ـ ﷺ ـ أصحابه المهاجرين والأنصار، فأشاروا عليه بالقتال، وعندما نزل هو وأصحابة بأدنى ماء من بدر قال له « الحباب بن المنذر بن الجموح » : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدم عنه ولا نتأخر ؟ أم هو الرأى ، والحرب، والمكيدة ؟ فقال رسول الله ﷺ : بل الرأى والحرب والمكيدة . فقال : يارسول الله : فإنه هذا ليس بمنزل ، قم فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم ، فننزله ثم نغور ما وراءه ، ثم نبنى

(١) انظر : إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى : للقسطلانى جـ ٤ صـ ٤٦١ وانظر : زاد المعاد جـ ٣ صـ ٢٩٥ .

عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال له (ﷺ) : لقد أشرت بالرأى ونفذ ما أشار به (١) . وفى غزوة الخندق أخذ رسول الله (ﷺ) برأى « سلمان الفارسى » بحفر خندق حول المدينة . وسار نهج الحكام الذين أتوا بعده ﷺ على مبدأ الشورى ، فشاور « أبو بكر » (رضي الله عنه) كبار الصحابة عندما أراد أن يرسل خالد بن الوليد للشام ، والتزم أمير المؤمنين عمر بهذه القاعدة فكان يشاور أهل الرأى فيما جل أو قل من أمور المسلمين ، وأسس للشورى قاعدة جماعية كبيرة العدد ، فعندما أراد أن يبعث بجيش كثيف إلى العراق ليقاتل جموع العجم بجموع العرب ، فكتب إلى عمال العرب والقبائل فى ذى الحجة سنه ١٣هـ يقول : «لا تدعوا أحدا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلىَّ ، والعجل العجل فاجتمع له بضعة آلاف واستشارهم فى المسيرإلى العراق (٢)

وشاورهم وأشاروا عليه ، ونزل على رأى أصحاب الرأى وبهذا وضع أمير المؤمنين قاعدة « جماعية القيادة » أو ما يسمى « بهيئة أركان الحرب » وتعتبر مسؤولة مع القائد مسئولية مباشرة ، لأن القائد يضع الخطط الحربية فى ضوء آرائها (٣) .

الخلاصة : أنه يجوز للمرأة أن تتولى بعض الأمور السياسية ولكن ينظر للأمر فى ضوء مصلحة المرأة ، ومصلحة الأسرة ، ومصلحة المجتمع، ومصلحة الإسلام ، ولكنها تمنع من رئاسة الدولة وما فى حكمها، لأن طاقة المرأة - غالبا - لاتحتمل الصراع الذى تقتضيه تلك المسؤوليات الجسيمة ، وإنما قلنا « غالبا » . لأنه قد يوجد من النساء من يكن أقدر من بعض الرجال ، مثل ملكة سبأ ، التى قص الله علينا قصتها فى القرآن ، ولكن الأحكام لاتبنى على النادر بل على الأعم الأغلب. ولهذا قال علماؤنا :النادر لا حكم له (٤) .

---

(١) سيرة ابن هشام ج٢ ص٢٥٩:٢٦٠ . (٢) انظر:الدكتور:محمدحسين هيكل:الفاروق عمرج١ص١٥١

(٢) انظر:الدكتور:إسماعيل البدوى:اختصاص السلطة التنفيذية فى الدولة الإسلامية . أولى ص١٥١ .

(٣) انظر : الدكتور : يوسف القرضاوى : ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده ص ٣٢٩ .

ثانيا : المكانة الجهادية للمرأة :

الجهاد لم يفرض على المرأة ،لأنها تلد الرجال الذين يجاهدون وهى مهيأة لمولد الرجال بكل تكوينها، العضوى والنفسى، ومهيأة لإعدادهم للجهاد، ولكنها مع ذلك لم تحُرم من فضله إن تطوعت، ولم يمنعها الإسلام من المشاركة فيه إن كان هناك حاجة إليها، وكانت مغازى النبى (ﷺ) تضم عدداً من النساء فهذه « نُسيبة بنت كعب » أم عمارة التى خرجت لسقى المسلمين فى غزوة أحد ، فلما لحقت بالمسلمين الهزيمة ، رمت مابيدها وأخذت سيفاً وخاضت غمار الحرب تدافع عن النبى (ﷺ) وخرجت ووهبت حياتها للموت واستعذبته لإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، ودعى لها رسول الله (ﷺ) ولزوجها وولدها وقال عنها: «مانظرت - يميناً أو شمالاً إلا ورأيت أم عمارة تقاتل دونى » (١) .

كما ثبت أن أم عطية الأنصارية غزت مع النبى (ﷺ) سبع غزوات قالت: « غزوت مع رسول الله (ﷺ) سبع غزوات، وكنت أخلفهم فى الرحال وأصنع لهم الطعام وأرد الجرحى » وأقوم على الزمنى » (٢). وروى البخارى وأحمد عن الربيع بنت معوذ، قالت : «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ : « نسقى القوم ، ونخدمهم ، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة » (٣) .

فالمرأة أن تلتحق بالجيش فى أعمال التمريض والإسعاف، والخدمة وغير ذلك من التخصصات العسكرية التى تتناسب مع أنوثتها. بل لها أن تحمل السلاح وتدافع عن نفسها وعن موقعها الذى تعمل فيه ففى صحيح

---

(١) انظر : السيرة الحلبية جـ ٢ صـ ٥٠٩ .

(٢) رواه مسلم جـ ٣ صـ ١٤٤٧ وانظر الطبقات الكبرى جـ ٨ صـ ٤٥٧ .

(٣) البخارى : كتاب الجهاد : باب رد النساء القتلى والجرحى جـ ٦ صـ ٤٢٠ .

مسلم أن " أم سليم - الرميصاء - زوج أبى طلحة، وأم أنس بن مالك شاركت مع المسلمين يوم حنين واتخذت خنجراً ، فلما سألها زوجها عنه ، قالت : « اتخذته : إن دَنَا منى أحد من المشركين بقرت بطنه » (١) .

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : « لما كان يوم أحد رأيت عائشة وأم سليم وإنهما لمشمرتان ، أرى خدَمْ سوقهما ، تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانها فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها فى أفواه القوم » (٢) .

وكانت السيدة صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبى ﷺ - وشقيقة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، وزوجة العوام بن خويلد شقيق أم المؤمنين خديجة ، وهى أم الزبير بن العوام أول امرأة قتلت من اليهود ، وذلك عند ما خرج رسول الله - ﷺ - إلى الخندق جعل نساءه فى أطم يقال له فارغ ، وجعل معهن حسان بن ثابت ، فجاء يهودى فرقى فوق الحصن حتى أطل على النساء ، فقالت صفية لحسان : قم فاقتله ، فقال : لو كان ذلك فىَّ كنت مع رسول الله (ﷺ) ، قالت صفية : فقمت إليه فضربته حتى قطعت رأسه وقلت لحسان : قم فاطرح رأسه على اليهود وهم أسفل الحصن ، فقال : والله ماذاك ، قالت : فأخذت رأسه فرميت به عليهم ، فقالوا : قد علمنا أن هذا - يقصدون النبى ﷺ - لم يكن ليترك أهله خلواً، ليس معهم أحد فتفرقوا » (٣) .

والناظر فى هذه النصوص ، ومشاركة هؤلاء الصحابيات الجليلات فى هذه الغزوات مع النبى ﷺ يجد الدليل الواضح على جواز مشاركة المرأة المسلمة فى الحروب مع المسلمين ، متى كانت قادرة على ذلك ، بل إنها قد

---

(١) رواه مسلم ج٣ ص ١٤٤٢ ، ص١٤٤٣ .

(٢) البخارى :ج٥ ص١٣٥ ومسلم ج٣ ص١٤٠٤٣ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ط سنة ١٩٨١ ج٢ص٢٧٠ .

تجب عليها هذه المشاركة فى الحروب وذلك عندما يهجم العدو على بلدة من بلاد المسلمين – وإذا كان الجهاد فرض عين فإن للمرأة أن تخرج بغير إذن زوجها إذا منعها ، والأمر نفسه يجب على الولد والعبد .

إن مكانة المرأة فى الجهاد ، وفى الدفاع عن المقدسات والوطن الإسلامى على اتساعه لا تقل عن مكانة الرجل ، بل تفوقه ، فهى تشارك فى الجهاد كالرجل ولها أن تشارك بالمال ، بل إنها تلد الأبطال وتربيهم على الجهاد وتفرح وتحمد الله على استشادهم كما فعلت الخنساء – رضى الله عنها – التى استشهد أبناؤها الأربعة فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بهم .

يقول شيخنا – محمد الغزالى – عليه رحمة الله : « الملامح النبيلة للمرأة المسلمة نراها فى "الخنساء" التى جاهدت فى حرب فارس وحضرت موقعة القادسية الهائلة .

اشتركت بأبنائها الأربعة وقبل أن ينزلوا ساحة الوغى ، جمعتهم وزودتهم بنار من الإيمان ، ونور من اليقين فى تلك الكلمات الخالدة ؛

« يا بنى إنكم أسلمتم وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله غيره ، إنكم بنو رجل واحد ، كما إنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعده الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله – عز وجل – : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ . (١)

فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله ، سالمين ، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، وإذا رأيتم الحرب شمرت عن

---

(١) سورة آل عمران [٢٠٠] .

ساقها ، واضطرمت فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رائيسها عند احتدام خميسها (١) ، تظفروا بالغنم والكرامة ، فى دار الخلد والمقامة » فلما كان الصباح ، احتدم وطيس المعركة ، فتقدم أبناؤها الأربعة ، واشتدوا على عدوهم غير مبالين بالموت ، حتى قضوا نحبهم جميعاً ....

ولما بلغ خبر استشهادهم إلى الخنساء ، لم تجزع ، بل قالت : الحمد لله الذى شرفنى بهم (٢) .

وهذه أم الربيع بنت البراء عمة أنس بن مالك وأم حارثة أتت إلى النبى – فقالت : يانبىَ الله ، ألا تحدثنى عن حارثة وكان قد قتل فى يوم بدر ، فإن كان فى الجنة صبرت ، وإن كان فى غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء قال : « يا أم حارثة ؛ إنها جنان فى الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى (٣) لقد آثرت المرأة المسلمة ما عند الله على الحياة الدنيا ، وأحبت لنفسها ولأبنائها ولزوجها ما عند – الله تعالى – من نعيم مقيم على نعم الدنيا ، لقد علمت أن الجهاد باب من أبواب الجنة ، يتسع للتقى فيزيده أجراً وثواباً ، ويتسع لغيره فيطهره وينقيه ويكفر عنه من سيئاته ويزيد له فى حسناته ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

---

(١) الخميس : أى الجيش الجرار : سمى بذلك لأنه خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساقة واحتكام خميسها : ملاقاة الجيش لنظيره .

(٢) فضيلة الأستاذ/محمد الغزالى : ركائز الايمان ص٢٣٤ .

(٣) صحيح البخارى : كتاب الجهاد : الجهاد والسير ج٣ص١٠٣٤ حديث رقم ٢٦٤٥ .

الفصل السادس
المكانة العلمية للمرأة المسلمة

ويشتمل على النقاط الآتية .

أولاً : المكانة العلمية السيئة للمرأة الأوربية .

ثانياً : المكانة العلمية السامية للمرأة المسلمة .

ثالثاً : أثر المرأة المسلمة فى تعليم كثير من علماء الأمة .

الإسلام هو الدين الذى يقوم على العلم والتعلم ، ولهذا أمر الله به وأوجبه قبل القول والعمل قال تعالى ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ... ﴾ (١) وقد بوب الإمام البخارى باب : « العلم قبل القول والعمل (٢) . وأول آية من آيات الوحى الكريم نزلت على رسول الله - ﷺ - أمرته بالقراءة . والخطاب له - ﷺ - خطاب لأمته .

قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٣) كما أن الله أمر رسوله - ﷺ - بأن يسأله - سبحانه - الزيادة فى العلم قال - عزوجل - : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلاتَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٤) يقول العلامة :عبد الرحمن بن ناصر السعدى فى تفسيره للجزء الأخير لهذه الآية : « ولما كانت عجلته على تلقف الوحى ومبادرته إليه تدل على محبته التامة للعلم ، وحرصه عليه ، أمره تعالى أن يسأله زيادة العلم ، فإن العلم خير ، وكثرة الخير مطلوبة ، وهى من الله ، والطريق إليها ، الاجتهاد ، والشوق للعلم ، وسؤال الله ، والاستعانة به والافتقار إليه فى كل وقت (٥) .

ومطالبة الإسلام للإنسان بالعلم وتحصيله والتبحر فيه والإحاطة بأسراره

---

(١) سورة محمد آية رقم : ١٩ .

(٢) البخارى : كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل جـ ١ صـ ١٥٩ .

(٣) سورة العلق آية رقم ١ - ٥ .

(٤) سورة طه آية رقم : ١١٤ .

(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للعلامه : عبد الرحمن بن ناصر السعدى جـ ٢ صـ ٦٩٦ .

وأسرار الحياة والكون أمر موجه للإنسان بنوعيه وليس موجه للرجال دون النساء ، وكل المجالات العلمية مباحة للرجال وللنساء وهم مدعون إلى هذه المجالات دعوة صريحة ، ويكونون مقصرين إذا لم يقوموا بها وهى مجالات تشمل كل مناحى الحياة الدينية والدنيوية والتى منها ما يلى :

أولاً : تدبر آيات الله فى الكون للتعرف على قدرة الله المعجزة ، وتفرده بالخلق والتدبير والهيمنة والسلطان ، بما يؤدى إلى إخلاص العبادة له وحده – سبحانه – وطاعته فيما أمر به وما نهى عنه .

ثانياً : تدبر آيات الله فى الكون للتعرف على السنن الكونية التى يجرى بها قدر الله فى الكون . لتحقيق التسخير الربانى لما فى السموات وما فى الأرض للإنسان . من أجل تعمير الأرض والقيام بالخلافة فيها . ومن ثم فيجوز للمرأة أن تتخصص فى علم الذرة أو علم الفيزياء أو علم الكيمياء أو الچيولوچيا . الخ .

ثالثاً : تدبر حكمة التشريع الربانى لإحسان تطبيقه على الوجه الأكمل والاجتهاد ، فيما أذن الله فيه بالاجتهاد .

رابعاً : تدبر السنن الربانية التى تجرى الأمور بمقتضاها فى حياة البشر لإقامة المجتمع الإيمانى الراشد الذى يريده الله (١) .

خامساً : تدبر التاريخ وأحداثه واستخراج مافيه من خير والعمل على هداه ، ومافيه من شر للابتعاد عنه .

إن الإسلام يخاطب العقل كله ويستنهضه للتفكر والتدبر والتأمل . التدبر فى آيات خلق الانسان ، وخلق الكون ليستيقن من حقيقة الألوهية وتفرده

(١) محمد قطب : تيارات فكرية معاصرة صـ ٥٤٠ بتصرف .

سبحانه قال تعالى ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴾ (١) . ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ (٢) .

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ (٣) ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ (٤) .

كل هذه المجالات وكل هذه الأمور تحتاج إلى العلم ، ومن ثم لا نجد على وجه الأرض دين مجد القراءة والكتابة والعلم والتعلم وأمر بالتدبر والتأمل وحث على النظر كالإسلام . يتضح ذلك من خلال ما يلى :

أولا : المكانة العلمية السيئة للمرأة الأوربية :

وقبل أن أبين المكانة العلمية للمرأة فى الإسلام ، فإن المرأة الأوربية كانت غارقة فى الجهل تعيَّر بأنها تحمل وتلد حتى وقت قريب لايزيد عن قرن ونصف ، وكانت عصور الظلام عندنا تساوى عصور التقدم والرقى العلمى عندهم .

إن الحضارة الأوربية كانت تعتبر المرأة جزءاً من المتاع الذى يتلهى به الرجل . يقول عباس محمود العقاد «إن الإنجليز كانوا يعتبرون تعليم المرأة سبة تشمئز منها النساء قبل الرجال .فلما كانت «اليصابات بلا كويل» تتعلم فى جامعة جنيف سنه ١٨٤٩ - ميلادية وهى أول طبيبة فى العالم المسيحى - كانت النسوة المقيمات معها يقاطعنها ويأبين أن يكلمنها ويزوين ذيولهن عن طريقها احتقاراً لها كأنهن محرزات من نجاسة يتقين مساسها ، وإن

---

(١) سورة الطور أية : ٣٥ - ٣٦ .
(٢) سورة الطارق آية رقم ٥ .
(٣) سورة الواقعة آية رقم : ٥٨ - ٥٩ .
(٤) سورة لقمان آية رقم : ١٠ .

الأمريكان عندما اجتهد بعضهم فى إقامة معهد يعلم النساء الطب فى مدينة « فلا دلفيا » الأمريكية ، أعلنت الجماعة الطبية فى المدينة أنها تصادر كل طبيب يقبل العمل فى هذا المعهد وسوف تصادر كل من يستشير أولئك الأطباء » (١) .

وإن الفرنسيين هم أصحاب فكرة أن المرأة يجب أن تحبس بين جدران أربعة .أما مكانة المرأة المسلمة فى ظل الحضارة الإسلامية وقبل أن يقع العالم الإسلامى فى براثن أعدائه من شرق وغرب فقد كان تاريخاً مشرفاً فى العلم والتعلم والتعليم .

ثانياً : المكانة العلمية السامية للمرأة المسلمة :

الإسلام لم يكتف بأن يجيز للمرأة أن تتعلم ما شاءت من علوم الدين والدنيا بل أوجب عليها ذلك كما أوجبه على الرجل . وللمرأة الحق أن تتخصص فى أدق التخصصات العلمية .

وقد كانت النساء على عهد النبى - ﷺ- يتعلمن كالرجال ، بل إن الرسول ﷺحدد لهن موعداً يحضرن فيه للعلم والتعلم ، كما ورد ذلك فى سنته - ﷺ - فقد روى الشيخان - أن إحدى النساء قالت للنبى - ﷺ - غلبن عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك فواعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن ... » (٢) .

فهذا الحديث يصور لنا أن المرأة قسيمة الرجل لها من حق التعليم مثل ما للرجل ، ولهن الحق فى حضور مجالس العلم والانتفاع منها ، كما يدل

(١) عباس محمود العقاد : عبقرية محمد صـ ١٠٧ .
(٢) أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة باب جـ ٤ صـ ٢٢٩ .

على أن المرأة المسلمة كانت حريصة على طلب العلم .

ولهذا كانت زوجاته أمهات المؤمنين عالمات بعلوم الدين والدنيا . فهذه أم المؤمنين خديجة دفعها علمها عندما نزل الوحى عليه ﷺ - فى غار حراء ورجع إلى بيته يرجف فؤاده ودخل عليها وأخبرها الخبر أن تحكم بصحة مانزل عليه قائلة له : «كلا والله مايخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق .. » (١) .

وهذا الحديث يصور لنا ما كانت عليه أم المؤمنين خديجة من علم وفهم وفقه ، فقد حكمت على أن مَنْ كانت هذه صفاته فلن يخزى أبداً من الله ، ثم التمست له العلم عند أهل العلم عندما ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل .

ثم إنها لم تكتف بذلك بل أرادت أن تستوثق بما لديها من علم على أن الذى جاء لرسول الله - ﷺ - ملاك وليس بشيطان ، فقالت له : « أى ابن عم أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم قالت فإذا جاءك فأخبرنى به ، فجاءه - جبريل عليه السلام - كما كان يصنع فقال : رسول الله ﷺ لخديجة : « يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى قالت : قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى ، فقام رسول الله . ﷺ فجلس عليها ، وقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحول فاجلس على فخذى اليمين ، قالت : فتحول رسول الله - ﷺ - فجلس على فخذها اليمين ، فقالت : هل تراه ؟ قال نعم ، قالت فتحول فاجلس فى حجرى قالت فتحول رسول الله - ﷺ - فجلس فى حجرها، قالت هل تراه ؟ قال نعم، فتحسَّرت وألقت

(١) الإمام البخارى باب بدء الوحى جـ ٣ صـ ١

خمارها ورسول الله - ﷺ - جالس فى حجرها ثم قالت : هل تراه ؟ قال لا .

قالت يا ابن عم اثبت وأبشر ، فو الله إنه لَمَلَكٌ وما هذا شيطان (١) .

فهذا الحدث يدل على ما كانت تتمتع به أم المؤمنين خديجة - رضى الله عنها من علم وفقه حتى فى العقائد ، ولهذا كانت أول من آمنت به - ﷺ - وأول من دافعت عنه بمالها ونفسها . وإذا تركنا أم المؤمنين خديجة ، ونظرنا إلى علم أم المؤمنين عائشة فقد كانت من أكثر النساء علماً بالقرآن والسنة ، بل كانت ذواقة للأدب العربى ، شعره ونثره ، سريعة الاستشهاد به فيما يمر بها من أحداث فقد وهبها الله ذكاءً وعقلاً وفهماً .

وفى طبقات ابن سعد يقول : « كانت عائشة أعلم الناس ، يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله، فعن أبى سلمة يقول :ما رأيت أعلم بسنن رسول الله من عائشة ، ولا أحد أفقه فى رأى إن احتيج إلى رأيه ، ولا أعلم بآية نزلت ولا فريضة ، من عائشة – رضى الله عنها – .

وبلغ من علمها أنها كانت هى المرجع للصحابة رضوان الله عليهم فيما أُشكل عليهم عليهم فعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : « ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلاَّ وجدنا عندها منه علماً » (٢) .

وكان أبو هريرة - رضي الله عنه - يجلس إلى حجرتها ليسمعها ما يحدِّث به

---

(١) انظر سيره ابن هشام جـ ١ صـ ٢٥٥ .

(٢) أخرجه الترمذى فى المناقب باب فضل عائشة جـ ٥ صـ ٧٠٥ حديث ٣٨٨٣ . وقال : هذا حديث حسن صحيح وصححه الألبانى .

الناس ثم يقول :ياصاحبة الحجرة أتنكرين مما أقول شيئاً» (١) . ومن كثرة ما كان لديها من علم كانت تستدرك على الصحابة ، حتى أن بعض الأئمة جعل لها مؤلفاً سماه : « الإصابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة » من ذلك ما استدركته على عبد الله ابن عمر – رضى الله عنهما – فقد « بلغها أن ابن عمر يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤسهن فقالت : عجباً لابن عمر يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤسهن، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤسهن ؟ ! لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله - ﷺ - من إناء واحد ، وما أزيد أن أفرغ على رأسى ثلاث إفراغات » (٢) .

وقد بلغت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - هذه الدرجة الرفيعة بسبب شدة حرصها على طلب العلم والمعرفة . فقد كانت كثيرة الأسئلة للنبى ﷺ - فى كثير من الأمور والقضايا ، وقلَّ أن تسمع شيئا لا تعرفه إلا وتسأل عنه . فعن أبى مليكة : أن عائشة زوج النبى -ﷺ – كانت لاتسمع شيئاً لاتعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه ، وأن النبى – ﷺ – قال : « من حوسب عذب » قالت عائشة : فقلت : أو ليس يقول الله تعالى :« فَسَوْفَ يُحَاسَب حِسَاباً يَسِيراً » قالت : فقال : " إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش الحساب فقد هلك " (٣) .

ولقد كان لها دور بارز فى تعليم النساء أمور دينهن وخاصة الأمور

---

(١) الإجابة للزركشى صـ ١٢٣ .
(٢) أخرجه البخارى .
(٣) أخرجه البخارى فى العلم : باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه جـ ١ صـ ٥١ .

الخاصة بهن ، والتى يستحى الرجال من ذكرها فلقد أخرج الإمام البخارى أن السيدة عائشة - رضى الله عنها - قالت : « إن امرأة سألت النبى ﷺ - كيف تغتسل ؟ قال : " خذى فرصة - أى قطنة - من مَسك فتطهرى بها » ، قالت : كيف أتطهر بها ؟ قال : « سبحان الله ! تطهرى » فاجتذبتها إلىّ ، فقلت : تتبعى أثر الدم (١) .

وعن مكانتها العلمية فى حديث رسول الله ﷺ ، يقول الحافظ أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشى : « روينا بسندها عن بقى بن مخلد - رضي الله عنه - أن عائشة روت ألفين ومائتين حديث وعشرة أحاديث ، والذين رووا الألوف عن رســول الله ﷺ أربعة : أبو هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وأنس بن مالك وعائشة رضى الله عنهم أجمعين » (٢) .

وقال الزهرى عن علمها : « لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل » (٣) .

وقال عطاء : « كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأيا فى المعاملة » (٤) .

هذا هو فضل ومكانة أم المؤمنين عائشة فى العلم ورواية الحديث .

وأما بالنسبة لبقية أمهات المؤمنين فلقد كان لهن دور كبير فى نقل سنة النبى ﷺ ، ويكفيهن أن الله أثنى على مكانتهن العلمية فأمرهن فى كتابه العزيز أن يبلغن مايسمعن من الآيات الكريمة فقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (٥) .

(١) صحيح البخارى : كتاب الطهارة : باب ذلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل جـ ١ صـ ١١٩ حديث رقم ٣٠٨ .

(٢) الإصابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة لبدر الدين الزركشى ط ٢ سنه ١٩٧٠ صـ ٥٩ .

(٣) المصدر السابق صـ ٥٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ١٥٨ .

(٥) سورة الأحزاب آية رقم : ٣٤ .

قال الإمام القرطبى : أمر الله أزواج رسول الله - ﷺ - بأن يخبرن بما أُنْزِل إليه من القرآن فى بيوتهن وما يرين من أفعال النبى ﷺ وأقواله فيهن، حتى يبلغ ذلك إلى الناس فيعملوا بما فيه ويقتدوا به » (١) .

فأم المؤمنين أم سلمة (٢) يبلغ مسندها ثلاثمائة وسبعين حديثاً ، وهى أكثر أمهات المؤمنين رواية بعد عائشة .

ولقد روى عنها سعيد بن المسيب ، وشقيق بن سلمة ، والأسود بن يزيد ، ونافع بن جبير بن مطعم ، وعطاء بن رباح وخلق كثير .

أما أم المؤمنين أم حبيبة (٣) : فمسندها خمسة وستون حديثاً اتفق لها البخارى ومسلم على حديثين وتفرد مسلم بحديثين .

وأم المؤمنين حفصة (٤) لها فى مسند بقى بن مخلد ستون حديثاً . اتفق

---

(١) تفسير القرطبى ج٣ص١٥٣٨ .

(٢) هى أم المؤمنين هند بنت زاد الراكب أبى أمية سهيل بن سهيل بن المغيرة المخزومى ، أحد الأجواد ، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة . تزوجها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومى ، وهو أخو النبى من الرضاعة ، فهاجرت معه إلى الحبشة وولدت له سلمة ، وفى المدينة ولدت له زينب وعمر ودرة وبعد أن أتوفى أبو سلمة بسبب جرح أصابه فى أحد ، تقدم إليها النبى وخطبها ، وذلك فى جمادى الآخرة سنة أربع للهجرة ، وتوفيت سنة تسع وخمسين وقيل إحدى وستين وكانت آخر أمهات المؤمنين وفاة . انظر : الإصابة ج٤ ص٤٣٩ وأسد الغابة ج٥ ص٥٨٨ .

(٣) هى أم المؤمنين رملة بنت أبى سفيان وأمها صفية بنت أبى العاص عمة عثمان بن عفان تزوجها عبيد الله بن جحش فولدت له حبيبة التى كنيت بها ، وقد أسلمت بمكة مع زوجها ، ثم هاجرت معه إلى الحبشة فى الهجرة الثانية . وبعد أن ارتد زوجها وهلك ، خطبها رسول الله - صلى الله عليه وسلم ووكل النجاشى فى نكاحها فزوجها النجاشى ودفع صداقها أربعمائة دينار ، وأولم لمن حضر الخطبة ثم أرسلها إليه فى المدينة سنة ست للهجرة ، وقيل : سبع ، توفيت سنة أربع وأربعين للهجرة . انظر : الإصابة ج٤ ص٢٩٨ .

(٤) حفصة بنت عمر بن الخطاب من بنى عدى ، وأمها زينب بنت مظعون . كانت حفصة عند حصن بن حذافة وقد استشهد فى بدر ، ولما نقضت عدتها عرضها عمر على أبى بكر فسكت ، فعرضها على عثمان فرفض فشكا أمره إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له الرسول يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة . ولقد تزوجها بعد عائشة سنة اثنتين ، ولدت قبل البعثة بخمس سنين وتوفيت سنة إحدى وأربعين - انظر الإصابة ج٤ ص .

لها الشيخان على أربعة أحاديث وانفرد مسلم بستة أحاديث ، ائتمنتها الأمة على حفظ القرآن الكريم عندما جمع المسلمون صحائفه ، على عهد أبى بكر الصديق فحفظته حتى أسلمته إلى الخليفة عثمان بن عفان فنسخت منه المصاحف التى وزعت على الأمصار .

وأم المؤمنين ميمونة (١) بنت الحارث روت ثلاثة عشر حديثاً ، سبعة أحاديث فى الصحيحين انفرد البخارى بحديث واحد لها ومسلم بخمسة .

هذا هو دور بعض أمهات المؤمنين فى رواية أحاديث النبى - ﷺ - ونشر العلم ، وذلك فضل لهن عظيم ، هذا بخلاف بقية الصحابيات الفضليات اللاتى يحتجن إلى مجلد نفيس لبيان فضلهن فى العلم والتعلم، « فعندما رصد علماء التراجم والطبقات أسماء الأعلام والصفوة والنخبة التى تربت فى مدرسة النبوة، وتميز عطاؤها فى مختلف ميادين العلم .. رصدوا أسماء نحو ثمانية الآف من صفوة الصفوة ، فكان من بينهم أكثر من ألف من النساء، أى أكثر من واحدة من بين كل ثمانية من الصفوة والنخبة » (٢) .

ثالثاً : أثر المرأة المسلمة فى تعليم كثير من علماء الأمة :

إن تعلم النساء منذ بزوغ نور الإسلام وفى كل قرونه وحتى الآن لم يكن قليلاً ، بل كان لهن قدم راسخة فى ذلك والدليل على هذا ما يلى : -

أ - ذكر الحافظ المؤرخ المحدث الرحالة العلامة ابن عساكر أن عدد

---

(١) هى أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية كان اسمها برة فسماها رسول الله ميمونة ، أمها هند بنت عوف ابن زهير ، تزوجت رهم ابن عبد العزى القرشى العامرى ، ثم تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة سنة سبع لما اعتمر عمدة القضاء ، وماتت سنة إحدى وخمسين . انظر : الإصابة ج٤ ص٣٩٨ .

(٢) انظر : د . محمد عمارة : شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ص٢٦ .

شيوخه وأساتذته من النساء كان بضعاً وثمانين امرأة ، ولهذا كان له معجم سماه ، **معجم النسوان** . فهذا يدل على اتساع الحركه العلمية للنساء ، وكثرة النساء المعلمات .

ب ـ ذكر الحافظ الذهبى المؤرخ المحدث المحقق صاحب المؤلفات العديدة فى روايات الحديث النبوى قال : **ما علمت من النساء من اتُّهِمْت ولا من تركوها** » أى لم يتهم أحد من المحدثين الذين رووا عن النساء إحداهن بما يطعن فى روايتها ، ولم يتركوا الرواية عن واحدة منهن ، لفقدها شروط حمل الحديث وروايته . فهذا يوضح مدى مالديهن من أمانة علمية فى الرواية والنقل والتثبت والحفظ ،

جـ ـ ذكر كثير من العلماء أنهم تلقوا العلم على بعض النساء . يقول ابن خلكان إن أستاذتى **أم المؤيد « زينب بنت الشعرى »** أخذت العلم عن كبار العلماء وروته عنهم . وقد منحوها إجازة علمية فى ذلك ، وأنها منحته إجازة علمية كتبتها له .

د ـ **ويقول الإمام ابن حزم** : « لقد شاهدت النساء ، وعلمت من أسرارهن مالا يكاد يعلمه غيرى ، لأننى ربيت فى حجورهن ونشأت بين أيديهن ولم أعرف غيرهن ، ولا جالست الرجال إلا وأنا فى حد الشباب، حين تبتَّل وجهى (١) ، وهن علمننى القرآن وروينني كثيراً من الأشعار وضربننى فى الخط (٢) .

---

(١) انظر : طوق الحمامة لابن حزم مكتبة دار الحياة صـ ٧٤ .

(٢) وقد وجدت فى دول الخليج سنة حميدة ، وهى أن الفتيات يتسابقن فى الالتحاق بكليات التربية ليتخصصن فى التدريس وأنهن يعملن فى التدريس لمدارس البنات فى كل مراحلها الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعية أيضاً ، ويعملن فى التدريس للبنين حتى السنة الخامسة الابتدائى أى عند أول سن المراهقة . وينتقل البنين إلى المدارس التى يدرس فيها الرجال من بداية الصف السادس الابتدائى حتى نهاية المراحل التعليمية .

هـ - وهاهى فاطمة بنت الإمام الحافظ البرزالى : كتبت صحيح البخارى فى ثلاثة عشر مجلداً فقابله لها أبوها الإمام ، وكان يقرأ فيه على الحافظ المزى تحت القبة ، حتى صارت نسختها أصلاً معتمداً يكتب منها الناس .

و - « **وهذه ابنة سعيد بن المسيب** » لما دخل بها زوجها وكان من الذين يطلبون العلم على والدها ، فلما أصبح أخذ رداءه يريد الخروج ، فقالت له زوجه إلى أين تريد ؟ فقال : إلى مجلس سعيد أتعلم العلم فقالت له : اجلس أعلمك علم سعيد .

ز - « **وهاهى ابنة الإمام مالك بن أنس** » كان والدها الإمام مالك يقرأ عليها الموطأ ، فإذا لحن القارئ فى حرف، أو زاد أو نقص تدق ابنته الباب ، فيقول والدها للقارئ ارجع فالغلط معك، فيرجع القارئ فيجد الغلط .

وليست ابنة الإمام وحدها فى هذه المكانة بل إن « **الجارية التى كانت فى بيته** » نالت من العلم قدراً طيباً ، فقد حكى أشهب : أنه كان فى المدينة على ساكنها أفضل - الصلاة والسلام - ، أنه اشترى خضرة من جارية ، وكانوا لايبيعون الخضرة إلا بالخبز . فقال لها : إذا كان عشية حين يأتينا الخبز فائتنا نعطيك الثمن ، فقالت : ذلك لا يجوز ، فقال لها : ولم ؟ فقالت : لأنه بيع طعام بطعام غير يد بيد ، فهذا يدل على مدى تمكنها من فقه المعاملات فسأل الجارية فقيل : له إنها جارية مالك بن أنس - رحمه الله -.

إن التعليم حق كفله الإسلام للرجال وللنساء على حد سواء ، ولم يكن مباحاً للرجال ومحرماً على النساء ، ولهذا فلا يجوز لجاهل أو حاقد أن يتهم الإسلام بأنه منع المرأة من التعليم ويتعامى عما أعطاه الإسلام للمرأة وما نبغت فيه من علوم فى جميع مناحى الحياة . لقد كان شأن المرأة المسلمة عالياً فى مختلف العصور ،

ولهذا أفرد لها الإمام ابن حجر فى كتابه « الإصابة فى تمييز الصحابة »

مجلداً ضخماً أسماه « **كتاب النساء** » وهو الجزء الثامن فى ٢٩٢ صفحة من القَطْع الكبير سجل فيه أسماء وتراجم **١٥٤٥** سيدة من روايات الحديث والصحابيات ، وحوى الاصابة لابن حجر ، « **والضوء اللامع »، للسخاوى ، « وأعلام النساء» « لكحالة** » عدداً ضخماً من البارزات فى مجال الفكر والثقافة والتصوف على طول العصور بين عابدة ومحدثة ، وأدبية ، وطبيبة ، وشاعرة ، وروابة ، ومن ربات الرأى والعقل والنفوذ والسلطان .

كما كان للمرأة فى مجال الشعر دور كبير . فقد ظهرت مئات من الشواعر : **صمدة بنت زيادة ، وولادة بنت المستكفى ، وعلية بنت المهدى ، ودنانير ، وعائشة الباعونية ، ورابعة العدوية** ، وأحصى المؤرخون فى الأندلس فى عصر ملوك الطوائف **ستين ألفاً من الشاعرات** ، وكان أكثرهن فى غرناطة (١) .

وقد ذكر صاحب كتاب « نفح الطيب » أن النساء المسلمات لم تخل لهن مشاركة فى العلوم ، إلا أن المهنة التى اهتمت بها هى التعليم والطب . ولهذا شاركت المرأة المسلمة فى العلوم بنصيب وافر .

وإذا كان الإسلام قد نهى عن الخلوة بالنساء إلا أن ذلك لم يمنع المرأة المسلمة من الخروج إلى مجالس العلم والمساجد . فإذا كان صدر الإسلام قد شهد أمثال :**عائشة ، وزينب بنت جحش ، وأم سلمة ، وفاطمة ، وعكرشة بنت الأطرش ، وأم الخير بنت جريش ، والزرقاء بنت عدى ، وبكارة الهلالية ، وأروى بن عبد المطلب ، وسودة بنت عمارة ، وأم سفيان بنت خشمة ، فقد توالت أسماء البارزات تظهر مثل : عمرة الجمحية ، وخرقاء ، وعمرة ابنة أبى وهب بنت طلحة ، وسكنية بنت الحسين** ، وكن جميعاً يعقدن المجالس ، ويمضين إلى الحرب لابسات الحديد . وكان للمرأة دور كبير فى الحركة

(١) انظر : الموسوعة الإسلامية العربية – الإسلام وحركة التاريخ حـ٥ للأستاذ : أنور الجندى – طبعة دار الكتاب اللبنانى صـ ٤٦٥ .

العلمية حتى أنه كان فى الأندلس وحدها **ستون ألف حافظة للقرآن الكريم** ، وكانت كل واحدة ترفع قنديلاً فوق باب بيتها بالليل تمييزاً لها عند غيرها .

ولم يكن هذا فى الأندلس وحدها ، بل كان عالم الإسلام حافلاً بنماذج من النساء العالمات فى مختلف وحداته .

وقد شاركت المرأة المسلمة فى كل التخصصات العلمية ، ومن الطبيبات الشهيرات : **أخت المفيد بن زهر وابنتها** ، وقد نوه باقتدارهما صاحب طبقات الأطباء ، ولا سيما فى الأمراض النسائية .

أما ما وقع للمرأة المسلمة فى فترة الاستعمار الصليبى الذى التف حول العالم الإسلامى لتقطيعه وتجزيئه وتخريبه ، وترويع أهله ، فإنه لا يحسب على الإسلام ، ولا ينطبق على قيمه ومفاهيمه ، وإنما يحسب على الهجمة الغربية الشرسة ، التى دفعت المرأة أن تحتجب عن الناس ، وتعتصم بدارها ، خوفاً من الخونة والمجرمين ، ومع كل هذا فلم ينقطع ظهور مسلمات فى مجالات العلم والفقه ، حتى القرن الثالث عشر الهجرى أمثال : **قرة العين بنت صالح القزوينى المتوفاه سنة ١٢٣٠ هـ** فقد كانت محدثة وأديبة وشاعرة ، وعالمة بصيرة بالأحكام ، حافظة للقرآن ، عالمة بتفسيره وتأدبه ، عارفة بأسراره ، تعقد الحفلات والجمعيات ، وتخطب وتناظر وتحاضر وتعظ الناس عُرفت برقة لهجتها فاشرأبت لها الأعناق .

إن المرأة المسلمة تستطيع أن ترسم صورة من أعظم الصور فى نهضة العصر ما استمسكت بقيمها الإسلامية ، ولهذا أوجب عليها الإسلام أن تقوم بواجب الدعوة إلى دين الله ونشر الإسلام فى كل مكان بطرائق كثيرة سنتعرف عليها فى الفصل القادم إن - شاء الله - .

الفصل السابع
المكانة الدعوية للمرأة المسلمة
وأثرها فى تربية الأبناء وفيه عدة مباحث

المبحث الأول : أدلة وجوب الدعوة الإسلامية على النساء

المبحث الثانى : الوسائل الدعوية للمرأة المسلمة

المبحث الثالث : أثر المرأة المسلمة فى تربية الرجال

المبحث الأول
أدلة وجوب الدعوة الإسلامية على النساء

أولاً: أمر الله رسوله - ﷺ - بتبليغ الدعوة للناس ، وبين سبحانه أن المسلمين رجالاً ونساءً سواء في أداء تبليغ هذه الدعوة

يقول الدكتور/ عبد الكريم زيدان :« إن المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة لأن الأمة الإسلامية تتكون منهم ، فكل بالغ عاقل من الأمة الإسلامية - وهي المكلفة بالدعوة إلى الله - مكلف بهذا الواجب ، ذكراً كان أو أنثى ، فلا يختص العلماء فقط كما يسميهم البعض رجال الدين بأصل هذا الواجب ، لأنه واجب على الجميع ، ويزيد الأمر وضوحاً - وهو أن المكلف بالدعوة إلى الله تعالى هو كل مسلم ومسلمة - قول ربنا - جل جلاله - : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

فأتباع الرسول - ﷺ - المؤمنون به يدعون إلى الله على بصيرة أي علم ويقين ، كما كان رسولهم يدعو إلى الله على بصيرة ويقين . ومعنى ذلك أن من اللوازم الضرورية لإيمان المسلم أن يدعو إلى الله، فإذا تخلف عن الدعوة دلَّ تخلفه هذا على وجود نقص أو خلل في إيمانه يجب تداركه بالقيام بهذا الواجب ، واجب الدعوة إلى الله تعالى (٢) .

لأن الآية الكريمة دلت على عدة أمور منها ما يلي :

١ - أن الدعوة إلى الله تعالى هي سبيل النبي - ﷺ - وسبيل من اتبعوه من الناس ، « ومن اتبعني » والمتبعون هؤلاء رجال ونساء لايشك في ذلك مَنْ له مسكة من عقل . لأن كلمة ومَنْ » تشمل كل العقلاء ولا شك أن المرأة من العقلاء .

٢ - أن الذين اتبعوا النبي - ﷺ - ليسوا بالضرورة من المتخصصين في علوم الشريعة الإسلامية أو من الفقهاء الذين يتخذون الفقه والتفقه حرفة لهم، وإنما الآية تعم كل من اتبع الرسول - ﷺ - دون قيد أو تخصيص

---

(١) سورة يوسف آية رقم : ١٠٨ .

(٢) انظر أصول الدعوة صـ ٣٠٩ .

بوصف بعينه

٣ - أن المؤمنين الرجال أو النساء الذين لايتخذون الدعوة إلى الله سبيلاً لهم فى الحياة ، ليسوا مع النبى - ﷺ - فيما اتخذه من سبيل وحسبهم بذلك بعداً عن الحق ومخالفة للرسول - ﷺ - .

فقد حددت الآية الكريمة أن الدعوة إلى الله هى سبيل الرسول وسبيل من اتبعه من المؤمنين .

٤ - أن الذين يدعون إلى الله من الرجال والنساء يجب أن يكونوا على بصيرة بما يدعون إليه. ويوجهون الناس نحوه ، لأن البصيرة « هى قوة الإدراك والفطنة والعلم والخبرة » (١) . أو يكون لديهم « برهان عقلى وشرعى » (٢) فيما يدعون إليه .

والبصيرة أيضا هى المعرفة والتحقق بما يدعو إليه الداعى ، وهى مسألة تقدر بقدرها ، فالداعى إلى الله إن كان من أهل العلم والتخصص فى علوم الشريعة فتلك بصيرته التى ما يجوز له أن يتخلى عنها فى الدعوة إلى الله ،

وإن لم يكن الداعى على هذا القدر من العلم والتخصص فإن البصيرة بالنسبة له تعنى معرفته ، وتحققه بما يدعو إليه فقط ، ولا تتطلب الإحاطة الشاملة بأمور الدين كلها ، لأن ذلك شأن المتخصصين.

إن الداعى إلى الله يكفيه أن يكون على بصيرة ممايدعو إليه فمثلاً : من دعاالناس إلى تعلم الطهارة أوالصلاة أوالصوم فإن حسبه أن يكون عارفاًمتحققاًمن هذه الأمور التى يدعو إليها،لأن تلك حدود بصيرته (٣). ولا يكلف الله نفساًإلا وسعها .

٥ - أن مشاركة النساء فى الدعوة إلى الله تعالى تطبيق عملى على أن الإسلام لايفرق بين الرجل والمرأة ، وأن مكانة المرأة فى تحصيل الخير والثواب كمكانة الرجل وهذا مابينه الله - سبحانه وتعالى - فى قوله : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ

---

(١) المعجم الوسيط جـ ١ صـ ٥٩ ،

(٢) انظر : تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ٤٩٦ .

(٣) انظر د / على عبد الحليم محمود فقه المرأة المسلمة صـ ١٩٨ ، ١٩٩ .

﴿وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)﴾ (١) .

فالدعوة الإسلامية واجبة على الرجال وعلى النساء . كما قال سبحانه : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ (٢) .

ووجوب تبليغ الدعوة على الرجال والنساء بين أيضاً فى قوله سبحانه : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾ (٣) .

ومن المقرر بين علماء الإسلام أن كل خطاب وجهه الله سبحانه إلى رسوله – ﷺ – قصد به خطاب المسلمين والمسلمات كذلك ، مالم يكن حكماً خاصاً بالنبى – ﷺ – والخطاب فى الآيات السابقة موجه له – ﷺ – ولكل مسلم ومسلمة ، وملزم لهم جميعاً ، وواجب عليهم جميعاً أن يدعوا إلى الله وأن تكون دعوتهم عبر الوسائل الشرعية التى بينها القرآن الكريم والسنة النبوية والتى منها :

أ – الدعوة إلى الله بالحكمة أى إصابة الحق بالعلم .

ب – والموعظة الحسنة الملائمة لحال المدعو المشتملة على الرفق .

جـ – والجدال بالطريق التى هى أحسن التى تستهدف إحقاق الحق وإظهاره.

ثانياً: أن الرسول – ﷺ – أوضح للمسلمين – رجالاً ونساءً – أن عليهم تبليغ ما عرفوا من هذا الدين بعد وعيه وإدراك أهدافه ، وأكد لهم أن المسلم والمسلمة مطالبان بالإخلاص لله فى كل عمل ، وبمناصحة المسلمين أئمتهم وعامتهم ، وبأن يلزموا الجماعة ما دامت فى هذه الدنيا حياة للبشر .

وروى الإمام أحمد بسنده عن النبى – ﷺ – أنه قال « نضر الله امرءاً سمع

(١) سورة الأحزاب [٣٥] .

(٢) سورة التوبة [٧١] .

(٣) سورة النحل [١٢٥] .

مقالتى فوعاها وحفظها وبلغها ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعتهم ، فإن الدعوة تحيط من وراءهم » (١) .

وقد جاء هذا الحديث بروايات عديدة لتفيد تأكيد وجوب التبليغ على الرجال والنساء . فعن زيد بن ثابت قال : رسول الله - ﷺ - يقول : « نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه » (٢) .

وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « نضر الله عبداً سمع مقالتى فحفظها ووعاها وبلغها من لم يسمعها ، فرب حامل فقه له ، ورب حامل فقه إلى من أفقه منه » (٣) .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « الدال على الخير كفاعله ، والله يحب إغاثة اللهفان » (٤) .

وقال - صلى الله عليه وسلم « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شئ » . فكل هذه النصوص موجهة لكل المسلمين رجالاً ونساءً . لأن الإسلام لا يقيم فى سباق الفضائل وزناً لصفات الذكورة والأنوثة فالكل سواء فى العقائد والعبادات والأخلاق ، الكل سواء فى مجال العلم والدعوة والعمل والجد والاجتهاد .

فلا خشونة الرجل تهب له فضلاً من تقوى ، ولا نعومة المرأة تنقصها حظاً من إحسان . وفى القرآن الكريم : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا - وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (٥) .نقول هذا لمن يظنون

---

(١) مسند أحمد جـ١ صـ٤٣٧ - وصحيح الترمذى جـ٥ صـ٣٤ وسنن ابن ماجة جـ١ صـ٨٤ .

(٢) رواه الترمذى وحسنه ، والنسائى . انظر الترغيب والترهيب جـ١ صـ٦٤ .

(٣) رواه أحمد وابن ماجة والطبرانى . انظر : الترغيب والترهيب جـ١ صـ٦٥ .

(٤) رواه البزار وانظر الترغيب والترهيب ج١ ص٧٤ .

(٥) سورة النساء : ١٢٣ : ١٢٤ .

أن الدعوة واجبة على الرجال دون النساء .

ثالثاً : – قال تعالى مخاطباً رسوله – وهو خطاب لكل مسلم ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١)

قال الدكتورعلى عبدالحليم محمود فى هذه الآيةالكريمة إشارات دالة على ما يلى :–

أ – إن النبى – وكل المسلمين والمسلمات مطالبون بأن يبلغوا الناس كل ما يعرفونه مما أنزل الله على رسوله – أى القرآن والسنة – والصيغة هنا أمر « بلغ .. » . ولا فكاك من الأمر إلا بعذر شرعى مقبول ، وليس فى الآية ما يدل على أنها خاصة بالرجال دون النساء .

ب – والتبليغ هو الوصول إلى الكفاية والانتهاء إلى أقصى المقصد فى الزمان والمكان ما دامت هنا استطاعة فى المبلغ فالمكان الذى لم تصله الدعوة إلى الله مهما يكن بعيداً يجب أن تصل إليه الدعوة ما دام أحد المسلمين قادراً على الوصول إليه ، وكذلك الزمان ، بمعنى أن الدعوة إلى الله مستمرة أبدأفى آتى الزمان،لا تتوقف حتى يقوم الناس لرب العالمين (٢)

هذا هو التبليغ بمعناه الذى تدل عليه الآية الكريمة .

رابعاً : إن الله ساوى بين الرجال والنساء فى الدعوة إليه وفى الأجر والجزاء وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾ (٣) وقال

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٦٦ .

(٢)راجع المرأة المسلمةوفقه الدعوة إلى الله الدكتورعلى عبد الحليم محمودص١٩٨-٢٠١بتصرف

(٣) سورة النحل : ٩٧ .

الواحدى : « قال مقاتل : قال ابن حبان : بلغنى أن أسماء بنت عميس (١)

لما رجعت من الحبشة معها زوجها جعفر بن أبى طالب دخلت على نساء النبى - فقالت : هل نزل فينا شئ من القرآن ؟ قلن لا . فأتت النبى فقال : يا رسول الله إن النساء لفى خيبة وخسارة ، قال : «ومم ذلك » قالت لأنهن لا يذكرون فى الخير كما يذكر الرجال فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... ﴾

وقال قتادة لما ذكر الله تعالى أزواج النبى دخل نساء من المسلمات عليهن فقلن ذكرتن ولم نذكر ، ولو كان فينا خير لذكرنا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... ﴾ (٢) .

---

(١) أسلمت مع زوجها جعفر بن أبى طالب قبل دخول النبى (ﷺ) دار الأرقم وهاجرت معه إلى الحبشة ، فولدت له عبد الله ومحمداً وعوناً ، ثم هاجرت إلى المدينة سنة سبع ، وقال لها رسول الله (ﷺ) «الناس هجرة واحدة ولكم هجرتان . وبعد أن استشهد جعفر فى مؤته تزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمداً وبعد وفاته تزوجها على ابن أبى طالب فولدت له يحيى وعوناً . ولقد عاشت إلى ما بعد وفاة على . انظر الإصابة ج٤ ص٢٢٥ .

(٢) الواحدى : أسباب النزول ص٢٠٤ .

المبحث الثاني
الوسائل الدعوية للمرأة الداعية

كما بينا - سابقاً - أن تبليغ الدعوة الإسلامية واجب على الرجال والنساء ، وهذا الوجوب يحتاج إلى وسائل حسنة لتحقيقه ، ومن هذه الوسائل التى تحدث عنها العلماء القول والعمل ، والسيرة الحسنة .

الوسيلة الأولى للمرأة المسلمة : الدعوة إلى الله تعالى بالقول :

القول هو الأصل الأول فى تبليغ الدعوة إلى الله تعالى لأن الدعوة لاتتحقق إلا من خلال الإعلان عنها ، والإعلان عنها لابد وأن يكون بالقول قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) . وهذا القول يحتاج إلى عدة ضوابط ، منها ضوابط تتعلق بالقول ، وضوابط تتعلق بالقائل

١ ـ الضوابط التى تتعلق بالقول :

أ ـ أن يكون القول واضحاً بيناً لا غموض فيه ولا إبهام ، مفهوماً عند السامع لأن الغرض من الكلام إيصال المعانى المطلوبة إلى من يكلمه الداعى فيجب أن يكون الكلام واضحاً غاية الوضوح، وهذا الضابط نستنبطه من القرآن الكريم، الذى أنزله الله «مبيناً منيراً لاغامضاً ولا مغلقاً، ولاملغزاً (٢) ولا معقداً قال تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣) وقال سبحانه : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) . وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (٥) .

فجعل الله تعالى وظيفة الرسل الكرام التبليغ المبين الواضح لتقوم الحجة على المخاطبين ، قال تعالى : حاكيًا على لسان الرسل : ﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٧) ﴾ (٦) ومقياس الوضوح ليس نفس الداعى وفهمه فقد يكون

---

(١) سورة فصلت [٣٣] .
(٢) الدكتور يوسف القرضاوى كيف نتعامل مع القرآن العظيم صـ٢٧ .
(٣) سورة يوسف [٢] . (٤) سورة فصلت [٣] .
(٥) سورة إبراهيم [٤] . (٦) سورة يس [١٧] .

الكلام واضحاً بالنسبة له غامضاً بالنسبة إلى غيره . وكذلك ليس المقياس وضوح القول بذاته فقد يكون الكلام واضحاً بنفسه ولكنه غير واضح بالنسبة إليهم فالمقياس إذاً هو أن يكون واضحاً عندهم وهذا هو الذى يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ فالبيان لهم لا للداعى ولا للكلام بذاته (١) .

وفى الحديث عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله تعالى عنها - قالت :كان كلام رسول الله - ﷺ - كلاماً فصلاً أى بيناً ظاهراً يفهمه كل من يسمعه » (٢) .

ب - يجب أن يكون الكلام خالياً من الألفاظ المستحدثه أو الغامضة ، التى تحتمل حقاً وباطلاً وخطأً وصواباً .

وعلى الداعى أن يحرص على استعمال الألفاظ الشرعية المستعملة فى القرآن والسنة وعند علماء المسلمين لأن هذه الألفاظ تكون محددة المعنى واضحة المفهوم خالية من أى معنى باطل قد يعلق فى ذهن المدعو . وقد أشار القرآن الكريم إلى ضرورة هذا النهج فى الكلام قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) ﴾ (٣) .لأن فى كلمة « راعنا » فى لسان اليهود معناً باطلاً كانوا يقصدونه عند مخاطبتهم رسول الله - ﷺ - بهذه الكلمة ، فأمر الله المسلمين أن يتركوها ويستعملوا كلمة انظرنا بدلاً منها ... وإذا اضطر الداعى إلى استعمال بعض الألفاظ المستحدثة فعليه أن يبين مقصوده منها حتى لايتبادر إلى الأذهان المعانى الباطلة التى تحملها هذه الألفاظ (٤) .

ولا أنسى . عندما كنت أعمل فى إحدى دول الخليج فوجدت أن بعض الكلمات العادية هنا أو التى تستعمل دلالة على حرفة شريفة ، كانت تعد هناك كلمة مستقبحة تخدش الحياء .

---

(١) راجع : د : عبد الكريم زيدان : أصول الدعوة صـ ٣٧٠ .

(٢) رياض الصالحين صـ ٢٩٦ . (٣) سورة البقرة آية رقم :١٠٤ .

(٤) راجع : أصول الدعوة للدكتور : عبد الكريم زيدان صـ ٤٧١ : ٤٧٢ .

٢ - الضوابط العامة للقائل :-

أ - على الداعى أن يتأنى فى الكلام فلا يسرع بل يتمهل حتى يستوعب السامع كلامه ويفهمه جاء فى الحديث الذى رواه البخارى : «أن النبى - ﷺ - «كان إذا تكلم كلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه » (١) وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبى - ﷺ - « أنه كان إذا سلم سلم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً» (٢) وعن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قالت : « كان النبى يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس إليه » (٣) .

ب - على الداعى أن يبتعد عن التفاصح والتعاظم والتكلف فى نطقه فقد قال - ﷺ - « هلك المتنطعون قالها ثلاثاً» والتنطع فى الكلام التفاصح فيه والتعمق .

جـ - أن يبتعد عن روح الاستعلاء على المدعو واحتقاره وتحديه وإظهار فضله عليه ، وإنما عليه أن يكلمه بروح الناصح الشفيق المخلص المتواضع الذى يدل غيره على ما ينفعه .

د - على الداعى أن يتلطف فى القول فيستعمل فى كلامه وخطابه ما يثير رغبة المدعو إلى السماع ... وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التلطف المفيد من ذلك قوله تعالى عن إبراهيم - عليه السلام - :﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ (٤)

وفى السنة أن النبى - ﷺ - ذهب إلى جماعة يدعوهم يقال لهم بنو عبد الله فكان يقول لهم «يابنى عبد الله إن الله - عز وجل - قد أحسن اسم أبيكم» .

هـ - على الداعى أن يستثير فى خطابه همم المدعوين بما يذكرهم به من طيب أصلهم وكرم عائلهم وشرف نسبهم، وأن ذلك لا يتفق وجريهم مع العصاة وانغماسهم فى الشهوات، وأن اللائق بهم أن يكونوا مع الأخيار المطيعين لله وهذا أمر محمود بشرط ألا يسرف فيه، وأن يكون قصده الحمل على الطاعة لا المداهنة والنفاق .

---

(١) رياض الصالحين صـ٢٩٦ (٢) صحيح البخارى : كتاب العلم حديث رقم ٩٤ جـ١ صـ١٨٨
(٣) جامع الترمذى حديث رقم ٣٣٨٢ جـ١٠ صـ٨٥ . (٤) سورة مريم [٤٢] .

و- على الداعى أن يسوق المدعوين لقبول الحق وأن يعينهم على هذا القبول ، وأن يكون أمره كالطبيب الذى يعالج المريض من علته ، ولا يخفى عنهم علة مرضهم وإنما يصارحهم بالمرض وضرورة العلاج .

وهذه الضوابط يجب توافرها سواء كان الداعى رجلاً أو امرأة لأنها أمور تيسر السبيل وتفتح الطريق أمام الداعى ليُقْبل عند المدعوين .

٣ ـ أنواع القول (١) :-

الكلمة تشمل على مفردات عديدة فى مجال التبليغ منها:الخطبة والدرس ، والمحاضرة ، والمناقشه والجدال والكتابة ، والتقرير ، والتعليق على حدث وغير ذلك من مفردات دعوية وسنلقى الضوء على بعضها على النحو الآتى .

١ـ **الخطبة :** الخطبة وسيلة من وسائل تبليغ الدعوة وهى تكون للرجل والمرأة ، فالخطبة فى جمع من النساء فى مسجد أو ناد أو لقاء فى إحدى المناسبات من داعية متمكنة ، وسيلة جيدة فى تحقيق أهداف الدعوة إلى الله ، ومن السهل على الداعية المسلمة أن تخاطب النساء فى داخل المساجد فى الفترات التى لايوجد فيها مصلون ، وكذلك تستطيع أن تستفيد من المسجد فى إلقاء درس أو محاضرة ، أو مناظرة ولا حرج عليها فى ذلك ما دامت تخاطب النساء ، كما تستطيع أن تخاطب الجميع من خلال وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة و المرئية .

ومن المفيد أن نبين ما يشترط للخطبة الناجحة وذلك فى النقاط الآتية :

١ - أن يكون موضوع الخطبة مما له علاقة بأحوال الناس مع ربط ذلك بمعانى العقيدة الإنسانية ، كأن يكون الذين يخطب فيهم ممن يكثر فيهم العصبية القبلية فيحدثهم عن أضرارها وحكم الإسلام فيها ، وأن المؤمن لاينصر قريبه إلا بالحق ، وأن على المسلم أن يرضى بما قضى به الإسلام.

٢ - على الخطيب أن يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية لما لها من تأثير فى نفوس المخاطبين وسير الرسل الكرام ـ صلوات الله وسلامه

---

(١) انظر أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان ص٤٧٤ .

عليهم - والصحابة الكرام ، فإن ذكر التطبيق يجعل معنى الآية والحديث مشهوداً محسوساً .

٣ - أن يستعين الخطيب بالقصص الواردة ولا بأس من تصوير المعانى بشكل قصصى وضرب الأمثال كما فى الحديث « مثل الذى يذكر ربه والذى لايذكر ربه مثل الحى والميت » (١) .

٤ - ألا يطيل فى الخطبة إطالة مملة وإنما عليه أن يتوسط وخير الأمور الوسط .

٥ - على الخطيب أن لا يكثر من الخطب مخافة السآمة .

يدل على ذلك أن أبا وائل شفيق بن سلمة قال كان ابن مسعود - رضي الله عنه - يذكرنا فى كل خميس مرة فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن وددت أنك ذكرتنا كل يوم . فقال : أما إنى يمنعنى من ذلك أن أملكم ، وإنى أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله - ﷺ - يتخولنا بها مخافة السآمة علينا (٢) .

٦ - على الخطيب أن يبدأ خطبته بما يذكر الناس بربهم وبنعمه وفضله وبعقابه ونقمته وعذابه ، ولا شئ عليه أن يكرر أو أن يعيد بعض ما قاله إذا كانت الحاجة تدعو إليه فقد كان هذا من هديه - ﷺ - .

٧ - على الخطيب أن يبدأ خطبته بما يجلب انتباه الناس إليه من حادثة صادقة أو قصة قرأها أو خاطر انقدح فى نفسه .

٨ - على الخطيب أن يحذر من ذكر الآيات والأحاديث التى قد يساء فهمها دون شرح وبيان لها مثل قوله - ﷺ - « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة » .

فعلى الخطيب أن يشرح الحديث حتى يفهمه السامعون الفهم الصحيح .

ثانياً : الدرس :

الدرس فى الغالب يكون شرحاً لآية من القرآن الكريم أو لحديث من أحاديث النبى - ﷺ - أو بياناً لمسألة أو مسائل من الفقه ، والغالب فى الدرس أن يحضره عدد قليل من الناس جاءوا قاصدين سماع الدرس مما

---

(١) صحيح الإمام البخارى حديث رقم ٦٤٠٧ جـ٨ صـ٢٠٨ .

(٢) رياض الصالحين صـ ٢٩٦ .

يعطى فرصة طيبة للداعى أن يتعرف عليهم عن كثب ويوثق علاقته بهم .
ويشترط للداعى فى درسه أن يحضر مادته مسبقاً تحضيراً طيباً ، وأن لا يستطرد كثيراً وهو يلقى موضوعه لأن ذلك يبعد السامع . وفى تفسيره للقرآن يستحسن أن يكون بالقرآن نفسه فإن لم يجد فى القرآن فيتحول إلى السنة فإن لم يجد ففى الثابت الصحيح من أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين ، ويفعل ذلك أيضاً فى تفسيره للحديث النبوى .

ثالثاً : المحاضرة : (١) -

المحاضرة من أنواع القول وأسلوب من أساليب الدعوة إلى الله ، والغالب فيها أنها تعالج موضوعاً معيناً باستقصاء وإحاطة ، وذكر الأدلة والبراهين وذكر ماقيل حول الموضوع، والصواب من هذه الأقوال. ويجب على المحاضر أن يكون دقيقاً فى كلامه لايلقى القول جزافاً، وأن يشرك السامعين معه فى الوصول إلى ما يريده من خلال توضيح مقدمات النتيجة، وأن يتجنب المسائل الدقيقة والمشتبهة والتى تقبل الأخذ والرد ، وألا يكون جافاً بل يجب عليه أن يضفى على محاضرته شيئاً من التحريك العاطفى الوجدانى بما يذكره من حقائق الإسلام ومعانى العقيدة الإسلامية

رابعاً : المناقشة والجدل :-

المناقشة والجدل يكونان بين شخصين أو أكثر يعرض كل جانب وجهة نظره فيما يراه ويعتقده من أمور . والداعى عندما يدعو غيره إلى الله قد لا يقبل المدعو دعوته فيقبل على جدال الداعى ومناقشته . وقد ذكر القرآن الكريم بعض صور المناقشات التى جرت بين الرسل الكرام وبين أقوامهم من ذلك قوله تعالى :﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن

---

(١) المصدر السابق صـ ٤٧٧ .

جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(١).

فالمدعو فى مناقشته وجداله مع الداعى قد يصل إلى حد اتهام الداعى بالضلال المبين، فلا يعجب الداعى من ضلال المدعو ولا يخرجه عن هدوئه واتزانه وشفقته عليه كما هو واضح من جواب – نوح عليه السلام – .

وعلى الداعى أن يلاحظ ذلك دائماً وأن يكون كلامه فى الجدل بالحسنى وبالكلام الطيب والأدب الجم والتواضع والهدوء وعدم رفع الصوت فإذا أصر المدعو على باطله ولج فى عناده وأصبح الكلام معه عبثاً فليقطع الداعى الجدل معه. ويتيقن الداعى بأنه هو المستفيد . لأن الجدل فى حد ذاته أمر جبلت عليه النفوس البشرية .

خصائص الجدل فى القرآن :-

لأسلوب الجدل فى القرآن خصائص ومزايا عديدة، ذلك لأن القرآن الكريم لايستخدم من الجدل إلا أحسنه ومن التعبير البيانى إلا أعذبه وأوضحه ومن خصائصه ما يلى :-

١ - أن الجدل القرآنى يستهدف الخصائص فى ذاتها ويقيم عليها البراهين والحجج الدالة على الأمور المعنية كالأمور الغيبية كما هو الحال فى قصص الأنبياء والمرسلين كما فى قصة نوح وإبراهيم وموسى – عليهم السلام – .

٢ - يعتمد الجدل فى القرآن الكريم على العلم والمعرفة فلا يصح الجدال بغير علم ، كما أن الدعوة للحق يجب أن تكون بعلم وقد ذم الله من يجادل بغير علم فقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٩:٦٣ .

شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ (١) .

كما أنكر على الذين يجادلون بغير علم فقال : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ (٢).

٣ - أن الأصل فى الجدل القرآنى أن يكون بالتى هى أحسن فإذا استخدم فى جداله القسوة وتأنيب الخصم فهذا يرجع إلى أمور ذاتية تتعلق بالخصم المجادل لكونه لم يصغ للحق ولم يستخدم عقله فيما يلقى إليه من بيان مؤيد بالبراهين ولعل ذلك يفهم من الاستثناء فى قوله جل شأنه :﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ (٣) .

٤ - يمكن للجدل القرآنى أن يقنع الناس جميعاً إذا احتكموا إليه على اختلاف أصنافهم وتباين أفهامهم وتفاوت مداركهم لأن خاصية الجدل فى القرآن إقامة الحجة على الخصم وإفحامه ، ولا يترك للمجادل حجة يتمسك بها ، أو شبهة يستدل بها على باطله. قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

---

(١) سورة الحج [٣] .
(٢) سورة آل عمران آية رقم ٦٥ - ٦٦ .
(٣) سورة العنكبوت ٤٦ .

دعـوة الناس إلى الله - تعـالى - من خـلال التطبـيق والعـمل أنجح من دعوتهم بالقول ولقد نعى الله - تبارك وتعالى - على من يقولون ولا يعملون قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

يقول صاحب تفسير تيسير الكريم الرحمن : « أى لما تقولون الخير وتحثون عليه وربما تمدحتم به وأنتم لا تعقلون ، وتنهون عن الشر ، وربما نزهتم أنفسكم عنه ، وأنتم متلوثون متصفون به .

فهل تليق هذه الحالة بالمؤمنين ؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد مالا يفعل ؟ ولهذا ينبغى للآمر بالخير أن يكون أول الناس مبادرة إليه، والناهى عن الشر ، أن يكون أبعد الناس عنه (٢) ، قال تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .

وهذه الوسيلة المراد منها أن يمارس الداعية إلى الله نشاطاً عملياً من أجل هذه الدعوة ويمكن حصر هذا المجال بالنسبة للرجال فى أمور ثلاثة .

الأمر الأول : الأمر بالمعروف ، والثانى : النهى عن المنكر ، والثالث ، إقامة المشروعات النافعة للناس .

ممارسة المسلمة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

المسلم مطالب بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال سبحانه :

---

(١) سورة الصف آية رقم ٢ - ٣ .

(٢) انظر تفسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى جـ٢ صـ١١٩٦ .

(٣) سورة البقرة [٤٤] .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ أى أن المؤمنين والمؤمنات ينصرو بعضهم بعضاً على الأمر بالمعروف وعلى النهى عن المنكر ﴾ . قال - ﷺ - فى الحديث الذى رواه ابن مسعود - رضي الله عنه - : « والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ، ولتزأرنه على الحق أزراً ، ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم » (٢) .

شروط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للمرأة المسلمة

١ - أن تكون مطبقة لما تأمر به وما يُنهى عنه .

٢ - أن تكون من أهل العلم بما تأمر به وما تنهى عنه ، وليس شرطاً أن تكون من المتخصصات فى علوم الشريعة .

٣ - أن تكون من أهل القدرة على ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - عملياً - أى تكون ذات بيان وذات تأثير فى السامعات ، ولديها من الظروف المواتية وقتاً وجهداً ما يمكنها من هذه الممارسة .

٤ - أن تكون ممارستها للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بين النساء أو من خلال الوسائل الأخرى كالإذاعة والتلفزيون أو الكتابة ، فليس لها أن تغشى مجالس الرجال وحدها لتأمرهم وتنهاهم إلا فى حالة الضرورة .

٥ - أن تكون ممارستها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكرحسبة لوجه الله تعالى ، ومعنى ذلك أن تتحمل ما قد تتعرض له من توبيخ غيرها من النساء لها عند أمرهن ونهيهن .

---

(١) سورة التوبة [٧١] .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

كيفية ممارسة المرأة المسلمة الأمر بالمعروف بصورة عملية :

تستطيع الداعية إلى الله تعالى أن تمارس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بصورة عملية من خلال المجالات الآتية :

المجال الأول : فى بيتها ومن فيه :

تستطيع الداعية أن تحقق أهداف الدعوة إلى الله على مستوى البيت الذى تسكن فيه من خلال الأمور الآتية :

١ - أن تعطى من نفسها القدوة لأبنائها على عمل الخير والالتزام بأخلاق الإسلام وآدابه ، فأيسر شئ على الأبناء أن يقلدوا ما فى أمهاتهم من صفات حسنة أو سيئة ، فعليها أن تكون حريصة على نظام البيت ونظافته والهدوء لأن الأم الصاخبة أو الصارخة لأوهن الأسباب أو لأهم الأسباب ، تعطى لأبنائها نتائج عكسية ، كما أن الأم المتعالية الجوفاء ، أو المنطوية المنعزلة سوف تترك هذه الصفات فى أبنائها شاء ت أم أبت .

٢ - أن تحرص الأم الحرص كله منذ أن يعى أبناؤها لما يستمعون إليه ، فتحكى لهم ماتعودت الأمهات الفقيهات فى أن تقصه على الأولاد من قصص سهل ميسور هادف لغرس القيم والفضائل والأخلاق ومن أفضل القصص فى هذا قصص القرآن الكريم ففيه قصص عن الحيوانات والطيور وعالم النمل وعالم النحل وعالم النبات كما هو ملئ بقصص الأنبياء والمرسلين، وأن تبتعد عن القصص الخرافى والمخيف والمعيب ، فإن هذا القصص لايفسح المجال للإبداع وجذبه -كما يقولون - وإنمايفعل فى نفس الطفل عكس ذلك .

كما عليها أن تنمى فيهم القصص العلمى الذى نشأ فى البيئة الإسلامية وهو كثير لأن ذلك يدفع الطفل إلى حب التنافس والابتكار .

٣ - على الأم أن تحرص خاصة عندما يشب أبناؤها ويصلون إلى سن السابعة بأن تحدثهم عن دور المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى ، وعن أول مسجد وضع على الأرض ثم المسجد الثانى وفضله ثم مسجد الرسول - ﷺ - وأثره - وعن الأمور التى كانت تعقد به ، وأن تحرص على دفعهم إلى أقرب مسجد لديها وتحثهم على مايجب أن يصحب الصلاة من خشوع، وما يلزم من آداب فى أداء الصلاة حتى لايشوش على غيره أو يبطل صلاته وأن تعلمهم حب قراءة القرآن فى المسجد وحفظه واستماعه وفهم الدروس التى تلقى فى المسجد من تفسير للقرآن أو شرح للسنة النبوية أو السيرة المطهرة

٤ - على الأم الداعية أن يكون فى بيتها مكتبة إسلامية ملائمة لأعمار أبنائها ، وأن يكون فيها معظم المراجع الإسلامية والعلمية والتربوية ، وأن تختارها بعناية فائقة وأن تشجعهم على كيفية القراءة والفهم والتحصيل وأن تدفعهم إلى كتابة مايحبون وما يحسنون .

كما تستطيع الأم الداعية أن تقوم بعملية التنويع فى تحصيل أبنائها للعلوم من خلال عرض بعض الأشرطة المسجلة والتى تحتوى على أمور هادفة

٥ - على الداعية المسلمة أن تنظم وقت أبنائها فى النوم واليقظة ، بحيث لا يسهرون فيضرون بذلك أبدانهم أو ينامون فيصابون بداء الكسل والهوان والانهزامية وأفضل أوقات النوم ما كان بعد صلاة العشاء إلى وقت صلاة الفجر .

٦ - على الأم الداعية أن تحرص على ألا تقع عين أبنائها فى البيت على شئ يغضب الله أو يخالف ما أمر به الإسلام من تربية للكلاب أو القطط أو غير ذلك كالصور العارية والتماثيل المنحوتة .

كما يجب عليها أن تربى أولادها على تداول اللغة العربية والابتعاد عن اللغات الأجنبية وهم فى بداية عمرهم ولا تقع فيما تقع فيه الأخريات من دعاة التغريب والتبعية فى مناداة الطفل لأبية وأمه وأخيه وأخته وعمه وعمته وخاله وخالته بكلمات أجنبية لأن من الواجب الدينى والوطنى والأخلاقى أن ينشأ الطفل معتزاً بكيانه وأمته وشخصيته حتى ينتمى إلى ثقافته وهويته .

٧ ـ يجب على الأم الداعية أن تكون مصادر ثقافة أبنائها نقية بعيدة عن الترهات والأباطيل أو المغالطات ، وذلك بأن تجعل من القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الرسول ـ ﷺ ـ أساساً لمصادر هذه الثقافة .

٨ ـ على الأم الداعية أن تجيب على أسئلة أبنائها بإجابات صحيحة ، ولا تترك سؤالاً دون إجابة بشرط أن تكون الإجابة داخل إطار الأدب الإسلامى .

٩ ـ على الأم الداعية أن تنتقى وتختار أصدقاء أبنائها وصديقات بناتها وفق معايير الإسلام وأخلاقه وآدابه ، وأن تتابع هذه الصداقات وتحيطها بالرعاية والاهتمام (١) لأن صديق السوء يعدى كما يعدى الصحيح الأجرب والمرءُ على دين خليله فلينظر الإنسان من يخالل قال ـ ﷺ ـ مثل الجليس الصالح وجليس السوء كمثل ، حامل المسك ونافخ الكبير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ونافخ الكبير إما أن يحرق ثيابك أو تشم منه رائحة خبيثة » .

(١) راجع : المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله للدكتور على عبد الحليم محمود صـ ٢٧١ ، ٢٧٢ .

المجال الثانى : مع أقربائها :

تستطيع المرأة المسلمة الداعية أن تمارس الدعوة التطبيقية مع قريباتها وأهل حيها من خلال ما يلى : ـ

١ ـ تستطيع أن تنشئ لهن علاقات طيبة تقوم على المودة والمحبة والمجاملة ، فهذه الأمور تجعل لها قبول وحضور لدى الأخريات ، وهى أمور حث عليها الإسلام قال ـ ﷺ ـ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ـ كما قال أيضاً: «مثل المؤمنين فى توادهم وترحمهم كمثل الجسد الواحد...»

٢ ـ على الداعية إلى الله – تعالى – أن تختار الموضوعات والقضايا والمسائل والمشكلات التى تصلح أن تكون موضوعاً للحوار والمناقشة والتى تخدم الدعوة الإسلامية بشرط أن تبتعد عن الموضوعات التى تثير الجدل وتأتى بالخلاف خاصة إذا كانت من الفرعيات (١) .

٣ ـ على الداعية أن تعلم صديقاتها بواجب الدعوة عليهن وأن تذكرهن بواجبهن نحو أزواجهن وبيوتهن وأبنائهن وأخواتهن ، وأن توضح لهن ما وضعه الإسلام لهذه العلاقات من نظم وآداب .

٤ ـ على الداعية أن تعقد صداقات مع غيرها من الداعيات إلى الله الملتزمات بمنهج الإسلام فى حياتهن، وأن تكتسب منهن مالديهن من خبرة ، أو أن تعطى لهن مالديها من خبرة وحنكة .

٥ ـ على الداعية المسلمة أن تحبب إلى قريباتها وصديقاتها وجاراتها أداء بعض فروض الصلوات فى المسجد حتى يتعودن على الذهاب إليه ، وإن استطاعت أن تجعل لهن بعض الدروس فهذا أفضل .

٦ ـ على الداعية أن تحبب قريباتها وصديقاتها فى بذل المال بإقامة أعمال البر والخير فقد كان من هديه ـ ﷺ ـ أن يذهب إلى النساء ويدعوهن إلى الصدقات وبذل الأموال .

---

(١) المصدر السابق صـ ٢٧٦ بتصرف .

المبحث الثالث
أثر المرأة المسلمة فى تربية الرجال

لقد كان للمرأة المسلمة فى جميع عصور الإسلام فضل لايدانيه فضل فى تكوين الرجال والأبطال والعلماء والدعاة إلى الله ، وما العظماء إلا أبناء جليلات القدر رفيعات المنزلة كريمات المنبت ، فهى التى ربت الأنبياء فكليم الله موسى - عليه السلام - تربى فى حجر النساء بين أمه وآسية - عليهما السلام - وعيسى ، عليه السلام - تربى فى حضانة أمه ، ورسول الله - ﷺ - عاش فى حضانة أمه ست سنوات ، ثم مع أم أيمن .

إن المرأة فى الإسلام ليست بالشئ القليل القدر، إن المرأة هى التى تلد الدعاة والعلماء والمجاهدين ، وهى التى تربيهم لأنها مهيأة لهذا بكل تكوينها العضوى والنفسى، مهيأة لإعدادهم للحياة ، وللجهاد . وهى فى هذا الحقل أقدر وأنفع . هى أقدر لأن كل خلية فى تكوينها معدة من الناحية العضوية والنفسية . وهذه بعض النماذج ...

١- السيدة أم سليم : هى أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر من بنى النجار الأنصارية الخزرجية ، وتسمى الرميصاء وسهلة وأنيقة ورمية ، وأمها مليكة بنت مالك بن عدى .

زواجها : تزوجها مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد من بنى النجار فولدت له أنس بن مالك والبراء بن مالك ثم تزوجها أبو طلحة زيد بن سهل فولدت له عبد الله وأبا عمير (١) .

تربيتها لأنس بن مالك :

ذكر ابن سعد بسنده عن ابن إسحاق عن عبد الله عن جدته أم سليم أنها لما آمنت برســول الله - ﷺ - قالت : « فجاء أبو أنس وكان غائباً فقال أصبوت قالت : ما صبوت ولكنى آمنت بهذا الرجل، قال : فجعلت تلقن أنساً وتشير إليه قل : أشهد أن لا إله إلا الله ... ثم قل أشهد أن محمداً رسول الله - قال : ففعل فيقول لها أبوه :لاتفسدى على ابنى ، فتقول :إنى لا أفسده

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٨ صـ ٤٢٥ .

- وإنما أصلحه قال : فخرج مالك أبو أنس أى من بيته فلقيه عدو فقتله ، فلما بلغها قتله قالت : لا جرم لا أفطم أنساً حتى يدع الثدى حباً ، ولا أتزوج حتى يأمرنى أنس فيقول قد قضت الذى عليها فترك الثدى (١) .

وذكر بسنده عن عبد الله بن عبد الله أنه قال خطب أبو طلحة أم سليم بنت ملحان ، وكانت أم سليم تقول لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس فى المجالس ، فيقول جزى الله أمى عنى خيراً ، لقد أحسنت ولايتى » (٢) .

والذى نلاحظه فى الروايتين أن السيدة أم سليم تعهدت ابنها أنساً وربته تربية إسلامية منذ طفولته الأولى ، وهو فى مرحلة الرضاعة تقول له : أنشودة الحياة والتى لأجلها خلقت جميع المخلوقات ، وبها أرسل الله رسله وأنزل كتبه ، وشرع شرائعه ، ولأجلها تنصب الموازين وتوضع الدواوين وبها تقاسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار ، والأبرار والفجار فهى الحق الذى خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب وهى حق الله على جميع العباد فهى كلمة الإسلام قل : أشهد أن لا إله إلا الله . ثم قل : أشهد أن محمداً رسول الله ، وأن زوجها لما اعترضها لم ترضخ لاعتراضه وإنما بينت له أن فى هذا إصلاح لابنها .

ولم يقف دورها عند هذا الحد وإنما نجد من أمرها عجباً عجاباً ، لقد أوقفت حياته لله ، وجعلته بجوار رسول الله - ﷺ - يتربى فى مدرسته الجامعة لكل خير ، ويتعلم من أدبه وخلقه وهديه لذلك نراها تأخذه وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره وتذهب به إلى رسول الله - ﷺ - وتقول : يا رسول الله .. هذا أنس غلامك يخدمك فادع الله له » فأخذه - ﷺ - وقبله بين عينيه ودعا له فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له وأدخله الجنة » .

وكانت تنتهز الفرصة لدعوة النبى - ﷺ - لأنس ، لأنها تعلم فضل دعائه - ﷺ - يقول أنس متحدثاً بهذا الفضل : « إن النبى - ﷺ - دخل على أم سليم ، فأتته بتمر وسمن ، فقال أعيدوا سمنكم فى سقائكم ،

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٨ صـ٤٢٥ .
(٢) المصدر السابق جـ١ صـ ٥٤٩ .

وتمركم فى وعائكم فإنى صائم ، ثم قام فى ناحية البيت فصلى صلاة غير مكتوبة ، فدعا لأم سليم ولأهلها ، فقالت أم سليم : يارسول الله إنى لى خويصة . قال : ما هى قالت : خويدمك أنس – أى طلبت منه دعوة خاصة لأنس – فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لى به . ثم قال : اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له . فإنى من أكثر الأنصار مالاً » (١) .

إن أم سليم فعلت هذا لتبنى ابنها وتُكَوِّن عقله على أفضل ما يكون البناء والتكوين ، حتى صار قناة من قنوات العلم ، يروى الله بها غلة الظماء بعد أن عاش فى مدرسة النبوة عشر سنوات بها .

كان من كبار صحابة النبى ومن علمائهم روى لرسول الله – ﷺ – ٢٢٨٦ حديثاً .

والإبن الثانى لها : هو البراء بن مالك الذى كان شعاره الله والجنة .. من كان يراه وهو يقاتل فى سبيل الله ، كان يرى عجباً يفوق العجب .. لم يكن جل اهتمامه النصر وحسب .. إنما كان يبحث عن الشهادة لأنه تربى على حبها وعلى فضلها من أجل هذا لم يتخلف عن مشهد ولا غزوة ، كان عمر بن الخطاب يوصى ألا يكون قائداً قط ، لأن جسارته وإقدامه وبحثه عن الموت ، كل هذا يجعل قيادته لغيره من المقاتلين مخاطره تشبه الهلاك .

ما فعله يوم اليمامة وجيوش الإسلام تحت إمرأة خالد يجعله رجلاً بألف رجل ، لما رأى خالد بن الوليد شيئاً من الجزع عند المسلمين ناداه القائد خالد : تكلم يا براء فصاح البراء بكلمات تناهت فى الجزالة والدَّلالة ، والقوة قائلاً :

« يا أهل المدينة .. لا مدينة لكم اليوم إنما هو الله والجنة .. » (٢) .

والإبن الثالث هو : عبدالله بن أبى طلحة . ولكن قبل الحديث عن عبدالله نتحدث عن موقفها من أبيه حينما طلبها للزواج فقالت : « يا أبا طلحة ، ألست تعلم أن إلاهك الذى تعبد إنما هو شجرة تنبت من الأرض ، ؟ وإنما نجرها

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده جـ٣ صـ ١٠٨ .

(٢) انظر خالد محمد خالد رجال حول الرسول (ﷺ) ٥٠ ، ٥٣ .

حبشي بني فلان ؟ قال : بلى قالت : أما تستحي أن تسجد لخشبة تنبت من الأرض ، نجرها حبشي بني فلان ؟ ثم قالت : له هل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأزوجك نفسي ؟ لا أريد منك صداقاً غيره؟ قال لها : دعيني أنظر . قالت فذهب فنظر ، ثم جاء فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قالت يا أنس قم فزوج أبا طلحة » (١) .

هكذا كانت هذه الزوجة العاقلة الرشيدة التي تنظر بعين البصيرة فقد زهدت في متاعها المادي ورضيت بصداقها الذي لا ينقطع مدده ، ولا خيره إلى يوم القيامة وإلى ما شاء الله . فقد قال - رسول الله - لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم (٢) .

فلما تزوجته وأنجبت منه ثم أصيب ولدها بمرض فمات فماذا فعلت ؟ نسمع هذا من ابنها الكبير يقول أنس : « ثقل ابن لأم سليم من أبي طلحة فخرج أبو طلحة إلى المسجد ، فتوفي الغلام فهيأت أم سليم أمره وقالت : لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه ، فرجع من المسجد وقد يسرت له عشاءه كما تفعل ، فقال :ما فعل الغلام أو الصبي ، قالت : خير ما كان ، فقربت له عشاءه فتعشى هو وأصحابه الذين معه ، ثم قامت إلى ما تقوم له المرأة فأصاب من أهله ، فلما كان من آخر الليل قالت : يا أبا طلحة ألم تر إلى آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها فلما طُلِبَتْ منهم شقّ عليهم ، قال : ما أنصفوا قالت : فإن ابنك فلان كان عارية من الله فقبضه إليه ، قال : فاسترجع وحمد الله ، فلما أصبح غدا على رسول الله فلما رآه قال : « بارك الله لكما في ليلتكما » ، فحملت بعبد الله ابن أبي طلحة فولدته ليلاً فكرهت أن تحنكه هي حتى يحنكه رسول الله - (ﷺ) فأرسلت به مع أنس ، وأخذت تمرات عجوة فانتهيت به إلى رسول الله وهو يهنأ أباعد له (٣) فقلت : يا رسول الله ولدت أم سليم الليلة فكرهت أن تحنكه حتى تحنكه أنت قال :

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى جـ٨ صـ٤٢٧ .

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة جـ٤ صـ١٨٧٢ حديث رقم ٢٤٠٦ .

(٣) يهنأ أبا عدله : أي يطليها بالقطران ، وأبا عر جمع بعير .

أمعك شئ ؟ ، قلت : تمرات عجوة ، فأخذ بعضها فمضغها ثم جمعه بريقه فأوجزه إياه فلمظ بها الصبى .. قال فقلت : سم يا رسول الله . قال : هو عبد الله (١) .

وفى رواية أخرى عند عيابه بن رفاعة قال : « فلقد رأيت لذلك الغلام سبعة بنين كلهم قد ختم القرآن » .

هكذا كانت هذه الأم التى أنجبت خير الأبناء فى كل مجالات الحياة ، وإذا كان فى عصرنا هذا يعيب الرجل أن يقال عنه أنه تربية أمه فقد كان ذلك فى عصور الإسلام الزاهية وأيامه الخالية مهبط الشرف الحر والمجد الرفيع والعز المكين .

٢ - السيدة : بركة بنت محصن

قد تتعرض الإرادة البشرية للاهتزاز وتنحرف عن سواء السبيل، وتنتكس فطرة الإنسان عن جادة الحق، والإسلام يعترف بأن النفس البشرية ملهمة بالفجور والتقوى : « قال تعالى : « وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا » (٢) ومن المسلمات الواضحة فى منهج الإسلام أن أسلوب الوقاية من العلل والانحرافات يبدأ منذ أول لحظة لوجود الإنسان بعد الولادة هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية أن البناء الاجتماعى فى الإسلام يقوم على الشمول والتكامل والتوازن فى نظرته إلى الإنسان ، مرتبطاً بما حوله ومن حوله ، لأن كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما جاء هذا فى الحديث الشريف ومن ثم كان دور الأم فى تنشأة الأبناء من أهم الأدوار على الإطلاق . هذا ما سوف نجده عند هذه الأم الفاضلة جليلة القدر عظيمة الشرف السيدة أم أيمن فهى :

نسبها : بركة بنت محصن بن ثعلبة . ويقال لها أم الظباء ، كانت وصيفة عند عبد المطلب بعد أن وقعت أسيرة فى السبى الذى كان من جيش إبرهة صاحب الفيل ... حضنت النبى (ﷺ) حتى كبر ثم أعتقها (ﷺ) حين

---

(١) انظر : صحيح مسلم جـ١٤ حديث رقم ٢١٤٤ ، وحديث رقم ٢٤٥٥ واللفظ لغيره .

(٢) سورة الشمس آية رقم : ٧- ٨

تزوج خديجة - رضى الله عنها - ، وأكرمها وأحسن معاملتها ، فكان يقول لها حين يناديها : يا أمَّه وكان يقول عنها : « أم أيمن أمى بعد أمى» . وكان إذا نظر اليها فرح وقال : « هذه بقية أهل بيتى » (١) .

زواجها : زوجها النبى - ﷺ - من عبيد بن عمر ، فولدت له « أيمن » ، ثم مات عبيد ، فقال (ﷺ) : « من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن » فسارع زيد بن حارثة حبيب رسول الله (ﷺ) إلى زواجها، فولدت له أسامة بن زيد حبيب رسول الله (ﷺ) .

إسلامها : أسلمت فى أول الإسلام، وهاجرت إلى الحبشة ، ثم هاجرت إلى المدينة ، فهى صاحبة الهجرتين ، وبايعت رسول (ﷺ) وأخلصت فى خدمته وطاعته ، وحينما اقتضت ظروف الجهاد أن تشترك فيه المرأة المسلمة سارعت أم أيمن إلى أداء واجبها فى الميدان ، فخرجت مجاهدة فى غزوة أحد وكانت تسقى الماء وتداوى الجرحى ، كما اشتركت فى غزوة خيبر مع رسول الله (ﷺ) .

بركتها : كان لأم أيمن نصيب كبير من اسمها ، فقد كانت مباركة تروى السيرة العطرة : أن أم أيمن - رضى الله عنها - عطشت عطشاً شديداً حين . هاجرت ، لأنها هاجرت فى يوم شديد الحر فدل الله إليها دلواً من السماء فشربت حتى أراحت (٢) .

ويورد ابن سعد هذا الخبر نقلاً عن عثمان بن القاسم بالعبارة التالية : « لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء ، فعطشت وليس معها ماء ، وهى صائمة فجهدها العطش فدُلِّى عليها من السماء دلو من ماء ، برشاء أبيض ، فأخذته فشربت منه حتى رويت ، فكانت تقول : ما أصابنى بعد ذلك عطش ، ولقد تعرضت للعطش بالصوم فى الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة ، وإنى كنت لأصوم فى اليوم الحار فما أعطش (٣) .

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٨ صـ١٦٢ .

(٢) انظر النهاية لابن الأثير ج٢ ص٢٧٤ . (٣) الطبقات لابن سعد ج٨ ص١٦٨ .

تروى السيرة العاطرة أن أم أيمن بكت حينما مات رسول الله (ﷺ) ، فقيل لها : لما تبكين ؟ : فقالت : أبكى على خبر السماء ! وفى رواية أنها قالت : إى والله لقد علمت أن رسول الله سيموت، ولكنى أبكى على الوحى إذ انقطع عنا من السماء .

وفى رواية أنها قالت إنما أبكى على خبر السماء كان يأتينا غضاً جميلاً كل يوم وليلة فعليه أبكى وانطلق لسانها الحزين بالرثاء للرسول فقالت :

١ ـ عين جودى فإن بذلك للدمع
شفاء فاكثرى م البكاء

٢ ـ حين قالوا : الرسول أمس فقيداً
ميتاً ، كان ذلك كل البلاء

٣ ـ وابكيا خير من رزئناه فى الدنيا
ومن خصه الله بوحى السماء

٤ ـ بدموع غزيرة منك ، حتى
يقضى الله فيك خير القضاء

٥ ـ فلقد كان ما علمت وصولاً
ولقد جاء رحمة بالضياء

٦ ـ ولقد كان بعد ذلك نوراً
وسراجاً يضئ فى الظلماء

٧ ـ طيب العود والغريبة والمعـرن
والخيم ، خاتم الأنبياء (١) .

أبناؤها :

لقد رزقت السيدة بركة بنت محصن من زوجها الأول عبيد بن عمر بابنها الذى عرفت به وعرف بها . إنه الصحابى الجليل :أيمن بن عبيد بن عمر بن بلال الحبشى الخزرجي، وهو ابن الصحابية الجليلة المجاهدة المربية الفاضلة

(١) الطبقات لابن سعد ج٢ ص٩٨ . وزاد المعاد ص١٩ .

أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ ربته على أفضل ماتكون التربية ، وقد مات أبوه وتركه لأمه الذى اشتهر بها أكثر مما اشتهر بأبيه ، واشتهرت هى به أكثر مما اشتهرت باسمها أو باسم أبيها ، فيقال عنها غالباً أم أيمن ولا يقال لها بركة بنت محصن إلا نادراً. ربته على الإسلام ، وفى مدرسة رسول الله - ﷺ - التى خرجت أفضل الرجال ، وأنبل الرجال، وأشجع الرجال تلك المدرسة التى يقول عنها الدكتور أحمد الشرباصى : « لقد أرتنا مدرسة سيد الأنام محمد - ﷺ - أن الله أعز بالإسلام قوماً وخفض به آخرين، فكم من فاخرين بأنسابهم وحدها خسف بهم الإسلام إلى الحضيض وكم من معتزين بعزة الله وحده .. رفعهم الإسلام إلى عليين ، وكان الواحد من هؤلاء المؤمنين كان يقول لنفسه .. هذه قدمى ، فلأحركها فى تأييد خير أو مقاومة شر ...

، وهذه يدى ، فلأقم بها عمراناً ، أو لأحطم بها طغياناً ... وهذا سلامى ، فلأحرس به حقاً ، أو فلأ دفع به باطلاً ...

وهذه حياتى فلأعشها كريمة عزيزة ، أو فلأدفعها فى ساحة الوفاء والفداء ، لتكون وديعة مصونة عند من لاتضيع لديه الأمانات (١) .

ولهذا دفعته أمه للنبى (ﷺ) ، فكان يخدم رسول الله (ﷺ) ، ويتولى شأن مطهرته ، ويعاطيه حاجته (٢) . ولا حظته عين النبوة البصيرة بالرعاية والتأديب والتهذيب ، ولم يقبل الرسول (ﷺ) أن ينشأ أيمن منحرفاً أو

---

(١) الدكتور أحمد الشرباصى : أبطال عقيدة وجهاد صـ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .
(٢) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ط ص ٢٩ .

معتسفاً أو مدللاً ، بل حرص على أن ينشأ رجلاً عاقلاً فاضلاً ومؤمناً تقياً مجاهداً.

مـــرَّ به - ﷺ - ذات يوم ومعه فتيان مثله قد حلوا أُزُرهم وجعلوها كالسياط ، وأخذوا يتضاربون بها فى عنف وقسوة فغضب (ﷺ) من ذلك ، وقال « مؤنباً ومؤدباً لا من الله استحيوا ولا من رسوله استتروا ؟ » وعلمت أم أيمن بذلك فغضبت ، وجعلت تترضى الرسول (ﷺ) ، وتقول له : استغفر لهم يا رسول الله - وبعد جهد استغفر لهم رسول الله (ﷺ) (١) .

- بمثل هذه التوجيهات أصبح أيمن من الباذلين المضحين بكل شئ ، حتى بأغلى ما يملكه الإنسان بحياته وروحه ففى غزوة حنين التى فرّ فيها الكثير ممن كانوا مع الرسول (ﷺ) بسبب هول الموقف وشراسة المعركة ، ودهشة المفاجأة ظل أيمن واقفاً كالطود الأشم الشامخ إلى جوار الرسول (ﷺ) ، عيناه تدوران كالفلك المستدير ترقبان الموقف من قريب ومن بعيد ، مع قلة قليلة وكلهم يدافعون فى استبسال عجيب حتى نال الشهادة - رضى الله عنهم - وفى استشهاده يقول العباس بن عبد المطلب

نصرنا رسول الله فى الدين سبعة
وقد فر من قد فر عنه وأقشعوا
وثامننا لاقى الحمام بنفسه
بما مسه فى الدين لا يتوجع (١)

والسبعة الذين عناهم العباس هم : على ، والعباس ، والفضل بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأبو بكر، وعمر رضوان

---

(١) انظر النهاية لابن الأثير جـ ٢ صـ ٢٦ .

الله عليهم أجمعين – والثامن الذى لاقى الشهادة هو أيمن رضي الله عنه (١) .

الابن الثانى : - هو أبو محمد أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحبيل بن كعب الهاشمى ولد بمكة ونشأ على الإسلام ، لأن أباه كان من أوائل الناس إسلاماً وأمه هى بركة بنت محصن بن ثعلبة ، أم أيمن وحاضنة النبى (ﷺ) .

أبوه هو زيد بن حارثة حبيب النبى (ﷺ) ، وقد تبناه (ﷺ) ، وزوجه أم أيمن ثم تزوج بالسيدة زينب بنت جحش وفيه نزل قول الله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ (٢) وقد مات زيد بن حارثة شهيداً فى غزوة مؤتة ، وأخوه لأمه أيمن بن عبيد مات مجاهداً شهيداً فى غزوة حنين .

مكانته وتربيته : تربى أسامة كما تربى أخوه فى مدرسة النبى (ﷺ)، كان أسامة حبيباً لرسول الله (ﷺ) وكان يقال له : «الحب ابن الحب، وكان عنده كبعض أهله (٣) وكان (ﷺ) يجعله رديفه فى الركوب فى كثير من الأحيان، وكان ينظر إلى أسامة كما ينظر إلى سبطيه الحسن والحسين، ولقد روى أسامة فقال كان رسول الله (ﷺ) يأخذنى والحسن بن على ثم يقول : « اللهم أحبَّهما فإنى أُحبُّهما » .

وفى رواية : أن النبى كان يقعد أسامة والحسين على فخذه ويقول اللهم أنى أرحمها فارحمهما .

وروى الترمذى بسند صحيح عن أسامة قال كنت جالساً عند النبى (ﷺ)

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤ صـ ٤٨ .
(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٧ .
(٣) انظر الطبقات لابن سعد .

إذ جاء على والعباس يستأذنان فقلت ، يارسول الله : على والعباس يستأذنان .

فقال أتدرى ما جاء بهما ؟ قلت : لا أدرى . فقال لكنى أدرى فأذن لهما فدخلا ، فقالا : يا رسول الله ، جئنا نسألك أى أهلك أحب إليك ؟ قال فاطمة بنت محمد . فقالا : ما جئنا نسألك عن أهلك . قال ؛ أحب أهلى إلىّ مَنْ قد أنعم الله عليه وأنعمتُ عليه أسامة بن زيد : قالا : ثم مَنْ ؟ قال : على بن أبى طالب قالا : ثم من ؟قال :العباس بن عبد المطلب فقال : العباس بن عبد المطلب : يارسول الله ، جعلت عمك آخرهم ؟ قال :لأن علياً سبقك بالهجرة (١) .

رباه رسول الله ﷺ على الالتزام بأمر الله ونهيه ، ومما يدل على ذلك أن بنى مخزوم أرادوا أن يستدفعوا الحد عن فاطمة المخزومية عندما سرقت بأسامه بن زيد ، واستجاب أسامة لرجائهم ، وشفع لها عند النبى (ﷺ) وهنا لقنه النبى (ﷺ) درساً تربوياًتشريعياًمبيناًله أنه لا شفاعة فى حد من حدود الله ، وقال له معاتباً:أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» (٢) وهنا تعلم أسامة درساً فى أنه لا شفاعة فى حدود الله .

ودرس آخر يتلقاه أسامة من المعلم الأول (ﷺ) يقول أسامة عن ذلك - عن أول تجربة له فى القتال- أتيت النبى (ﷺ) وقد أتاه البشر بالفتح فإذا هو متهلل وجهه فأدنانى منه ثم قال :حدثنى.فجعلت أحدثه فقلت :فلما انهزم القوم أدركت رجلاً، وأهويت إليه بالرمح ، فقال لا إله إلا الله فطعنته فقتلته .

---

(١) انظر التاج الجامع للاصول جـ ٣ صـ ٣٨٠ .

(٢) صحيح الإمام البخارى ج١٢ رقم : ٦٧٨٨ .

فتغير وجه النبى (ﷺ) وقال ويحك ! يا أسامة ، فكيف لك بلا إله إلا الله ؟ ويحك يا أسامة، فكيف لك بلا إله إلا الله ؟ فلم يزل يكررها علىّ حتى لودت أنى انسلخت من كل عمل عملته ، واستقبلت الإسلام يومئذٍ من جديد ، فلا والله لا أقاتل أحداً قال لا إله إلا الله، بعدما سمعت رسول الله (ﷺ) (١) » ولما اطمأن (ﷺ) إلى حسن تربية أسامة وإلى قوة شكيمته وعزيمته وحسن قيادته، وأنه أصبح بهذه التربية الحكيمة من القادة العسكريين أمرّه على جيش المسلمين المتوجه إلى غزو الروم وهو دون العشرين من عمره بسنة أو سنتين (٢)، وكان فى الجيش كبار الصحابة ، فلما طعن فيه من طعن صعد النبى المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال : إن الناس قد طعنوا فى إمارة أسامة بن زيد ، وقد كانوا طعنوا فى إمارة أبيه من قبل ، وإنهما لخليقان لها وإنهما لمن أحب الناس إلىَّ ، وكان أبوه من أحب الناس إلىّ إلا فاطمة فأوصيكم بأسامة خيراً . ثم مرض (ﷺ) بعد ذلك مباشرة فشغل مرضه - ﷺ أصحابه وجعل يقول : « أنفذوا جيش أسامة .

واشتد المرض على رسول الله (ﷺ) فدخل عليه أسامة وقد أصمت فلا يتكلم فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليه فعرف أسامة أن النبى يدعو له . (٣) وبعد قليل لحق الرسول بربه، واشترك أسامة فى غسله (ﷺ)، وبعد أن تولى أبو بكر الخلافة، كان أول عمل يقوم به هو إنفاذ جيش أسامة ، وقال كلمته المشهورة «أنفذوا بعث أسامة ، فو الله لو خطفتنى

(١) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٤ صـ ٩٦ .

(٢) توفى النبى ولأسامة عشرون سنة أو تسع عشرة أو ثمانى عشرة انظر تهذيب الأسماء جـ صـ ١١٥ .

(٣) سيرة ابن هشام ج٢ ص٣٧٠ .

الذئاب لأنفذته كما أمر رسول الله (ﷺ) ومشى أبو بكر رضي الله عنه على قدميه إلى جوار أسامة الذى كان ممتطياً ظهر فرسه ، واستحي أسامة فهمَّ بالنزول داعياً الخليفة إلى الركوب . فقال له : والله لا أركب والله لاتنزل ، وظل أسامة مع جيشه أربعين يوماً وجاهد جهاداً كريماً وأوجع أعداءه وعاد بغنائم بعد أن مكث مع جيشه أربعين يوماً فى أرض المعركة ، وعرف الصديق لأسامة مكانته واستخلفه على المدينة فى بعض الأحيان ، وكان عمر كلما لقى أسامة قال له : «السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته أمير أمره رسول الله ، ومات وهو علىَّ أمير » ولقد فضَّل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – سيدنا أسامة على ابنه سيدنا عبد الله ، فلما سأله ابنه عن ذلك فأجابه : لأن زيداً كان أحب إلى رسول الله من أبيك وكان أسامة أحب إلى رسول الله منك فآثرت حب رسول الله على حبى . (١)

هكذا كان أسامة (رضي الله عنه) أميراً متوجاً بتاج من رسول الله (ﷺ) مع أنه كان كما وصفوه « أفطس الأنف، أسود اللون كأنه الليل » ولكنه كسب هذه المكانة بطهارته وصفاته وصدقه ووفائه وجهاده. فقد احتمل فى سبيل الله ما احتمل وتفقه فى دينه، وكان يتطوع بالقربات والنوافل ، كما كان يحرص على صيام يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع حتى بعد أن تقدمت به السن ، وروى مئة وثمانية وعشرين حديثا - رضي الله عنه - وأرضاه -

---

(١) انظر الدكتور أحمد الشرباصى أبطال عقيدة وجهاد صـ ٢٤٦ ـ ٢٥٠ بتصرف .

المبحث الرابع : العمل على هداية غيرها

لقد كانت المرأة المسلمة منذ تاريخها الباكر فى الإسلام يُضرب بها المثل فى التضحية من أجل الدعوة إلى الله وهداية غيرها من النساء وسوف أذكر هنا بعض الأمثلة - من غير أمهات المؤمنين - تدل بوضوح على مكانتها السامية فى الدعوة إلى الله تعالى .

١ - **أم شريك :** وهى غزيلة بنت جابر بن حكيم الدوسية، كانت من السابقات فى الإسلام، قامت بالدعوة إلى الله – تعالى – سراً فى أوساط النساء بمكة رغم معارضة قريش الشديدة لذلك، ولكنها أحبت الهداية لغيرها كما أحبتها لنفسها .

يقول ابن عباس - رضى الله عنهما - وقع فى قلب أم شريك الإسلام ، فأسلمت وهى بمكة وكانت تحت أبى العكر الدوسى، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن وترغبهن فى الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة ، فأخذوها وقالوا : لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ، لكنا سنردك إليهم (١) وتقول هى عن نفسها : « حينما اكتشف أهل قريش أمرى حملونى على بعير ليس تحتى شئ موطأ ولا غيره ثم تركونى ثلاثاً لا يطعمونى ولا يسقونى وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوثقونى فى الشمس واستظلوا منها وحبسونى عن الطعام والشراب فبينما أنا كذلك ، إذ أنا ببرد شئ على صدرى فتناولته فإذا هو دلو ماء فشربت منه قليلاً ثم نزع منى فرفع ، ثم عاد فتناولته فشربت منه ، ثم رفع ، ثم عاد فتناولته ، ثم رفع مراراً ، ثم تركت فشربت

---

(١) الإصابة جـ ٤ ٤٦٦ وأسد الغابة جـ ٥٩٤ .

حتى رويت ، ثم أفضت سائره على جسدى وثيابى ، فلما استيقظوا ، إذا هم بأثر الماء ، ورأونى حسنة الهيئة فقالوا انحللت فأخذت سقاءَنا فشربت ؟ قلت : لا والله ولكنه كان من الأمر كذا وكذا . قالوا : لإن كنت صادقة لدينك خير من ديننا ، فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك » (١).

هكذا كانت هذه السيدة الفاضلة ، التى أوقفت حياتها لله ، ودعوة الناس إلى دينه ، لقد أنصفت نفسها ، فأنصفها الله ، وكانت معه فكان الله معها فاكرمها بهذه الكرامات البينة، وجعلها سبباً فيمن أسلموا لما رأوا كراماتها.

٢ ـ أسماء بنت يزيد بن السكن :

هى أم عامر أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن إمرئ القيس الأوسية الأشهلية الأنصارية ، بنت عم معاذ بن جبل - رضى الله عنهما - شاركت مع أم عمارة فى عقد تأسيس الدولة الإسلامية الأولى ، فى بيعة العقبة ٥ هـ سنة ٦٢٠م ووفدت على الرسول - ﷺ - فى السنة الأولى للهجرة وبايعته بيعة الإسلام ، وكان النبى - ﷺ - يبايع النساء بالآية الواردة فى سورة الممتحنة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) .

ولذلك قالت أسماء بايعنا رسول الله ﷺ - فأخذ علينا ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن .

وكانت مبايعتها فى صدق وإخلاص ، وأخذت بعد ذلك تسمع من الرسول

---

(١) الإصابة جـ ٤ ٤٦٦ أسد الغابة جـ صـ ٩ .
(٢) سورة الممتحنة آية رقم ١٣ .

حديثه الشريف وتبلغه لغيرها من النساء ، حتى كانت تسأله عن دقائق الأشياء من الأمور وهى التى سألته عن طريقة تطهر المرأة من الحيض ، ولا حياء فى الدين ، وقد كانت قوية الشخصية ويقول عنها ابن عبد البر « كانت من ذوات العقل والدين » (١) .

وكانت من أخطب نساء العرب تهز أعواد المنابر إذا خطبت ، وتقوم على تنظيم النساء المؤمنات ، وتتزعم المطالبة بمالهن من حقوق ، حتى لقد سميت فى كتب السنة والسيرة بـ « وافدة النساء » أى زعيمة النساء ، فى المطالبة بحقوقهن .

ولقد أتت النبى (ﷺ) ذات مرة فقالت له : «يارسول الله، إنى رسول من ورائى من جماعة نساء المسلمين ، كلهن يقلن بقولى ، وهن على مثل رأيى . إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات ، قواعد بيوت ، ومواضع شهوات الرجال ، وحاملات أولادهم ، وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم ، وربينا أولادهم أفننشاركهم فى الأجر يارسول الله ؟ .

فالتفت رسول الله ﷺ - إلى أصحابه فقال :هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه ، فقالوا : بلى والله يا رسول الله : فقال رسول الله انصرفى يا أسماء ، وأعلمى من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها ، وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته ، يعدل كل ما ذكرتى للرجال . (٢) فانصرفت أسماء وهى تهلل وتكبر استبشاراً لما قال

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر : على هامش الإصابة جـ ٤ صـ ٢٣٣ .

(٢) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : لابن عبد البر ص ٤ رقم ٢٢٣٣ ص ١٧٨٧ والحديث حسن .

رسول الله (ﷺ). وكانت أسماء تخدم النبى فى دعوته بما استطاعت ، لأنها تعلم فضل هذه الخدمة ، وفضل حمل الدعوة للآخرين ولذلك روى عنها أنها قالت : إنى لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله - ﷺ - إذ نزلت عليه سورة المائدة كلها وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة (١) .

ويقول الدكتور أحمد الشرباصى عنها : « كان الرسول يعرف لها قدرها ولذلك روت أسماء :قالت مرَّبى النبى - ﷺ - وأنا فى نسوة فسلم علينا فرددنا عليه السلام » وكانت أسماء من ذوات الشجاعة والإقدام ، وكان يقال لها :خطيبة النساء وكانت تحسن الحوار والمحادثة ، وكانت تطوى فى صدرها التطلع إلى الدعوة ونشرها من خلال المشاركة فى الجهاد ، حتى كانت معركة اليرموك ... فخرجت مع الجيش الإسلامى إلى معركة اليرموك، مع أخوات لها وشقيقات فى بداية المعركة تناول السلاح، وتسقى الماء، وتضمد الجراح. فلما اشتد الموقف واشتدت المعركة نسيت أنها أنثى، ولم تذكر إلا أنها مسلمة مؤمنة تستطيع أن تجاهد بما فى وسعها، فلم تجد إلا عمود خيمة ، فحملته وانغمرت به فى الصفوف وأخذت تضرب به فى أعداء الله ذات اليمين وذات الشمال ، حتى أكد التاريخ فى مصادره الأمينة الوثيقة أن أسماء قتلت يومئذ بعمود الخيمة تسعة رجال من الأعداء (٢) .

يقول عنها الإمام ابن حجر : « هى أسماء بنت يزيد بن السكن ، شهدت اليرموك وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها، وعاشت بعد ذلك دهراً (٣) . - رضى الله عنها وأرضاها - . وفى هذا كله ما ينفى ما يقال ويتردد من العلمانيين دعاة التغريب .

---

(١) انظر الوفا بأحوال المصطفى صـ ١٧١ .

(٢) الدكتور أحمد الشرباص : أبطال عقيده وجهاد صـ ٢٧٩ .

(٣) الإصابة فى تمييز الصحابة : ٢٢٩ .

الفصل الثامن

رد شبهات دعاة التغريب حول مكانة المرأة وتفنيدها

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول : الادعاء بنقص عقل المرأة ودينها

المبحث الثاني : الادعاء بأن قوامة الرجل على المرأة إهدار لإنسانيتها

المبحث الثالث : الادعاء بأن مكانة المرأة لا تتحقق إلا بالإختلاط

المبحث الرابع : الادعاء بأن الحجاب يقتل طموحات المرأة

المبحث الخامس : ادعاءات العلمانيين حول نظام تعدد الزوجات

الفصل الثامن
رد شبهات دعاة التغريب حول مكانة المرأة وتفنيدها
المبحث الأول
الادعاء بنقص عقل المرأة ودينها

عرض الشبهة : من الشبهات التى أثارها المستشرقون والعلمانيون للطعن فى الإسلام وبلبلة فكر المرأة ادعاؤهم أن الإسلام يقلل من مكانة المرأة مستندين لبعض النصوص التى لم يحسنوا فهمها ، من هذه النصوص الحديث الذى ذكره الإمام البخارى فى نقصان عقل المرأة ودينها ولهذا فسوف نذكر نص الحديث ثم نلقى الضوء على فهمه الصحيح .

روى الإمام البخارى بسنده عن الصحابى الجليل أبى سعيد الخدرى – رضي الله عنه – أنه قال : – خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم فى أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال : « يا معشر النساء : تصدقن فإنى أريتكن أكثر أهل النار فقلن : وبم يا رسول الله ؟، قال :تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن . قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ . قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل قلن بلى قال : فذلك من نقصان عقلها . أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم قلن بلى فذلك من نقصان دينها » (١) .

احتج العلمانيون بهذا الحديث فى هجمتهم الشرسة التى أعلنوها باسم المرأة .

والأمر يستوجب منا أن نزيل هذا الفهم الخاطئ للحديث الشريف وأن نضعه فى إطاره الشرعى من خلال النقاط التالية : –

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه : كتاب الحيض : باب ترك الحائض الصوم ج١ ص٨٣ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الإيمان ج٢ ص٦٥ ، ٦٦ وأبو داود فى سننه ج٤ رقم ٤٦٧٩ .

أولاً : أن هذا الحديث كما يقول الأستاذ الدكتور :محمد عمارة « يخاطب حالة خاصة من النساء ومن ثم فهو لا يشرع شريعة دائمة ، ولاعامة فى مطلق النساء لأنه يتحدث عن واقع ، والحديث عن الواقع القابل للتغيير والتطور شئ ، والتشريع للثوابت شئ آخر .

والدليل على أن هذا الحديث يتحدث عن واقع ما رواه الإمام البخارى ومسلم والنسائى أن رسول الله ﷺ قال : « إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب » (١) فهذا الحديث كسابقه يصف واقعاً ولا يوجد فيه تشريع لتأبيد الجهل بالكتابة والحساب ، ومن ثم فوصف الواقع ليس معناه تشريع هذا الواقع ولا تأبيده فضلاً عن تأبيده بأى حال (٢) خاصة وأن العقيدة فى الإسلام تقوم على العلم لا على التسليم الأعمى أو الجهل قال تعالى : « فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه » كما أن البشرية لم تعرف ديناً مثل الإسلام فى دعوته للعلم والترغيب فيه ولهذا جاءت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تبين مكانة العلم والعلماء . ومن ثم يتبين لنا أن حديث الرسول للنساء كحديث : « إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب » له مورد خاص .

ثانياً : أن لهذا الحديث روايات أخرى تفيد بأنه موجه لحالات خاصة لنساء لهن صفات خاصة وأن سبب وروده كان لحث النساء على الصدقة ففى رواية الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإنى أريتكن أكثر أهل النار

---

(١) متفق عليه : راجع التلخيص الجبير للحافظ ابن حجر العسقلانى ج٢ ص١٨٨ .

(٢) انظر : شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ص١٢٥ .

فقالت امرأة منهن جزلة : وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير (١) .

وفى رواية ثالثة : تكفرن العشير لو أحسن المرء إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منه هنة أو شيئاً لا يعجبها كفرت فقالت : ما رأيت منك خيراً قط »
فهاتان الروايتان أيضاً وصف لحالة بعينها وخاص بهذه الحالة وليس تشريعاً عاماً ودائماً لجنس النساء .

ثالثاً : أن مناسبة الحديث كانت فى يوم عيد وهذه المناسبة ترشح ألفاظه وأوصافه لأن يكون المقصود من ورائها المدح للنساء وليس الذم لهن .

حيث إنه - ﷺ - جعل للعيد فرحة خاصة أشرك فى الاستمتاع بها مع الرجال كل النساء حتى الصغيرات بل والحُيض والنفساء ، وإذا كان الأمر كذلك فلا يتصور منه (ﷺ). أن يجابه كل النساء بالذم والتقريع والحكم المؤبد عليهن ، لنقصهن فى العقل والدين .

رابعاً : أن ألفاظ الحديث تشهد على أن المقصود إنما كان المديح الذى يستخدم فى وصف الواقع .. فالحديث يشير إلى غلبة العاطفة والرقة على المرأة ، وهى عاطفة ورقة صارت سلاحاً تغلب به أشد الرجال حزماً وشدة وعقلاً ... وإذا كانت غلبة العاطفة إنما تعنى تفوقها على الحسابات العقلية المجردة والجامدة، فإننا نكون أمام عملة ذات وجهين ، تمثلها المرأة ... فعند المرأة تغلب العاطفة على العقلانية، وعند الرجل تغلب عقلانيته وحساباته العقلانية على عواطفه ... وفى هذا التمايز حكمة بالغة ، ليكون عطاء المرأة

---

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحه جـ ٢ ص ٦٥ - ٦٦ .

فى ميادين العاطفة بلا حدود وبلا حسابات ... ويكون عطاء الرجل فى مجالات العقلانية المجردة والجامدة مكملاً لما نقص عند الشق اللطيف والرقيق . فنقص العقل الذى أشارت إليه كلمات الحديث النبوى الشريف هو وصف لواقع تتزين به المرأة السوية وتفخر به ، لأنه يعنى غلبة عاطفتها على عقلانيتها المجردة .. ولذلك ، كانت « مداعبة » صاحب الخلق العظيم - الذى آتاه ربه جوامع الكلم - للنساء فى يوم الفرحة والزينة ، عندما قال لهن : إنهن يغلبن بسلاح العاطفة لب الرجل الحازم .

خامساً : أما نقص الدين فهو وصف لواقع محدود ممدود وعندما سألت النسوة رسول الله - ﷺ - عن المقصود من نقصهن فى الدين فقد بين - ﷺ - لهن ما تميزن به فى التخفيف والرخص التى يشاركن فيها الرجال - . فالنساء يشاركن الرجال فى كل الرخص التى رخص فيها الشارع من إفطار الصائم فى المرض والسفر ..... إلى قصر الصلاة وجمعها فى السفر - إلى إباحة المحرمات عند الضرورات ... الخ) ثم يزيدن على الرجال فى رخص خاصة للإناث من مثل سقوط فرائض الصلاة والصيام عن الحيض والنفساء وإفطار المرضع عند الحاجة فى شهر رمضان ..

وإذا كان الله - سبحانه وتعالى - يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ، فإن التزام النساء بهذه الرخص الشرعية هو الواجب المطلوب والمحمود ، وفيه لهن الأجر والثواب .

سادساً : أن مساواة إنسان مع الآخر مساواة دقيقة وكاملة فى ملكة العقل أمر محال ذكراً كان أو أنثى ، فالتفاوت فى الزيادة والنقصان وفى

اكتساب المعارف والعلوم والخبرات (١) أمر واقع ، فهذا لا يدل على النقصان بمعناه الحقيقى ، فيكفى المرأة أن تعقل أمر دينها، ولهذا ساوى الإسلام بين الرجال والنساء فى التكليف والحساب والجزاء قال تعالى :- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

سابعاً : نقص كمال لا نقص قدح :-

والذى نريد أن نؤكده أن الحديث لا يُعَدل فى نصاب الشهادة وإنما هو لبيان أن نقصان عقل المرأة إن دل على شئ فإنما يدل على تكريم الإسلام لها ، لأنه نقص كمال وفضل لا دخل لها فيه ، ولأن المرأة بحكم خلقتها مرهفة الحس رقيقة المشاعر قوية العاطفة ، وهذا كمال لا يوجد مثيله عند الرجل ، ومن ثم فعواطفها الفياضة على حساب عقلها وضبطها ، فهى إن نقصت فى شئ زادت أضعافه فى شئ أخر، فكانت المحصلة النهائية كمالها لانقص عقلها ، وهذا مانراه واضحاً فى نصاب شهادة المرأة فإن الله - تبارك وتعالى - عضدها بأخرى تقويها فى شهادتها . فهذا فضل من الله يؤتيه من يشاء قال تعالى فى آية المداينة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ

(١) انظر دكتور محمد عمارة شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ص١٢٥ - ١٢٩ بتصرف .

(٢) سورة النحل آية رقم ٩٧ .

فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾ (١) فهذه الآية الكريمة حددت نصاب شهادة المرأة وأنه يلزم امرأتان للتذكير فى حالة النسيان ، ولهذا لا يجوز للقاضى أن يفرق بينهما عند تأدية الشهادة ، بل يجب أن يكونا معاً فى مجلس القضاء وقت أداء الشهادة حتى إذا أخطأت إحداهما أو نسيت ذكَّرتها الأخرى وردتها إلى الصواب » (٢) .

وقد نص الفقهاء على قبول شهادة المرأتين فى الأموال لصريح الآية المذكورة أما فى الحدود والقصاص ، فالجمهور على عدم قبول شهادة النساء ، واختلفوا فى النكاح والطلاق والنسب والولاء ، فأجازها الحنفية ، وقال الفقهاء : بقبول شهادة المرأة وحدها فى القضايا التى لا تسمح العادة باطلاع الرجل عليها ، كالولادة والبكارة وعيوب النساء فى المواضع الباطنة ، ويكفى شهادة امرأة واحدة عند أبى حنيفة وأصحابه .

وتقبل شهادة امرأة واحدة فى الرضاع عند بعض العلماء عملاً بالحديث الذى رواه الإمام البخارى فعن عبد الله بن أبى مليكة عن عتبة بن الحارث أنه تزوج ابنة لأبى إيهاب بن عزيز ، فأتته امرأة فقالت « قد أرضعت عتبه والتى تزوج ، فقال عتبة ما أعلم أنك أرضعتينى ، ولا أخبرتينى فأرسل إلى أبى إيهاب - والد الزوجة - يسألهم فقالوا ما علمناها أرضعت صاحبتنا فركب إلى النبى - ﷺ - فسأله فقال رسول الله ﷺ : - « كيف وقد قيل » ففارقها ونكحت زوجاً غيره . قال ابن حجر اعتمد النبى - ﷺ - قولها فأمره بفراق امرأته ، إما وجوباً عند من قال به ، وإما ندباً على طريق الورع (٣)

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٨٢ .

(٢) راجع الأصول القضائية فى المرافعات الشرعية للقاضى على قراعة ط ٢ دار المعارف ص ١٤٤ .

(٣) راجع فتح البارى جـ ٥ حديث رقم ٢٦٤٠ ص ٢٥١ .

المبحث الثانى

الادعاء بأن قوامة الرجل على المرأة إهدار لإنسانيتها

من الشبهات التى تثار بين الحين والحين والتى تستهدف خلل الحياة الزوجية واضطرابها وأوجدت النزاع والشجار بين الزوجين شبهة قوامة الرجل على المرأة ، حيث إن طائفة من الباحثين والصحفيين ومقدمى البرامج فى الوقت الحاضر لاتنفك تردد أن فى قوامة الرجل على المرأة إهداراً لإنسانيتها ومساساً بكرامتها ، وتحقيراً بشأنها ، وإغفالاً لشخصيتها وإجباراً لها على مالاتريد ، ولبيان الحقيقة فى هذه القضية نبين الأمور الآتية : ـ

أولاً : أن الأسرة فى المنظور الإسلامى مؤسسة اجتماعية مترابطة لا فارق حقيقى بين دور الرجل ودور المرأة إلا لترتيب الأولويات دونما غبن لطرف أو تمييز يخل بمبدأ المساواة

ثانياً : أن المرأة فى الإسلام نالت حظها الوافر من العدل الذى جاءت به الشريعة الذى لايقل عما حظى به الرجل . من هذا العدل مسألة القوامة الزوجية حيث إن القوامة ليست محاباة للرجل ، بل هى أعباء جسيمة وتكاليف ثقيلة تقع على عاتقه ، وتخفيف عن كاهل المرأة .

ثالثاً : أن المتأمل فى الكون يجد أن نغمة الواحدية مسيطرة عليه فى كل شئ ولولاها لفسد نظامه فالعدد الكثير ينتهى إلى العدد واحد ، لأن حسن سير نظام حركة هذا الكون تقتضى أن يتولاها فى النهاية فرد واحد فقط لايشاركه فى ذلك أحد غيره وإلا اختل هذا النظام وكان الفساد ، فمثلاً : فى نظام الإدارة فى أية دولة نجد آلاف القرى تخضع لرئاسة مئات المدن ، التى تخضع لرئاسة عشرات المحافظات ، التى تخضع لرئاسة دولة واحدة .

وفى النظام القضائى هناك مئات المحاكم الجزئية ، تخضع لرقابة عشرات المحاكم الابتدائية ، التى تخضع لرقابة ثمان محاكم استئناف وفى النهاية تخضع جميع هذه المحاكم لرقابة محكمة واحدة هى محكمة النقض .

والأساس فى شيوع هذه النغمة فى الكون هو أن خالقه ومدبره واحد سبحانه وتعالى لاشريك له وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله :﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١) .

وعلى هذا فإن الأسرة لا تستقيم إلا بشيوع هذه النغمة تحقيقاً لحسن سير نظامها لقوامة الرجل على المرأة وطبيعة النظام تقتضى بأن يكون لكل مجتمع - صغر أو كبر – من يشرف عليه ويمسك بدفة التوجية – كما أن طبيعة العدل تقتضى أيضاً أن تسند هذه المهمة إلى من ترشحه لها مهماته الفطرية والاجتماعية « ونظام الأسرة يستلزم تقرير الرياسة عليها لواحد من اثنين . الزوج أو الزوجة ، ولا يغنى عن هذه الرياسة ولا عن تكاليفها أن نسمى الزواج شركة بين متساويين وتوفيقاً بين حصتين متعادلتين ، فإن الشركة لاتستغنى عن من يتخصص لولايتها ..

ويُسأل عن قيامها وينوب عنها فى علاقتهما بغيرها . وليس من المعقول أن تتصدى الزوجة لهذه الولاية فى جميع الأوقات إذ هى عاجزة على الأقل فى بعض الأوقات غير قادرة على استئنافها حين تشاء » (٢) .

ولدى المقارنة العاقلة بين الرجل والمرأة فى صلاحيتها لإسناد هذه المهمة فى محيط الأسرة . نجد أنه لا مناص من التسليم بها للرجل وهذا التسليم ليس جزافاً أو تعصباً ، وإنما هو قائم على منطق الواقع الذى لايقبل لجاجة الجدل .

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ٢٢ .

(٢) راجع : عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن الكريم ص ٧٠

لأن التفوق الطبيعى الذى منحه الخالق - جل وعلا - للرجل والتكاليف الاجتماعية التى فرضها عليه يحتمان فى شرعة الإنصاف أن تكون القوامة له وهذا ما قرره القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (١) .

والقوامة ضرورية للأسرة ضرورة قيام الحكم فى المجتمع ، فكما أنه لا يوجد مجتمع منظم بلا حكومة فكذلك لا توجد أسرة متسقة بلا قوامة ، ومما لاشك فيه أن الأسرة التى تختفى فيها شخصية الرجل ممثلة فى قوامته ، فهى أسرة مهتزة فى جوانب الحياة كلها ، واهتزاز الأسرة يعرضها للخطر إن لم يقض عليها ، والتعرض للخطر لا تؤمن معه السلامة « والذين يمارون فى هذا كله على خطأ كبير ، وعلى إثم كبير - أيضاً - ،لأنهم يغيرون وجه الحق ، ويغيرون معالم الطبيعة الهادية إليه ، إذ حكمة الخالق - جل وعلا - تأبى أن تنشئ جنسين مختلفين التكوين العضوى والنفسى لتكون لهما صفات الجنس الواحد ومؤهلاته وأعماله وغايات حياته .

والرجل والمرأة إذا كان لهما بعض الاتفاق فى الشكل العام . إلا أن لكل منهما خصائصه العضوية التى يتميز بها - وخصائصه النفسية التى تلائم وظيفته فى الحياة . وتقرير مبدأ القوامة للرجل مستمد من الفوارق الطبيعية الأصلية بينهما (٢) .

يفرق الدكتور « اليكس كاريل » الحائز على جائزة نوبل للعلم ، بين الرجل والمرأة فـروق فى عـدة أمـور :

---

(١) سورة النساء آية رقم ٣٤ .

(٢) راجع الإسلام وبناء المجتمع وبناء الفاضل : دكتور يوسف عبد الهادى الشال ص ١٧٣ - ١٧٤ .

١ - **الفروق البيولوجية** : «يقول : « إن الأمور التى تفرق بين الرجل والمرأة لاتتحدد فى الأشكال الخاصة بأعضائهما الجنسية والرحم والحمل ، إن هذه الفروق ذات طبيعة أساسية نابعة من اختلاف نوع الأنسجة فى جسم كليهما ، كما أن المرأة تختلف عن الرجل كلياً فى المادة الكيماوية التى تفرز من الرحم داخل جسمها ، فكل خلية فى جسمها تحمل طابعاً أنثوياً ، وهكذا تتكون أعضاؤها المختلفة » - وفى جهازها العصبى وفى النظام وفى القوة البدنية وغير ذلك .

٢ - الفروق الفسيولوجية : - ومن الناحية الوظيفية أو الفسيولوجية فإن أعضاء الجسم تتخذ شكلاً يتناسب والاختلافات التشريحية فهناك فروق فى الكبد وفروق فى الدم وما إلى ذلك يقول « فيروسيه» فى دائرة معارفه : « إنه نتيجة لضعف دم المرأة ونمو مجموعها العصبى فإننا نرى مزاجها العصبى أكثر تهيجاً من مزاج الرجل فتركيبها أقل مقاومة لأن تأديتها لوظائف الحمل والأمومة والرضاعة تدفعها إلى هذا » .

كما يقول الدكتور (در فارينى) فى دائرة المعارف الكبيرة : « إن المجموع العضلى عند المرأة أصغر وأخف منه بمقدار عشرين جرام فى المتوسط فالرجل أكثر ذكاءً وإدراكاً والمرأة أكثر انفعالاً » (١) .

٣ - الفروق السيكولوجية : توجد فروق كثيرة بين الرجل والمرأة فى العاطفة ، فالمرأة أكثر حساسية وتأثراً بالظواهر الطبيعية ، كما يجذب انتباهها حادثة ما أكثر من فكرة معينة ، وانفعالات الرجل أعمق ولكنها أقل

---

(١) راجع بحث مشكلات الشباب وحلولها فى ضوء الكتاب والسنن للأستاذ على القاضى مقدم للمؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة ج٤ ص٦٥٤ .

، بعكس النساء التى تظهر عليهن الانفعالات الحادة الفجائية من غير كظم أو إخفاء ، « لأن المرأة بحكم خلقتها مرهفة الحس ، رقيقة المشاعر ، فياضة العاطفة ، فإذا ما رأى رجل وامرأة قاتلاً ومقتولاً توجه اهتمام الرجل إلى القاتل وما كان معه من آلة القتل ، وكيف قتل وإلى أين توجه ؟ ثم إلى محاولة إسعاف المقتولة .

أما المرأة فتدفعها عاطفتها فى هذه الحالة إلى البكاء ويتحول اهتمامها إلى شباب المقتولة ولباسها وحليها وربما غطت وجهها عن رؤيتها لأنها لاتقدر على رؤية الدماء فضبطها للحادثة ضعيف بسبب مالديها من رقة المشاعر » (١) .

وهذا كله يثبت أن القوامة لاتكون إلا للرجل ومن ثم فقد حاولت المجتمعات الأوربية والأمريكية إعادة دور الرجل مرة ثانية للبيت يقول « صمويل ليتهوفيدز » قاضى المحكمة الجنائية العليا فى « بروكلين » احتفظوا بسلطة الأب فى العائلة فإنه إذا فقد الأب سلطته انحلت عرى الأسرة وتفككت . وأنه كلما حاولت الأم أن تحل محل زوجها فى ممارسة هذه السلطة الطبيعية هدت ركناً من الأركان التى يقوم عليها صرح مستقبل أبنائها » (٢) .

رابعاً : أن هذه القوامة محكومة بمنطق القواعد القرآنية والنبوية ، فكل شئون الأسرة تدار ، وكل قراراتها تتخذ بالشورى ، أى مشاركة كل أعضاء الأسرة فى صنع واتخاذ هذه القرارات ، لأن هؤلاء الأعضاء مؤمنون بالإسلام ، والشورى صفة أصيلة من صفات المؤمنين والمؤمنات قال تعالى :

---

(١) راجع بحث وللرجال عليهن درجة للدكتورة : حصة أحمد الفداء ص١٠٠ بحولية كلية الشريعة والقانون العدد الثالث عشر .

(٢) مجلة المختار عدد أول مايو سنة ١٩٥٨م وراجع الإسلام وبناء المجتمع الدكتور يوسف عبد الهادى الشال ص ١٧٧ .



﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ (١)

والناظر فى أحوال الشورى المتعلقة بالأسرة يجد أن القرآن الكريم نص على أن الشورى تكون فى كل شئ حتى قرار الرضاعة للأطفال يقوم على الرضا الذى تثمره الشورى وذلك لدفع الحرج والضرر ولضبط شئون الأسرة بقيم المساواة والعدل قال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢) . هكذا فهم المسلمون معنى القوامةمسئوليةوتكاليف للرجل ، وتخفيف عن النساء ، رحمة بهن وقد كانت السنة النبوية هى البيان العملى لذلك فقد قال - ﷺ - « إنما النساء شقائق الرجال » (٣)، وفى التطبيق العملى فقد كان - ﷺ - فى خدمة أهله – أى أزواجه – وكان يأخذ بمشاورتهن فى الخاص والعام من الأمور وعندما سئلت أم المؤمنين عائشة عن عمله – صلى الله عليه وسلم – فى بيته قالت :كان بشراًمن البشر يغسل ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٣٧ – ٣٩ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٣٣ .

(٣) رواه أبو داود والترمذى والإمام أحمد .

كان يفعل ذلك وهو - صلى الله عليه وسلم - القوام على الأمة كلها فى الدين والدولة والدنيا جميعاً .

إن قوامة الرجل فى الأسرة اقتضتها مؤهلاته ومسؤولياته فى البذل والعطاء ، وهى قيادة محكومة بالمساواة والتناصر والتكافل بين الزوج وزوجه فى الحقوق والواجبات ومحكومة بالشورى التى يسهم فيها الجميع .

خامساً: أن القوامة الزوجية فى الإسلام سببها أمران :

أ - الأول : المفاضلة التى جعلها الله بين بعض الرجال والنساء ومصدر هذه المفاضلة هو الله - سبحانه وتعالى - الذى له المشيئة المطلقة فى ذلك : **﴿ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾** ، والله - تعالى - **﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾**. (٢) .

ب - الثانى : الإنفاق من المال وهو يقع على عاتق الرجل أياً كان مصرف هذا الإنفاق ، فالحياة الزوجية منذ بداية التفكير فى الخطبة وتقديم الهدايا حتى إتمام الزواج ودفع المهر والمنقولات الزوجية ثم نفقة المعيشة الزوجية - من مسكن ومأكل ومشرب وملبس وغير ذلك - ، حتى بعد انفصام عرى الزوجية بالطلاق وغيره من نفقة العدة والمتعة وغير ذلك من النفقات المالية التى يلتزم بها الزوج أثناء الحياة الزوجية وبعد انقضائها ، وجميع هذه النفقات واجبة على الزوج ، ولو كان فقيراً ، وكانت زوجته غنية ، لأن الأساس فى التزامه بها هو عقد الزواج الذى يربط بينهما .

---

(١) سورة النساء [٧٠] .
(٢) سورة الأنبياء [٢٣] .

المبحث الثالث

الادعاء بأن مكانة المرأة لا تتحقق إلا بالاختلاط والسفور

من أخطر الشبهات والدعوات الهدامة التى تعمل على إسقاط المرأة إلى الهاوية الدعوة إلى الحرية المطلقة من كل الضوابط والقيود ، حتى ولو كانت فيما يغضب الله فى الملبس والاختلاط ، تلك الدعوة التى حمل لواءها عدد كبير من أمثال : سلامة موسى ، وإحسان عبد القدوس ، ونزار قبانى ، وأمين يوسف غراب وغيرهم كثير من دعاة التغريب فى هذا القرن ، الذين نادوا من خلال كتاباتهم الأدبية والقصصية والغنائية إلى تجريد المرأة من كل القيم الأخلاقية . لقد حرضوا المرأة فى أدبهم على الخروج على الآداب الإسلامية وأغروها بأن تتبع طريق المرأة الغربية فى المأكل والملبس والمشرب وطرائق التفكير ! !

لقد كان الظن بهؤلاء أن يكونوا رواد نهضة حقيقية تبعث فى الأمة روح العمل والكفاح واستقرار الحياة الأسرية المتماسكة ، إلا أنهم حملوا معاول التهديم فى صرح كياننا الداخلى المتين لأنهم لايريدون بأعمالهم مصلحة الأمة ، ولا يندفعون وراء عقولهم ، بل وراء أهوائهم وشهواتهم وتراثهم المادى .

إن الأمر كما يقول الدكتور مصطفى السباعى : « إنى لا أرى فرقاً بين أثرياء الجنس وأثرياء الحرب ، فكلاهما يجد فى الأزمات فرصة للربح والكسب ، بل فى رأيى أن أثرياء الجنس أشد خطراً وأسوأ أثراً ، فلماذا نتركهم يخربون بيوتنا باسم الحرية ؟، وما كانت الحرية الخالصة من الشوائب ، إلا حرية بناء لاتهديم، وحرية تقدم حقيقى لارجوع إلى الوراء آلاف السنين .

ومن الغريب أنهم يقصرون إنتاجهم كله على هذا النوع المؤدى إلى تفسخ الأخلاق وانحلال الأسرة وشيوع الميوعة » (١) .

فمثلاً : يدعوا سلامة موسى إلى الاختلاط ، ويعتبر أن أسباب العنوسة وعدم الزواج راجع إلى خيبة الشباب فى عدم تعويدهم على الاختلاط وتكوين شخصية جنسية راقية فيقول : « إن الشاب والفتاة يفقد أحدهما الآخر ، ولايتم الزواج لأنهما لم يتعودا الاختلاط ولم تكن لهما شخصية جنسية راقية مهذبة رشيقة .. إن أكبر الخيبة فى الحياة هى خيبة الشاب ... الذى نشأ منفصلاً عن الجنس الآخر ... إن الشاب الإنجليزى أو الفرنسى . يسارع إلى الحديث والاختلاط كما تسارع البطة إلى الماء . فى مباراة جنسية غايتها يد فتاة ما ، يتغلب الشاب الأوربى على الشاب المصرى تغلباً ساحقاً » (٢) !!

ولم يقف الأمر عند سلامة موسى عند هذا الحد بل حاول تغيير كل ما يتصل بالأسرة واستقرارها فقال : « يجب أن يكون الناس أحراراً فى تبديل قوانين الحكم والزواج والطلاق والتربية والأخلاق وسائر ما يؤثر فى حياة الفرد والسلالة » (٣) . !!

الرد على دعوة الاختلاط :ـ

أولاً : إن الإسلام لا يسمح للمرأة المسلمة أن تجتمع مع الرجال إلا فى ثلاثة مواطن هى :ـ

أ ـ مواطن العبادة : فيجوز لها أن تحضر صلاة الجمعة وصلاة الجماعة على أن يكون مكانها منفصلاً عن الرجال .

ب ـ فى أماكن العلم : فيجوز لها أن تحضر مجالس العلم مع الرجال

---

(١) راجع الدكتور مصطفى السباعى المرأة بين الفقه والقانون ج (ص١٩٧ : ١٩٨)

(٢) سلامة موسى الشخصية الناجعة : مطبعة دار العلم العربى ص ٤٢-٤٣ .

(٣) أنور الجندى الشعوبية فى الأدب العربى الحديث ط دار الاعتصام ص ١٥٨ .

على أن تكون منفصلة عنهم أيضاً ، وأن تكون مرتدية اللباس الشرعى الذى لايبدى غير وجهها وكفيها .

جـ- فى ميدان الجهاد : حين يعلن النفير العام، ويصبح الجهاد فرض عين فتخرج للجهاد مع الرجال على أن تكون منفصلة عنهم ، لها مكانها الخاص وتجمعاتها الخاصة .

ثانياً : إن فلسفة الإسلام فى هذه الأحكام السابقة متمشية مع فلسفته الخاصة بالمرأة ، فهو يرى أن إكرامها يكون بالاعتراف بحقوقها التى تقتضيها أهليتها ، وإبعادها عن مواطن الشبهات ومزالق الشهوات ، حتى تكون لها سمعتها العطرة كفتاة يتزاحم الشباب على الاقتران بها ، وكزوجة يتحدث الناس عن إخلاصها لزوجها واستقامتها ، وليست كبطة تسارع إلى الماء ! ، وكأم تعرف كيف تغرس فى نفوس أبنائها وبناتها معانى الشرف والفضيلة والكرامة والرجولة الكاملة أو الأنوثة الفاضلة .

ثالثاً : إن النفس الإنسانية أمارةٌ بالسوء وطبيعة الرجل إذا التقت مع طبيعة المرأة كان منهما ما يكون بين كل رجل وامرأة من الميل والأنس والاستراحة إلى الحديث والكلام ، وبعض الشئ يجر إلى بعض ، وإغلاق باب الفتنة أو الشبهة أحزم وأحكم وأبعد . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ (١) .

لهذا كله تشدد الإسلام فى منع اختلاط النساء بالرجال ، وقد قامت حضارته الزاهرة التى فاقت كل الحضارات فى إنسانيتها ونبلها وسموها على الفصل بين الجنسين ولم يؤثر هذا الفصل على تقدم الأمة المسلمة وقيامها بدورها الحضارى الخالد فى التاريخ .

---

(١) سورة النور آية رقم ٢١ .

رابعاً : إن الإحصائيات والدراسات العلمية أكدت أن آثار الاختلاط بين الجنسين والعرى مدمرة وقاتلة فى جميع المجتمعات . تقول الكاتبة الإنجليزية : « اللادى كوك » فى جريدة « الأيكو » : « إن الاختلاط يألفه الرجال ، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها ، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا »

ثم قالت : « أما آن لنا أن نبحث عما يخفف - إذ لم نقل يزيل - هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية ، أما آن لنا أن نتخذ طرقاً تمنع قتل ألوف الآلاف من الأطفال الذين لا ذنب لهم ، بل الذنب على الرجل الذى أغرى المرأة المجبولة على رقة القلب » ثم نادت تقول : « يا أيها الوالدان .. علموا بناتكم الابتعاد عن الرجال ... إن البلاء الناتج من حمل الزنا يعظُم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال ، ألم تروا أن أكثر أمهات أولاد الزنا من المشتغلات فى المعامل والخادمات فى البيوت وكثير من السيدات المعرضات للأنظار ... لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها فى الإمكان ،،، وهذا غاية الهبوط بالمدنية » (١) .

هكذا تنادى هذه الكاتبة على أبناء شعبها بدافع الولاء والحب لتحقيق نهضة حقيقية تبعث روح العمل والكفاح ، وليست ككُتَّابنا الذين لاهم لهم إلا التخريب والتهديم ، ونسوا أن الإسلام يعمل على إبعاد كل مسلم ومسلمة عن مجرد القرب لدواعى الزنا وأسبابه ومسبباته ، لأنه نذير شؤم على الأمم والمجتمعات والأفراد قال - ﷺ - منبهاً : « لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها إلافشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم

(١) مجلة المنار للسيد رشيد رضا ص ٤٨٦ ، وراجع : الدكتور مصطفى السباعى : المرأة بين الفقه والقانون ص ١٩٠ .

الذين مضوا » (١) ولهذا نهى الله عباده عن مجرد النظر إلى النساء الأجنبيات ، وأمرهم بحفظ فروجهم قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ... ﴾ (٢) .

خامساً : أن الإسلام يعمل على إبقاء أنوثة المرأة كما يبقى على رجولة الرجل ويحول دون أن تتحول المرأة إلى رجل أو يتحول الرجل إلى امرأة كما حرم الإسلام على المرأة أن تكشف عن بدنها ، وأن تخلو بغيرها أو تخالط سواها من الرجال . بل ذهب الإسلام إلى أبعد من ذلك فنهى عن رؤية المرأة لصديقتها وهى بملابسها الداخلية ثم نقل تلك الرؤية بأوصافها إلى زوجها أو رجل أجنبى عن صديقتها واعتبر ذلك لون من ألوان الخيانة . ودليل ذلك ما يلى :

١ - أن الإسلام حرص على تأكيد خصائص الفطرة وتقويتها فى كل من الجنسين ، وطلب من كل منهما أن يقوم بدوره فى الحياة حسب فطرته وطبيعته ولهذا جاء اللعن لكل من غيرً فى فطرته فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » (٣) .

٢ - حذر الإسلام من فتنة المرأة وفسادها لأن خروج النساء عن دورهن الطبيعى كاسيات بثياب شفافة لاتستر ماتحتها أو تبخترهن فى مشيتهن

---
(١) رواه ابن ماجه . راجع الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٢٢٥ .
(٢) سورة النور آية رقم : ٣٠ - ٣١ .
(٣) صحيح الإمام البخارى جـ .

مائلات مميلات لغيرهن من النساء من أشد أنواع الفتنة كما قال - ﷺ : « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » (١) ولهذا جاء تحذيره - ﷺ - من فتنة المرأة فعن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ - : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذ وكذا » (٢) .

سادساً : إن الاسلام دعا إلى حسن الملبس وحسن التجمل على أساس أن للباس مهمة أساسية هى ستر العورة وهو جسد المرأة كله ماعدا الوجه والكفين عند بعض العلماء ، وستر الجسد كله عند البعض الآخر .

---

(١) صحيح الإمام البخارى : كتاب النكاح جـ ٧ ص ١٠ ،١١ .

(٢) صحيح الإمام مسلم جـ ٦ ص ١٦٨ .

المبحث الرابع

الادعاء بأن الحجاب (١) يقتل طموحات المرأة

يحاول كثير من العلمانيين من خلال وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية إفهام المرأة أن الحجاب لا يتماشى مع روح العصر ، لأنه يقتل مالدى المرأة من طموحات ، وهو السبب الوحيد فى كثير من المشاكل التى تعترض طريقها . بل هو السبب فى وأد شخصيتها .

وقد سلك هذاالطريق عدد كبيرمن الكتاب، وسوف نذكربعض النماذج لهؤلاء :-

١- يعتبر سلامة موسى أن حجاب المرأة أسوأ من القتل والعتو ، والفجور والفاقة فيقول : « إن الحجاب يئد الشخصية فى المرأة وأنه يغرس فى نفسها اعتقاداً مستقراً راسخاً بأنها دون الرجل » (٢) ثم يعتبر أن الحجاب لاتمارسه إلا العائلات المتخلفة أماالعائلات الراقية فقد خلعته دلالة على رقيهافيقول :«لقد أوشكنا فى مصر أن نتخلص من الحجاب الذى لم تعد تمارسه سوى العائلات المتأخرة ولكن الحجاب الروحى لا يزال باقياً » (٣) وينتقل بعد ذلك فى هجومه على بقاء الحجاب الروحى ، الذى أصاب المرأة بالهوان والانحطاط فيقول : « إن المرأة الشرقية تعيش فى حالة من الضعة والهوان والانحطاط لأنها لم تتخلص من تقاليد الحجاب الروحى » (٤) ويعتقد أن بقاء الحجاب فى مصر

---

(١) مادة حجب تأتى فى اللغة بمعنى : الستر ، والمنع ، وبداية الشئ ، وأوله . وحجب الشئ أى ستره سواء بثياب أو حائل أو حائط . ويقال للعظم الذى فوق العين بما عليه من لحم والشعر النابت عليه حاجب العين . ولاحت حواجب الصبح أى أوائله . والأخوة تحجب الأم عن الثلث فى الميراث . انظر المعجم الوجيز صـ١٣٥ وأساس البلاغة صـ١٥٣ . ومن ثمّ يكون للحجاب الخاص بالنساء صورتان . صورة عامة وهى ستر بدن المرأة كله بثياب سابغ ، وهو ستر يساعد على تحقيق خلق العفاف وصفاء الذهن وراحة القلب وطهارة البدن .

وصورة خاصة بأمهات المؤمنين وهو الحجاب داخل البيت ومحادثة الأجانب من وراء حجاب .

(٢) راجع سلامة موسى : الشخصية الناجعة ص٥٦ .

(٣) راجع سلامة موسى : الشخصية الناجعة ص٥٧ .

(٤) راجع الشخصية الناجعة لسلامة موسى ص٥٩ .

يعتبر ضربة من أشد الضربات التى وجهت إليهابل أشد من النظام الملكى العاتى والطبقية المتسلطة فيقول

:« إذا كان المجتمع المصرى قد ضوب بضربات عدة ثقيلة حطمت كيانه ، وهدمت شخصيات أفراده من الملوكية العاتية ، إلى الأرستقراطية الفاجرة إلى الفاقة المهينة إلى غير ذلك ، فإن حجاب المرأة يجب أن يعد من أفدح هذه الضربات ليس للمرأة وحدها بل للرجل أيضاً ... هذا الحجاب أفسد مجتمعنا » (١) .

هكذا يعتقد العلمانيون الذين لا هم لهم إلا محاربة الفضيلة ، لأن هدفهم الأكبر هو تدمير الأسرة وتغيير الأعراف الإسلامية ، وهدم رسالة المرأة كأم، وزوجة وربة أسرة حتى يفقد الشباب والفتيات النموذج الطيب والقدوة الحسنة فى الآباء والأمهات .

٢ – إن من أعجب العجب أن نجد لدعوة السفور أساتذة جامعيين ينادون بمثل ما ينادى به كتاب القصص والمسلسلات التليفزيونية والسينمائية من هؤلاء الأستاذ الدكتور محمد شحرور الذى كتب مؤلفاً سماه «الكتاب والقرآن قراءة معاصرة » تزيد صفحاته عن سبعمائة صفحة ، شحنه بالكذب والافتراء والتضليل للطعن فى الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً واستهدف به المسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً حاول فى كتابه أن يجعل القرآن الكريم نفسه غطاءً لأفكاره ، وتصوراته الفاسدة ، تحدث فى كتابه عن المرأة بلا وازع من أخلاق أو ضمير أو منطق ليفتح الباب على مصراعيه لممارسة الفاحشة ، ولكن العجيب أنه أراد أن يقدم ذلك بسند شرعى من القرآن الكريم فيقول عن لباس المرأة (٢) وهو يشرح آية سورة النور : ﴿ وقل للمؤمنات

---

(١) المصدر السابق ص٣٧ .

(٢) الدكتور : محمد شحرور : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص٦٠٥ .

يغضضن من أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

فيذكر كلاماً خطيراً فى تفسيره لهذه الآية لم يذكره أحد من علماء الأمة من قبل ، فبعد أن يقسم الزينة إلى ثلاثة أنواع يقول : « فجسد المرأة كله زينة والزينة هنا حتماً ليست المكياج والحلى وماشابه ذلك ، وانما هو جسد المرأة كله ، وأن هذا الجسد مقسم إلى قسمين : –

– قسم ظاهر بالخَلْق .. أى ما أظهره الله سبحانه فى خلقه كالرأس والبطن والظهر والرجلين واليدين ، ونحن نعلم أن الله – سبحانه وتعالى – خلق الرجل والمرأة عراة دون ملابس .

– قسم غير ظاهر بالخَلْق : أى أخفاه الله فى بنية المرأة وتصميمها . هذا القسم المخفى هو الجيوب فى المرأة ... وهى مابين الثديين وتحت الثديين وتحت الإبطين والفرج والإليتين هذه هى الجيوب . التى يجب على المرأة المسلمة أن تغطيها فقط ، لغير المذكورين فى الآية ثم يطرح سؤالاً ويجيب عليه فيقول فى ص ٦٠٧هل هذا يعنى أن المرأة المؤمنة يحق لها أن تظهر عارية تماماً أمام هؤلاء المذكورين أعلاه والمذكورين بنص الآية » ؟ ثم يجيب على سؤاله فيقول : «أقول نعم يجوز . وإذا أرادوا أن يمنعوها فالمنع

---

(١) سورة النور آية رقم ٣١ .

من باب العرف وليس من باب الحرام والحلال » ثم يزيد كلامه بياناً فيقول : « أى إذا شاهد والد ابنته وهى عارية فلا يقول لها : هذا حرام ، ولكنه يقول لها هذا عيب .. ويجب أن يفهم من كلامى أننى لا أدعو المرأة أن تجلس عارية ، ولكن إذا حصل ذلك فليس حراماً » (١) .

وهكذا يحاول أستاذ الجامعة الذى يفترض فيه الأمانة والعفة والأخلاق والقيم أن يحول بيوت كل الأسر المسلمة إلى نوادٍ للعراة ! ! مقابل ثمن بخس دراهم معدودة من أعداء الأمة وأعداء الطهر والفضيلة .

الرد على هذه الفرية : ـ

فى ردنا على دعوة حرية المرأة المطلقة فى السفور والعرى نذكر هذه الحقائق : ـ

أولاً : إن الإسلام رفع ذوق المجتمع الإسلامى وطهر أحاسيسه بالجمال فلم يعد الطابع الحيوانى للجمال هو المستحب ـ كما ينادى أصحاب الفكر العلمانى ـ بل الطابع الإنسانى المهذب ، ولهذا أكد الإسلام على جمال الحشمة والوقار لأنه هو الجمال النظيف الذى يرفع الذوق الجمالى عند الإنسان ، والإسلام يحيط هذا الجمال ، جمال الحشمة والحجاب بالنظافة والطهارة والإخلاص لله بقصد مرضاته .

ثانياً : إن الحجاب مفروض على المرأة المسلمة بنصوص صريحة من الكتاب والسنة . فمن الكتاب

١ ـ قوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ

(١) راجع : الدكتور محمد شحرور : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ط ٢ ١٩٩٠م دار الأهالى للطباعة والنشر دمشق ص ٦٠٥ ـ ٦١٢ .



إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

٢ - من أدلة وجوب الحجاب أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ (٢) .

٣ - من أدلة الوجوب أيضاً قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ (٣) .

قال ابن عباس أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤسهن بالجلاليب (٤) ولما نزل قوله تعالى : ﴿ وليضربن بخمورهن على جيوبهن ﴾ عمد نساء المؤمنين إلى خمورهن فشققنهن وأرخينها على أعناقهن .. والجيب هو شق فى طول القميص فإذا ضربت المرأة بالخمار على الجيب سترت عنقها ، وأمرت بعد ذلك أن ترضى من جلبابها (٥) .

٤ - ومن أدلة وجوب الحجاب - أيضاً - قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ (٦) .

قال القرطبى : « يدخل فى هذه الآية جميع النساء بالمعنى وبما تضمنته

---

(١) سورة النور آية رقم ٣١ .
(٢) سورة النور آية رقم : ٦٠ .
(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٥٩ .
(٤) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٥١٨ .
(٥) تفسير سورة النور لابن تيمية ص ٦٩ .
(٦) سورة الأحزاب آية رقم ٥٣ .

أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة (١) .

٥ - من أدلة وجوب الحجاب أيضا قوله تعالى : ﴿ لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ ﴾ (٢) قال ابن كثير لما أمر الله النساء بالحجاب عن الأجانب بين أن هؤلاء الأقارب لايجب الاحتجاب منهم كما استثناهم فى سورة النور عند قوله تعالى : ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ﴾ (٣) .

أما أدلة السنة فمنها :-

١ - ماثبت فى الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة قالت : « كان رسول الله - ﷺ - يصلى الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات بمروطهن ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد من الغلس ، وقالت : « لو رأى رسول الله - ﷺ من النساء ما رأينا لمنعهن من المساجد (٤) .

وجه الدلاله من هذا الحديث من وجهين :

الأول : أن الحجاب والتستر كان من عادة المؤمنات فى عهد الرسول - ﷺ - تطبيقاً لأمر الله وأمر رسوله .

الثانى : أن عائشة وابن مسعود فهما ما شهدت به النصوص الشرعية أن المرأة مأمورة أن تضرب بالخمار على جيبها كما قال ابن عباس : أمر الله نساء المؤمنين أن يغطين وجوههن بالجلابيب إلا عيناً واحدة ليعلم أنهن حرائر (٥) .

الثالث : قال الإمام الطبرى فى تفسيره عن ابن سيرين أنه قال : سألت

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١٤ ص ٢٢٩ .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٥٥ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٥٠٦ .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) راجع تفسير آيات الأحكام ، محمد على الصابونى جـ ٢ ص ٣٨٣ .

عبيدة السلمانى عن قوله تعالى : « يدنين عليهن من جلابيبهن فرفع ملحفة كانت عليه فتقنع بها وغطى رأسه كله حتى بلغ الحاجبين » (١)

وروى ابن جرير وأبو حيان عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن الحجاب وكيفيته فقال : تلوى الجلباب فوق الجبين . وتشده ثم تعطفه على الأنف وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه (٢) .

شروط الحجاب الشرعى :

يشترط فى الحجاب الشرعى بناءً على ماسبق عرضه بعض الشروط الضرورية وهى كالآتى : ـ

أولاً : أن يكون الحجاب ساتراً لجميع البدن لقوله تعالى : « يدنين عليهن من جلابيبهن » . والجلباب هو الثوب السابغ الذى يستر البدن كله ، ومعنى الإدناء الإرخاء والسدل فيكون الحجاب الشرعى ماستر جميع البدن .

وعلى هذا فإن أى لباس ينكشف معه شعر المرأة أو ساعدها أو ساقها يعتبر لباساً ممنوعاً محرماً لما فيه من دعوة ضمنية إلى الرذيلة والتحلل الخلقى الذى لا يستطيع الآخرون معه الحفاظ على أخلاقهم وأخلاق أسرهم وأبناء مجتمعهم ، ذلك أن الحياة العامة ملك مشترك بين الجميع ، ولا يستطيع أى إنسان أن يمنع الآخرين من ولوجها ، وعلى جميع المسلمين أن يكفوا عن أى عمل يلحق الأذى بالآخرين (٣) .

ثانياً : ألا يكون زينة فى نفسه مرصعاً بالمعادن الثمينة أو الأحجار الكريمة ، أو مبهرجاً ذا ألوان جذابة يلفت الأنظار . فإذا كان فى ذاته زينة

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨٣ .

(٢) راجع تفسير البحر المحيط لأبى حيان ج٧ ص٢٥٠ .

(٣) أنور الجندى المرأة المسلمة فى وجه التحديات ص٥٨ .

لايسمى حجاباً لأن الحجاب هو الذى يمنع ظهور الزينة للأجانب .

ثالثاً : ألا يكون الثوب فيه تشبهاً بالرجال ، أو مما يلبسه الرجال لحديث أبى هريرة : « لعن النبى - ﷺ - الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل » (١) .

وحديث « لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » أى المتشبهات بالرجال فى أبائهن وأشكالهن والذى نخلص إليه ما يلى : -

١ - أن الحجاب مفروض على جميع نساء المؤمنين وهو واجب شرعى محتم .

٢ - أن الحجاب الشرعى يجب أن يكون ساتراً للزينة ولجميع البدن .

٣ - أن الحجاب لم يفرض على المسلمة تضييقاً عليها وإنما تشريفاً وتكريماً لها .

٤ - فى ارتداء الحجاب الشرعى صيانة للمرأة ، وحماية للمجتمع من الفساد .

٥ - إن الإسلام أباح للمرأة أن ترى الرجال وأن يراها الرجال ، ولم يحظر ذلك ، وإنما وضع له آداباً رفيعة تكفل أمن الفتنة فتتم الرؤية فى إطار هذه النصوص .

قال تعالى ﴿ وَلاَ يبدين زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وليَضربنَ بخمرهن على جيوبهنّ ﴾ وقوله سبحانه : « قُلْ لِلْمُؤْمِنِين يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ويَحفظُوا فرُوجَهُم » وقوله عز وجل : « وقلْ للمؤمِنَات يَغْضُضْنَ من أَبْصَارِهنّ . ويحفظن فروجهِنّ » .

---

(١) رواة أبو داود والنسائى جـ ٦ ص ٥٧ .

المبحث الخامس
الإدعاء بأن نظام تعدد الزوجات اعتداء على مكانة المرأة

أعلن المستشرقون والعلمانيون الحرب السافرة على نظام تعدد الزوجات في الإسلام واعتبروه اعتداءً على مكانة المرأة ، والعجيب أن هؤلاء تكتظ بلادهم باللقطاء وتئن أسرهم من التفكك والانحلال ومع كل هذا يتبجحون في غير حياء ولا خجل بشن حملاتهم الدنيئة ضد النظام الإلهي الحكيم الذي شرعه الله لعباده ، والأعجب من المستشرقين أولئك الذين تربوا في مدارسهم وعلى أفكارهم الخبيثة ، أو اقتدوا بسيرتهم مستهدفين من حملتهم وأد المرأة في كل مناحي الحياة من خلال رفع شعار الدفاع عن المرأة .

والناظر في شبهات هؤلاء وأولئك بالنسبة لتعدد الزوجات يجد أنها تنحصر في الأمور الآتية :

١ - أن في أباحة الإسلام تعدد الزوجات مسايرة للرجال في شهواتهم الجنسية على حساب المرأة .

٢ - في التعدد إهدار لكرامة المرأة وإجحاف بحقوقها حيث يشاركها غيرها في زوجها وينازعها سلطة بيتها .

٣ - أن في التعدد اعتداء على مبدأ المساواة بين الجنسين بإعطاء الرجل حق التعدد ، ومنع المرأة هذا الحق .

٤ - أن في التعدد مجالاً للنزاع الدائم بين أفراد الأسرة مما ينشأ عنه الاضطراب والتشرد .

٥ - أن التعدد مجالاً لكثرة النسل الذي يدفع إلى العيلة والفاقة .

٦ - أن نظام التعدد لايتناسب مع عصر نالت فيه المرأة حقوقها كاملة لأنه نظام بدائي لايسود إلا في المجتمعات البدائية المتأخرة .

هذا ما قيل حول التعدد من مآخذ ، وسنبين - بإذن الله تعالى - بطلان هذه المآخذ والشبهات في مطلبين في المطلب الأول : الرد العام ، وفي الثاني : تفنيد لكل شبهة بمفردها.

المطلب الأول

في بيان بطلان ما قيل عن إهانة الإسلام للمرأة من خلال قضية التعدد

ما ذكرناه هو مجمل المآخذ والشبهات التى أعلنها المستشرقون والعلمانيون .

وسوف نجيب على هذه الشبهات بإجابة مجملة ثم بإجابة مفصلة :

أولاً : أن الاقتصار على زوجة واحدة لم يوجد فى التاريخ ، وجميع الديانات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام أباحت تعدد الزوجات للرجل ، ولهذا فسوف نتحدث عن التعدد فى اليهودية .

١ – التعدد فى اليهودية :

المستشرقون ومعظمهم يهود يتركون ماعندهم من أمور ويتجمعون على محاربة النظم الإسلامية فى نظام تعدد الزوجات ، ويعتبرونه إجحافاً بحق الزوجة الأولى والزوجة الثانية .. الخ . ولم ينظروا إلى ما فى أيديهم من كتب يقدسونها وتبيح التعدد وهذه بعض الأمثلة .

١ – التعدد ثابت فى العهد القديم على سبيل الجزم أن إبراهيم - عليه السلام – كان له أكثر من زوجة ، وأن إسحاق وُلِدَ له عيسوى ويعقوب . وأن عيسوى جمع بين خمس زوجات هن : يهوديت ، وبسمة ، ومحلة ، وعدا ، وأهوليانة ،

٢ ـ يعقوب جمع بين أربع زوجات هن : ليئة وشقيقتها راحيل ، ثم بلهه ، وزلفة (١) .

ويقول بنو خلد صاحب كتاب قوانين الزواج عند العبرانيين الأقدمين : «إن التلمود والتوراة معاً قد أباحا تعدد الزوجات على إطلاقه » (٢) .

---

(١) راجع : العهد القديم : سفر التكوين الإصحاح التاسع والعشرون فقره : ١٥ ـ ٣٠ والإصحاح الرابع والثلاثون فقره : ٨ ـ ١٢ . والإصحاح .

(٢) المرأة فى القرآن للأستاذ عباس العقاد ص ١٣٠ .

٣ ـ لايستطيع اليهود والنصارى أن ينكروا ما ورد فى العهد القديم من أن تعدد الزوجات كان مباحاً فى شريعة موسى وكان مطلقاً من كل قيد أو حد ، مع إباحة اتخاذ السرارى دون تحديد للعدد ،

فـ «جدعون » جمع بين نساء كثيرات لاحصر لهن ولدن له سبعين ولداً . كما ذكر سفر القضاة (١) وداوود جمع بين تسع زوجات أولاً ثم وصلوا تسعا وتسعين ثم قيل إنهن زدن عن الحصر . وأن « رحبعام » جمع بين ثمان عشرة زوجة ، وأبوه سليمان جمع بين سبعين زوجة (٢) ، بل إن سفر الملوك يصرح بأن سليمان كان لديه سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى (٣) . وأن « أبيامالك » جمع بين أربع عشرة زوجة .

وفى سفر التثنيه ورد أن موسى ـ عليه السلام ـ نص على وجوب عدم التمييز بين ابن الزوجة المحبوبة على ابن الزوجة المكروهة إذا كان للرجل زوجتان (٤) .

٢ ـ التعدد فى الديانة المسيحية :

المسيحيون يؤمنون بكل أسفار العهد القديم ويعتقدون أن عيسى ـ عليه السلام – أمرهم بكل ماجاء به موسى ـ عليه السلام – فالمسيح لم يحرم التعدد بل على العكس كان يضرب لهم الأمثلة التى توضح لهم تشريع

---

(١) العهد القديم : سفر القضاة : الإصحاح الثامن فقره : ٣٠ .

(٢) العهد القديم : سفر صموئيل الأول الإصحاح الأول فقرة : ١ ـ ٢ وصموئيل الثانى : الإصحاح الثالث : فقرة : ١ ـ ٥ والإصحاح الحادى عشر فقرة : ٢٦ ـ ٢٧ وسفر الملوك الأول : الإصحاح الثالث : فقرة : ١ ـ ٤ وفقرة : ٣١ . وسفر أخبار الأمام الثانى والإصحاح الحادى عشر والثالث عشر والرابع عشر .

(٣) سفر الملوك : الإصحاح الحادى عشر.

(٤) سفر التثنية الإصحاح الحادى والعشرون فقره : ١٥ – ١٧ .

التعدد ففى إنجيل متى نجد هذا المثل الذى يدل على أن الجمع بين خمس زوجات جائز، والجمع بين عشر زوجات جائز فجاء أن « عشر عذارى كن ينتظرن عريساً ليلاً ، وكان منهن خمس حكيمات ، وخمس جاهلات ، أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتاً ، وأما الحكيمات فأخذن زيتاً فى آنيتهن مع مصابيحهن ، وفيما أبطأ العريس نفس جميعهن ونمن ، ففى نصف الليل صار صراخ هو ذا العريس مقبل فخرجن للقائه . فقامت جميع أولئك العذارى ، وأصلحن مصابيحهن . فقالت الجاهلات للحكيمات أعطيننا من زيتكن فإن مصابيحنا تنطفئ .

فأجابت الحكيمات قائلات : لعله لايكفى لنا ولكن بل اذهبن إلى الباعة وابتعن لكن ، وفيما هن ذاهبات ليبتعن جاء العريس والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأغلق الباب . أخيراً جاءت بقية العذارى قائلات : ياسيد ياسيد افتح لنا . فأجاب وقال الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن » (١) .

فلو كان الجمع بين الزوجات حراماً فى المسيحية لما ضرب المسيح مثلاً للسعادة فى ملكوت السماء بشئ حرام ! !

والأمثلة التى تبين أن التعدد كان منتشراً بين المسيحيين لأن الأناجيل لم تحرمه كثيرة من ذلك : -

١ - لما تولى الإمبراطور « فالنتيان » الثانى الذى حكم الإمبراطورية الغربية بروماسنة ٣٧٥م جاهر بحرية التزوج بأكثر من واحدة اتباعاً للقواعد المسيحية الصحيحة .

٢ - الإمبراطور « ليو » السادس ٨٨٦ - ٩١٢م تزوج بثلاث زوجات وجمع

---

(١) إنجيل متى الإصحاح الخامس والعشرون فقرة : ١-١٣ .

بينهن وتسرى برابعة أنجبت له قسطنطين الذى حكم بعد أبيه

٣ - أعلن مارتن لوثر [١٤٨٣ - ١٥٤٦] م أنه من أنصار التعدد لأن المسيح لم يحرمه - وأباح لوثر لفليب أمير « هس » أن يجمع بين زوجتين .

٤ - كثر تعدد الزوجات بعد معاهدة وستفاليا سنه ١٦٤٨م بعد حرب الثلاثين سنة التى كانت بين ألمانيا وفرنسا ومات فيها نصف الرجال .

٥ - تزوج « هنرى » الثامن ملك إنجلترا من كاترين ثم آن بولين ، ثم حنا سيمور . وجمع « دياريت » ملك بلغاريا بين زوجتين ، وكذلك ملوك السويد والنرويج وشرلمان .

٦ - عقب فتوى مارتن لوثر تكونت طوائف مسيحية تقول إن المسيحى الحق هو من يجمع بين عدة زوجات منهم طائفة « أنا بابتست » وعرفوا فى هولندا باسم « مينوميت » وفى إنجلترا باسم « برسيريان » (١) .

هكذا نجد نظام التعدد فى اليهودية والمسيحية واضحاً صريحاً ، ولكن أصحاب الدعوات المسمومة يريدون تعدد الصديقات والخليلات ، إنهم يريدونه بدون نظام وبدون قيود ولاتبعات إن نظام التعدد - وبخاصة نظامه فى الإسلام - نظام أخلاقى إنسانى . أما إنه أخلاقى فلأنه لايسمح للرجل أن يتصل بأى امرأة شاء ، وفى أى وقت شاء ، إنه لايجوز له أن يتزوج بأكثر من أربع ولا يجوز له أن يتصل بواحدة منهن سراً ، بل لابد له من العدل فى المبيت والطعام والشراب والسكن . إنه نظام يحفظ الأخلاق ويشرف الإنسان، والإسلام شرع التعدد إذا وجدت دوافعه :

---

(١) راجع : بحث الحدود فى الإسلام : للقاضى محمد أفضل شيمة . المقدم للمؤتمر العالمى الثالث للسنة والسيرة جـ ١ ص ٣٨٣ .

الإسلام شرع التعدد إذا وجدت دوافعه .

إن الإسلام لم ينشئ نظام تعدد الزوجات ، وإنما جاء فوجده شائعاً لدى كل الأمم مطلقاً من كل القيود والضوابط ، فوقف منه موقفاً حكيماً وسلك فيه طريقاً وسطاً لا إفراط فيه ولاتفريط ، فلم يحرم الإسلام التعدد ويفرض على الناس الاكتفاء بالزوجة الواحدة ، ولم يمنعه وإنما شرعه إذا وجدت دوافعه وأسبابه والتى منها ما يلى : ـ

أولاً : أسباب تعود إلى الزوجة نفسها : كمرض عضال أقعدها عن واجبات الزوج ، أو عاهة مستديمة أصابتها ، بها أصبحت مشوهة أو عقم أفقدها وظيفة الأمومة ، أو مرض معدٍ أو منفر، أو ضعف لرغبتها الجنسية ، أو طول لفترات حيضها ونفاسها أو تمرد منها على زوجها ، أو نحو ذلك مما يقلل استمتاع الرجل بها ، وكان الرجل لها مخلصاً فكرهَ أن يطلقها صوناً لها ... فهل إذا تزوج عليها يكون قد جاء شيئا نكراً (١) .

ثانياً : أسباب تعود إلى الرجل نفسه : كقوة شديدة فى غريزته الجنسية أو رغبة ملحة فى كثرة النسل لأنه قادر على تلبية حاجاتهم ، وإحسان تربيتهم أو عاطفة لا يملك لها دفعاً نحو امرأة أخرى .

فهل إن أرضى دوافعه هذه بطريقة مشروعة منظمةٍ مع بقاء الزوجة الأولى أو الثانية أو الثالثة يكون قد أساء إلى الأخريات ! !

ثالثاً : أسباب اجتماعية : كأزمات تمر بالدول فتجتاح الرجال وتسبب زيادة فى عدد النساء زيادة يختل بها التوازن العددى بين الجنسين ، أو تكون زيادة النساء عن الرجال حالة طبيعية ، وقد ثبت أن زيادة عدد الإناث

---

(١) انظر الدكتور عبد التواب هيكل : ضحد الشبهات الواردة على تعدد الزوجات فى الإسلام بحث مقدم للمؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة بالدوحة ص ٢٩٧ .

ظاهرة مضطردة فى كثير من الكائنات الحية كما يقول بذلك علماء الأحياء (١) .

رابعاً : أسباب خلقية : خاصة تتعلق بالرجل وعشيرته فقد تكون له قريبة تأيمت ولها أطفال صغار فإن تزوجت برجل أجنبى غير متزوج فلن يقبل فى الغالب أن يضم أطفالها معها إليه .

أفليس من الأفضل فى هذه الحالة أن يتزوج الرجل قريبته هذه ويضم أولادها إليه ليكونوا جميعاً تحت رعايته مع زوجته الأولى ؟ .

وقد يكون للرجل أخ توفى وترك زوجته وأولاده ، أليس من الأفضل فى هذه الحالة أن يتزوج زوجة أخيه ويضم أولاد أخيه إليه ولايتركها تتزوج بآخر غير متزوج ويصبح أولاد أخيه فى يتم من الأب والأم ؟ !! . وهل يقاس ضرر زوجته الأولى بالضرر الذى كان سيحل بأبناء أخيه ؟ .

خامساً : أسباب عارضة : كرجل اقتضت طبيعة أعماله كثرة الأسفار وقد تستغرق إقامته في غير بلده بضعة أشهر ، ولا يستطيع أن يصطحب زوجته وأولاده كلما سافر .

فماذا عليه لو تزوج بامرأة زواجاً شرعياً يكفل لها ولأولادها حقوقهم المشروعة ، ويعف نفسه بهذا الزواج بعيداً عن الغواية والفساد .

كما أن حياة رجل واحد مع عدد من النساء ظاهرة اجتماعية موجودة على امتداد الزمان والمكان ، إما باسم تعدد « الحليلات » - أى عن طريق الزواج - وهو أفضل وأسلم للمرأة والأسرة والمجتمع .

---

(١) انظر محمود عباس العقاد المرأة فى القرآن الكريم ص١٠٩ .

وإما باسم تعدد « الخليلات » ، وهو ضياع للمرأة وخراب للأسرة ووبال على المجتمع .

كما أن إباحة التعدد لايُحرم المرأة حريتها ولايكرهها على قبول من لا تقبله زوجاً لها .

يقول العقاد : « إنها لاتساق كرهاً إلى الزواج إذا سمح الشارع بتعدد الزوجات ... فمن تعلل بحق المرأة ، فليترك لها على الأقل أن تكون هى صاحبة الأختيار » (١) فى حين أن تحريم التعدد فيه إكراه للمرأة على قبول حالة واحدة لاتملك غيرها حين تُلجأها الضرورة إلى الزواج .

هذا والتعدد وإن كان سيفرض على الزوجة الأولى زوجة أخرى تشاركها فى زوجها إلا أنه لايحرم السابقة واللاحقة حقها فى أن تكون سيدة دارها وربة بيتها المتصرفة فى شئونه فى حدود ما شرع الله ورسوله ، فليس لأحدى الزوجتين على الأخرى فضل ولا سلطان فكل منهما سيدة فى دائرتها تحت إشراف زوجها ورقابته .

وخلاصة القول أن لنظام التعدد فى الإسلام مزايا كثيرة منها ما يلى : ـ

١ ـ إنه رحمة للعباد ونعمة فيه تُحل المشكلات ، وهو الطريق السليم لإشباع الرغبات دون التردى فى مهاوى الشهوات .

٢ ـ إنه يحفظ للبيت المسلم أمنه واستقراره وتماسك لبناته فهو يَحدْ من الطلاق لأن الرجل إذا رغب فى زوجة ثانية احتفظ بزوجته الأولى ـ على رضى منها ـ وبأولاده تحت إشرافه ورعايته وبذلك يحفظون من التشرد والضياع

---

(١) عباس محمود العقاد المرأة فى القرآن ص ١١٠ .

٣ - إنه يصـون المرأة بأن يشـاركـهـا فى زوجـهـا أخـرى من ذوات الدين والخلق تكون معها فى عيشة الطهر والعفاف، بعيداً عن الزانيات والعاهرات

٤ - إنه يحفظ للمرأة صحتها فلا تصاب بالأمراض القاتلة كما هو واقع الأمـر فى المجـتـمـعـات المتـحللة حيث تنتـقل العـدوى من الرجل الزانى إلى زوجته .

فـهل بعد هـذا يستطيع أحد أن يدعى أن التـعـدد يهين المرأة أو يقلل من كرامتـها ، أو إنسـانيتـها؟ ومع كل هذا فـسـوف نبين بطلان كل شبـهـة قيلت حول التعدد فى المطلب القادم

المطلب الثانى

فى الرد على شبهات التعدد :

الرد على الشبهة الأولى : أما ادعاؤهم أن تعدد الزوجات فى الإسلام مسايرة للرجال فى شهواتهم الجنسية على حساب المرأة فهذا قول باطل لا أساس له من الصحة ودليل ذلك ما يأتى : -

(أ) - لو كان الإسلام أباح التعدد مسايرة للرجال فى شهواتهم الجنسية كما يزعمون ، فلماذا إذاً نجد التعدد نسبته أقل عند المسلمين وهو مشروع من نسبته عند المسيحيين وهو محرم لديهم .

يقول الدكتور مصطفى السباعى : « وقد لاحظ جميع الرحالة الغربيين ونخص بالذكر منهم « جيرال ذى نيرقال » و « الليدى مورجان » أن تعدد الزوجات عند المسلمين وهم يعترفون بهذا المبدأ، أقل انتشاراً منه عند المسيحيين الذين يزعمون أنهم يحرمون الزواج بأكثر من واحدة (١) .

(ب) يعترف علماء الغرب أن نظام التعدد نظام أخلاقى يمنح المرأة احتراماً وسعادة وليس مسايرة للرجال فى شهواتهم يقول «جوستاف لوبون» : إن نظام تعدد الزوجات يرفع المستوى الأخلاقى فى الأمم التى تمارسه ويزيد الأسر ارتباطاً ويمنح المرأة احتراماً وسعادة لاتجدهما فى أوربا (٢) .

(جـ) على فرض أن تعدد الزوجات فى نظام الأسرة مسايرة للرجال فى شهواتهم الجنسية – كما يزعمون – فأى مانع فى ذلك مادام بطريق مهذب

---

(١) الدكتور مصطفى السباعى : المرأة بين الفقه والقانون ص ٢٢٣ .

مشروع يعترف فيه الرجل بحقوق زوجاته ، ويعترف بنسب أولاده ، وتكون فيه الزوجات ربات بيوت وأمهات أولاد ، معززات مكرمات فى حياة آمنة مستقرة .

تقول « انبى بيزانت » زعيمة « التيوصوفية » العالمية فى كتابها « الأديان المنتشرة فى الهند »

كيف يجوز أن يجرؤ الغربيون على الثورة ضد تعدد الزوجات المحدود عند الشرقيين ما دام البغاء شائعاً فى بلادهم .. ومتى وزن الأمور بقسطاس العدل المستقيم ظهر لنا أن تعدد الزوجات الإسلامى الذى يحفظ ويحمى ويغذى ويكسو النساء ، أرجح وزناً من البغاء الغربى الذى يسمح بأن يتخذ الرجل امرأة لمحض إشباع شهواته ، ثم يقذف بها إلى الشارع متى قضى منها وطره (١) .

الرد على الشبهة الثانية :

أما إدعاؤهم أن فى تعدد الزوجات فى الإسلام إهداراً لكرامة المرأة وإجحافاً بحقوقها لأن غيرها تشاركها فى زوجها وتنازعها سلطة بيتها

فهل من كرامة المرأة أن تكون أيماً لا زوج لها ؟ ، مشردة لا مأوى لها ؟ ، أم أن تكون فى حياة زوجية نظيفة كل منهما ربة بيت ، وأم أولاد لها ما للزوجة من حقوق وعليها ما عليها من واجبات ؟ ! .

كما أن الإسلام لايجبر امرأة ما على قبول الزواج برجل متزوج بل يَدَعْ لها ، ويَدَعْ لأهلها فى حالة خطبتها من رجل متزوج مطلق الحرية فى قبول الزواج به أو رفضه فإذا قبلت وقبل أهلها الزواج به عن طيب خاطر كان ذلك

(١) الدكتور مصطفى السباعى : المرأة بين الفقه والقانون ص ٢١٩ .

دليلاً على أن هذا الوضع لاينطوى فى نظرها ولا فى نظرهم على ضرر ولا على ضرار .

والإسلام قد ترك للزوجة الأولى ولأهلها إذا طلب إليهم الإذن فى زواج الزوج بإمرأة أخرى مطلق الحرية فى القبول أو الرفض .

وقد أوضح رسول الله هذا الأمر غاية الوضوح فقد أراد أبناء أبى جهل أن يزوجوا إحدى بناتهم على بن أبى طالب الذى كان حينئذ زوجاً لفاطمة الزهراء بنت رسول الله - ﷺ - فاستأذنوا النبى - ﷺ - فى ذلك فرأى أن ذلك يغضب ابنته ، وخاف أن يفتنها ذلك فى دينها ، وأن يحملها على التقصير فى حقوق زوجها ، وأنه لايتفق مع كرامة فاطمة وهى بنت رسول الله - ﷺ - أن يجمع بينها وبين بنت عدو الله أبى جهل . فلم يأذن - عليه السلام - فى هذا الزواج (١) وقال : « إن بنى هشام ابن المغيرة استأذنوا فى أن يُنكحوا ابنتهم على بن ابى طالب ، فلا آذن ثم لا آذن ، ثم لا آذَنَ ، إلا أن يريدَ ابنُ أبى طالب أن يُطَلِقْ ابنتى وينكح ابنتهم ، فإنما هى بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها وإننى لأتخوف أن تفتن فى دينها وإنى لست أحرم حلالاً ولا أحلل حراماً » (٢)

فليس إذاً فى إباحة تعدد الزوجات فى الإسلام أى امتهان للمرأة أو إهدار لكرامتها بل على العكس من ذلك .

الرد على الشبهة الثالثة : أما قولهم : إن إباحة الإسلام تعدد الزوجات اعتداء على مبدأ المساواة بين الجنسين حيث أعطى الرجل هذا الحق

---

(١) انظر : الدكتور على عبد الواحد وافى : حقوق الانسان فى الإسلام ص ١٦٣ .

(٢) رواه البخارى فى باب ذى الرجل عن ابنته فى الغيرة والإنصاف - بهامشه حاشية السندى جـ ٣ ص ١٦٤ . وفتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٩ صـ ٣٢٧ حديث رقم ٥٢٣٠ .

وحرمت منه المرأة .

إن هذا القول يدل على سفاهة قائلة . وعلى مدى جهله بحقيقة الأمور وعدم معرفته بادعائه حيث لاتوجد فى أصل الخلقة مساواة بين الجنسين ولو وجدت لكان جنس واحد .

يقول الدكتور مصطفى السباعى : « تحت عنوان « سؤال غريب » سألتنى طالبة فى الجامعة حين كنت أتحدث إلى طلابى عن موضوع تعدد الزوجات قالت : إذا كانت المبررات التى ذكرتموها تبيح تعدد الزوجات ، فلماذا لايباح تعدد الأزواج ؟ .

وكان جوابى فيه شئ من التلميح فهمته تلك الفتاة وتفهمه أمثالها من النساء وهو أن المساواة بين الرجل والمرأة فى أمر التعدد مستحيل طبيعة وخِلْقة ، ذلك لأن المرأة فى طبيعتها لاتحمل إلا فى وقت واحد مرة واحدة فى السنة كلها ، أما الرجل فغير ذلك ، فمن الممكن أن يكون له أولاد متعددون من نساء متعددات ، ولكن المرأة لا يمكن أن يكون لها إلا مولود واحد من رجل واحد (١) .

فتعدد الأزواج بالنسبة للمرأة يضيع نسب ولدها وفى هذا اختلاط للأنساب وضرب وقتل للأرحام وانهيار لنوع الإنسان . أما تعدد الزوجات فليس فيه اعتداء على الأنساب والأرحام ولا على مبدأ المساواة . بل التعدد فيه تطبيق عملى لمبدأ لمساواة خاصة عندما تجد المرأة التى لازوج لها زوجاً يكفل لها حياتها .

الرد على الشبهة الرابعة : أما ادعاؤهم أن التعدد يحدث النزاع الدائم ويسبب الاضطراب للبيت ويعمل على تشريد الأولاد .

---

(١) المصدر السابق ص ٨٩ .

فهذا إطلاق في غير محله فالمسألة تتوقف على حزم الزوج وتوخيه العدالة والإنصاف في سلوكه ، ومراقبته لربه ، وقيامه بواجبه الديني ، وحسن إدارته لأسرته.

فإذا توافرت لديه هذه الصفات وحافظ على هذه الواجبات استقام أمر الأسرة ، وقطع دابر الأسباب التي تؤدي إلى الشقاق والنزاع وإن تجرد من الحزم والعدالة والإنصاف . واختلت إدارته ، ساء نظام أسرته واضطربت شئونها ، وسادها الشقاق والنزاع سواء أكان متعدد الزوجات أم غير متعدد الزوجات . كما أن النزاع أمر وارد طبعاً وعقلاً لتباين المشارب البيئية والثقافية والعلمية بين الزوجين وإلا ما كان هناك دافع لحسن المعاشرة بين الزوجين .

الرد على الشبهة الخامسة : قولهم : إن التعدد يدفع لكثرة النسل والعيلة والفقر .

فهذا قول مرذول مقبوح فكثرة النسل أمر مرغوب فيه للأفراد والدول ، خاصة للأمة الإسلامية لترفع عن نفسها غبار الذل والعار .

يقول الدكتور على عبد الواحد « الحقيقة أن كثرة النسل ليست شراً في ذاتها بل الأصل فيها أنها مصدر خير كبير للأسرة والوطن والإنسانية جمعاء .

وهي لا تكون شراً إلا حيث يعجز الرجل عن القيام بنفقات أسرته .

وقد رأينا أن الإسلام ينهى عن التعدد ، بل ينهى عن الزواج نفسه في حالة عدم القدرة عن القيام بهذه الأعباء (١) .

---

(١) حقوق الإنسان في الإسلام ص ١٦٥ .

الرد على الشبهة السادسة : زعمهم أن نظام التعدد لا يتناسب مع عصر نالت فيه المرأة حقوقها كلها ، لأنه نظام بدائى لا يسود إلا فى الشعوب البدائية المتأخرة ، فهذا زعم كاذب ليس له من الحقيقة شئ . فلا ارتباط أصلاً بين نظام تعدد الزوجات وبين التأخر الحضارى ، بل العكس فإن الواقع التاريخى يشهد بأن نظام التعدد يظهر بوضوح لدى الشعوب المتقدمة حضارياً ، على حين أنه قليل الانتشار أو منعدم فى الشعوب البدائية وقد أجمع على ذلك علماء الاجتماع ومؤرخو الحضارات وعلى رأسهم « وستر مارك » ، و« هيلبر » و« جنر برج » بل يرون أن نظام تعدد الزوجات سيتسع نطاقه كلما تقدمت المدنية واتسع نطاق الحضارة .

الخاتمة

لقد بينت هذه الدراسة ما كانت عليه المرأة فى جميع الحضارات القديمة من المكانة الدونية التى كانت تعيش فيها من تحلل وفحش .

كما بينت أن دعاة التغريب يعملون جهدهم لإعادة المرأة المسلمة إلى هذه الجاهلية العمياء التى تسمح بأن يكون الحديث فى الشئون الجنسية مكشوفاً بعيداً عن كل درجات الحياء وأن يكون الاتصال بين الفتيان والفتيات قبل الزواج أمراً ميسراً دون أى قيود .

كما أظهرت مكانة المرأة عند اليهود فقد كانت تباع وتشترى ، وكانت الشريعة اليهودية - المحرفة - تبيح تعدد الزوجات دون تحقيق العدالة بين الزوجات ، بل كانت تعاليمها تبيح وقوع الظلم والحيف (١) على المرأة لأنها تعتبر عندهم أمر من الموت (٢) ولهذا فهى نجسة ومستقذرة فى أمور لا إرادة لها فيها ، ولا قدرة لها على منعها (٣) ومن ثم فصاحب الحظ السئ هو الذى يرزق بالإناث ، وأن السعيد هو الذى يرزق بالذكور .

واصلت هذه الدراسة المكانة السامية للمرأة التى وصلت إليها بفضل الإسلام الذى اعتبر المرأة جوهرة مكنونة مصونة لها ما للرجل من حقوق وواجبات بل قد تزيد عليه فى بعض الحالات ، وهى فى نفس الوقت حقوق مقدسة لا يحق لمخلوق أن يعتدى عليها .

كما أثبتت هذه الدراسة استقلال شخصية المرأة من خلال منهج الإسلام المتكامل المتوازن القائم على التركيب والبناء لا على الهدم والنقض .

---

(١) سفر التثنية : ٢١ : ١٥ - ١٧ .

(٢) سفر الجامعة : ٢٢ :: ٢٦ .

(٣) سفر اللاوين ١٥ : ١٩ - ٢٤ .

كما ردت شبهات دعاة التغريب الذين يهرفون بما لا يعرفون ، ويأفكون بما يدركون وما لا يدركون ، ويهزون هذيان المحموم أو المأخوذ ، فهاجموا النصوص القطعية الدلالة فى القرآن ورفضوا النصوص النبوية ، وردوا إجماع المسلمين ، وشاقوا الله ورسوله ، واتبعوا غير سبيل المؤمنين وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115) ﴾ (١) .

فيا قومنا إن دين الله هو أكمل الأديان ، وشريعته هى أدق الشرائع . وما أنزلها الله على رسوله – صلى الله عليه وسلم – لتطوى أو تمهل ، أو تتبدل وتتغير ، أو تعطل وفقاً للميول وتبعاً للأهواء . وقد نفى الله الإيمان عن من يعدلون عن شريعته ولا يرضون بها فقال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65) ﴾ (٢) .

بل إن الله جعل من شروط الإيمان به وباليوم الآخر الاحتكام إلى كتابه وسنة رسوله فقال – عز وجل – : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59) ﴾ (٣) وسخر سبحانه ممن يزعمون الإسلام وهم مع ذلك : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (61) ﴾ (٤) وحسبنا فى هؤلاء قوله تعالى :﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ (٥) .

---

(١) سورة النساء [١١٥] .

(٢) سورة النساء [٦٥] .

(٣) سورة النساء [٥٩] .

(٤) سورة النساء [٦٠ – ٦١] .

(٥) سورة البروج [٢٠] .

حيث وعدنا الله بحفظ كتابه وظهور دينه على الدين كله : " والله متم نوره ولو كره الكافرون " (١)

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أهم المراجع

(١) سورة الصف [٣] .

أولا القرآن الكريم

ثانياً

١- أبطال عـقـيـدة وجـهـاد

الدكتور أحمد الشرباصي – طبعة مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٣ م .

٢- اختصاصات السلطة التنفيذية فى الدولة الإسلامية والنظم الدستورية المعاصرة .

الدكتور إسماعيل الندوى – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣ م دار النهضة العربية القاهرة .

٣- أدب الدنيا والدين .

للماوردى – تحقيق محمد فتحى أبوبكر- دارالريان للتراث الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨.

٤- أسـبـاب النزول .

أبو الحسن على بن أحمد البيسابورى – تحقيق سيد أحمد صقر – الطبعة الثانية ١٩٨٤.

٥ – الإسلام عقيدة وشريعة

للإمام الأكبر محمود شلتوت .

٦ – الإسلام قوة الغد العالمية

باول شميتزترجمة الدكتورمحمد عبدالغنى شامة مكتبة وهبة مطبعة الأمانة.

٧ – الإسلام وبناء المجتمع الفاضل

الدكتوريوسف عبد الهادى الشال – طبعة مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٣م

٨ – أصول الدعوة

الدكتور عبد الكريم زيدان الطبعة الثالثة – دار عمر بن الخطاب .

٩ – الأصول القضائية فى المرافعات الشرعية

القاضى على قراءة طبعة دار المعارف - الطبعة الثانية .

١٠ - **الإصابة لإيراد ما استدركته عائشة عن الصحابة**

بدر الدين الزركشى طبعة ١٩٧٠ الطبعة الثانية .

١١ - **الإصابة فى تمييز الصحابة**

شهاب الدين أحمد بن على العسقلانى المعروف بابن حجر طبعة دار الكتاب العربى بيروت .

١٢ - **الإعزاز والتكريم للمرأة**

الدكتور عبد الجليل سالم بحث مقدم لحولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا .

١٣ - **تفسير القرآن العظيم**

أبو الفداء إسماعيل بن كثير طبعة دار إحياء الكتب العربية

١٤- **تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار .**

محمد رشيد رضا - طبعة مكتبة القاهرة - الطبعة الرابعة سنة ١٣٧٣

١٥- **تفسير آيات الأحكام**

محمدعلى الصابونى - الطبعة الثالثة - مكتبة الغزالى بدمشق ١٩٨٠م

١٦- **تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان .**

عبد الرحمن ناصر السعدى طبعة جمعية إحياء التراث الإسلامى الطبعة الرابعة .

١٧- **الترغيب والترهيب**

الإمام زكى الدين عبد العظيم المنذرى - طبعة وزارة الأوقاف المصرية ط ٤ سنة ١٩٨٠ .

١٨- **جذور البلاء**

عبد الله التل - طبعة المكتب الإسلامى دمشق الطبعة الثالثة ١٩٨٥ .

١٩- **الجــــامع لأحكام القــــرآن**

لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى - مؤسسة مناهل العرفان مكتبة العزالى

٢٠- **جــاهليــة القــرن العــشــرين**

محمد قطب - طبعة دار الشروق للطباعة والنشر - بيروت القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٩٨ .

٢١- **حــقــوق الإنســـان فى الإســـلام**

للدكتور على عبد الواحد وافى - طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر - الطبعة الرابعة ١٩٦٧ .

٢٢ - **حقوق الزوجين**

أبو الأعلى المورودى تعريب أحمد إدريس دار بوسلامه بتونس الطبعة الرابعة ..

٢٣- **حول اتفاقية القضاء على أشكال التميز ضد المرأة**

للإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر هدية مجلة الأزهر - شهر صفر سنة ١٤١٦ ه .

٢٤ - **الحـــدود فى الإســـلام**

للقاضى محمد أفضل شمة بحث مقدم للمؤتمر العالمى للسنة والسيرة طبع على نفقة الشئون الدينية بدولة قطر طبعة أولى سنة ١٩٨١ م .

٢٥- **الخنجر المسموم**

الأستاذ أنور الجندى .

٢٦- **دراسات فى حضارة الشرق الأدنى القديم**

الدكتور أحمد أمين سليم - طبعة دار النهضة العربية بيروت ١٩٩٢م .

٢٧- **دروس فى تاريخ الفلسفة**

للدكتور يوسف كرم وإبراهيم بيومى
٢٨- **البيانات القــــيمة**
الإمام محمد أبو زهرة - طبعة دار الفكر العربى ١٩٦٥ .
٢٩- **رجال حول الرسول**
خالد محمد خالد - مطبعة السعادة ج٤ .
٣٠- **ركائز الإيمان** .
محمد الغزالى طبعة دار الاعتصام - الطبعة الخامسة ١٩٧٨ م
٣١- **زاد المعاد فى هدى خير العباد**
شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن بكر طبعة
٣٢- **سنن الترمذى**
أبو عيسى الترمذى استنبول تركيا طبعة ١٩٨١
٣٣- **سيرة أعلام النبلاء**
شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى طبعة ١٩٨١
٣٤- **السيـرة النبـوية** أبو محمد عبد الملك بن هشام تحقيق مصطفى السقا
٣٥- **شـبـهـات وإجـابات حـول مكانـة المرأة فى الإسـلام**
للدكتور محمد عمارة سلسلة دراسات إسلامية عدد ٧٣ - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٣٦- **الشـخـصـيـة الناجـحـة**
سلامة موسى - طبعة دار القلم العربى بدون تاريخ .
٣٧- **الشعوبية فى الأدب العربى الحديث**
أنورالجندى طبعة دار الاعتصام .
٣٨- **صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى** :
مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى - طبعة مؤسسة مناهل

العرفان - مكتبة الغزالى .

٣٩- **الطبقات الكبرى**

محمد بن سعد - طبعة دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٧٨ م .

٤٠- **عمل المرأة فى الميزان**

الدكتور - محمد على البار طبعة الدار السعودية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٩٨١ .

٤١- **العهد القديم .**

٤٢- **العهد الجديد .**

٤٣- **فتح البارى بشرح صحيح البخارى**

أحمد بن على حجر العسقلانى مؤسسة مناهل العرفان - مكتبة الغزالى دمشق

٤٤- **فى فقه المواجهة بين الغرب والإسلام**

دكتور محمد عمارة الطبعة الأولى - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة .

٤٥- **قصة الحضارة ول ديورانت**

ترجمة محمد بدران - الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية مطابع الدجوى .

٤٦- **القاموس المحيط**

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى - طبعة مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٩٨٧ .

٤٧- **قصة النزاع بين الدين والفلسفة**

الدكتور توفيق الطويل .

٤٨ - **كلمات فى الحضارة**

الدكتور منصور عيد - طبعة دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٥.

٤٩- **القــول الفــصل فى تنظيم النسل**

بحث للدكتور محمد شوقى نصار بحولية كلية أصول الدين بطنطا .

٥٠ - **الكنز المرصــود فى قــواعــد التلمــود**

أوغست دوهلنج ترجمة د/ يوسف نصر الله - طبعة دار القلم بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .

٥١ - **الكتــاب والقــرآن قــراءة مــعــاصــرة**

الدكتور محمد شحرور - طبعة دار الدهان - دمشق الطبعة الثانية سنة ١٩٩٠ م .

٥٢ - **كــيف نتــعــامل مع القــرآن العظيم .**

الدكتور يوسف القرضاوى طبعة : مركز بحوث السنة والسيرة جامعة قطر سنة ١٩٩٧ م .

٥٣ - **المجــتــمع اليــهــودى**

ذكى شنودة الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة - بدون تاريخ .

٥٤ - **المدخل لدراســة التــوراة العــهــد القــديم .**

الدكتور : محمد على البار - طبعة دار القلم - دمشق الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠ م .

٥٥ - **مذاهب فكرية مـعاصرة** محمد قطب - طبعة دار الشروق - الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٨ .

٥٦ - **المرأة المسلمــــة والطريق إلى الله**

محمد محمد متولى الشعراوى - طبعة مكتبة القرآن - الطبعة الأولى .

٥٧ – **المرأة المسلمة فى وجه التحديات**

أنور الجندى – طبعة دار الاعتصام – بدون تاريخ .

٥٨ – **المرأة فى ظل الإسلام الدكتور**

حسن عبد الرؤف – بدون ذكر دار الطبع الطبعة الثانية .

٥٩ – **المرأة فى القرآن**

عباس محمود العقاد – طبعة المكتبة العصرية صيدا – بيروت .

٦٠– **المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله**

الدكتور : على عبدالحليم محمود – طبعة دار الوفاء – الطبعة الرابعة سنة ٢٠٠١ .

٦١– **المرأة فى القرآن والسنة**

محمد عزه دروزة .

٦٢– **المرأة المسلمة أمام التحديات**

أحمد حصين – طبعة دار البخارى – القصيم – الطبعة الخامسة ١٩٨٦ .

٦٣– **المرأة بين الفقه والقانون**

الدكتور مصطفى السباعى – طبعة المكتب الإسلامى الطبعة الخامسة .

٦٤– **مركز المرأة فى الشريعة اليهودية**

السيد محمد عاشور – طبعة دار الاتحاد العربى للطباعة – طبعة سنة ١٩٧٤ القاهرة .

٦٥ – **المرأة المسلمة فى وجه التحديات**

أنور الجندى – طبعة دار الاعتصام ..

٦٦– **مشكلات الشباب وحلولها فى ضوء الكتاب والسنة**

على القاضى بحث مقدم للمؤتمر العالمى للسنة والسيرة .

٦٧– **مناهج الفلسفة**

ول ديورانت ترجمة أحمد فؤاد الأهوانى – طبعة مكتب الانجلو المصريين

٦٧- **مناهج الفلسفة**

ول ديورانت ترجمة أحمد فؤاد الأهوانى - طبعة مكتب الانجلو المصريين مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر الطبعة الثانية .

٦٨- **المؤامرة الكبرى على المرأة المسلمة**

أبو نصر محمد عبدالله الإمام الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣ - اليمن بدون تاريخ ومكان الطبعة .

٦٩- **ملامح المجتمع المسلم**

الدكتور يوسف القرضاوى مكتبة وهبة الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣ م .

٧٠- **موسوعة تاريخ الأقباط**

زكى شنودة - مطبعة البلاغ - الطبعة الثانية .

٧١- **موجز الزواج والطلاق**

الدكتور محمد شتا أبو سعد .

٧٢- **المغنى لابن قدامة**

عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى تحقيق محمد سالم طبعة ١٩٨١ طبعة دار الدعوة والإرشاد السعودية .

٧٣- **مسند الإمام أحمد أبو عبد الله أحمد بن حنبل**

طبعة دار المعرف الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٣ م .

٧٤- **نداء للجنس اللطيف**

محمد رشيد رضا - طبعة دار الهجرة - بيروت لبنان الطبعة الثالثة .

٧٥- **النهاية فى غريب الحديث**

أبو السعادات مجد الدين المبارك تحقيق طاهر أحمد الزواوى .

٧٦- **وللرجال عليهن درجة**

بحث للدكتورة حصه أحمد بحولية كلية الشريعة والقانون بقطر العدد الثالث عشر .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات